ابن سلام وطبقات الشعراء

دكتور
منير سلطان
أستاذ النقد والبلاغة المساعد
كلية البنات - جامعة عين شمس

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزي وشركاه

تمهيد :

النقد الأدبى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى

١ ــ النقد فى العصر الجاهلى .

٢ ــ النقد فى عصر صدر الإسلام .

٣ ــ النقد فى البيئات الأموية .

١ ــ الحجاز .

٢ ــ العراق .

٣ ــ الشام .

الأهـــداء

إِلى أُسْتَاذِى الّذى أَدِينُ لَهُ بالكَثِير ...
إلى الأُسْتَاذ الدكتور يُوسُف خُلَيْف
تَحيةَ تَقْدِيرٍ وحُبٍ وَوَفَاءٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

الَحمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانا لِهذَاَ ومَاكُنَّا لِنَهْتَدِىَ
لَوْلَا أنْ هَدَانَا الّلهُ »
الأعراف ـــ ٤٣

الفهرست العام

مقدمة

الْمضْطَرُّ يَرْكَبُ الصَّعْب ...

وَأنا قَدْ رَكِبْتُ الهَوْل ...

فَبعَد سَنوَات طويلة ... ، بَعْدمَا قرأتُ ماقرأتُ ، وتعلمتُ ماتعلمتُ ، ونَاقَشْتُ من رسائل ماناقَشْتُ ، اضطَرِرْتُ إلى أن أُدِيرَ رأسى إلى الخلف ، لأقف وجها لوجه ، أمام بحثى عن « ابن سلام الجمحى » لطلابى وطالباتى فى الجامعة .

واحترت ماذا أفعل ؟

هو أول ماكتبتُ ، فيه فَرْحَةُ أنْ تَجِدَ كلامَك مطبوعا فى كتاب ، واسمُكَ « مضيئا » على الغلاف ..

وفيه الخبرةُ المتواضِعَةُ ، والثقافةُ المحدودةُ ، والأخطاء المضحكة ، ...

ولكن ....

فيه الإخلاصُ والحبُّ والوفَاءُ للبحث العلمى .

أقول ، احترت ماذا أفعل ؟

أأكْتُبُ بَحْثاً آخر فى « ابن سلام » ؟! كم تمنيتُ .

أأنْسى الموضوع بِرُمَّتِه ؟! لاأمْلِكُ ...

إذن ، ليس أمامى إلّا أن أُعيدَ النظر فيما كتبت ، وأعمل على تنقيته من كل مايُشينُه ، وأتمنى على الله سبحانه أن تُتَاحَ لى الفُرصَةُ ، لِأعُودَ إلى ابن سلام وطبقات الشعراء ، ثانية ، أَدْرُسُه ، بحماس الماضى وإخلاصه ، ووعى الحاضر وخبرته .

والله الموفق

منير سلطان

٦٨ ش السيد محمد كريّم ــــ الإسكندرية

الطبعة الأولى = ١٩٧٧م
الطبعة الثانية = ١٩٨٦م

تمهيد :

النقد الأدبى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى

النقد الأدبى لم يخرج عن حَيزٍّ أنه : تمييزٌ وتحليلٌ للقطع الأدبية ، ثم تأتى مرحلة تقييم العمل الأدبى من الناحية الفنية ببيان قيمته الموضوعية ، وقِيَمِهِ التعبيرية ، ثم تعيين مكانه فى خط سير الأدب ، وتحديد ماأضافه إلى التراث الأدبى(١) .

اولا : النقد فى العصر الجاهلى :

إن ماوصل إلينا من الشعر الجاهلى أقل القليل ، إنه أثَارَة ضئيلة بالقياس إلى ماينبغى أن يكون قد صَدر عن هذا العصر ، يقول أبو عمرو بن العلاء : « ماانتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقَلَّهُ ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » ، وهذا القليل الذى خَلَصَ إلينا إنما يمثل المرحلة الأخيرة الناضجة للشعر الجاهلى ، والتى بدأت بالمهلهل بين ربيعة وامرئ القيس .

فى هذه المرحلة استقرت للشعر أصُولُه ، وثبتت قواعده حتى غَدَتْ تقاليدَ ، يقول ابن قتيبة « وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أنَّ مُقصدَ القصيد ، إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدِّمَن والآثار فبكى وشكا ، وخاطب الرَّبْعَ واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كانت نازلةُ االعَمَدِ(٣)فى الحلول والظعن على خلاف ماعليه نازلةُ المَدَرِ(٤) لانتقالهم عن ماء إلى ماء ، وانتجاعهم

(١) انظر مادة « نقد » فى المعاجم اللُّغوية« أساس البلاغة » ، وانظر تعريف مؤرخى النقد الأدبى ، دكتور شوقى ضيف ــ النقد ص ٨ ، ودكتور بدوى طَبَّانَة ــ « قدامة بن جعفر » ض ٦ ، ودراسات فى نقد الأدب العربى ــ ص ٢١ ، ودكتور محمد مندور ــ النقد المنهجى ص ١٢ ، وسيد قطب ــ فى النقد الأدبى أصوله ومناهجه ص ٤ ، وغيرها مما كتب الدكتور محمد زغلول سلام والدكتور محمد غنيمى هلال والدكتور مصطفى الجوينى والدكتور عدالعزيز عتيق ..

(٢) ابن سلام ــ طبقات الشعراء ــ المنشور بتحقيق الأستاذ محمود شاكر بعنوان « طبقات فحول الشعراء » ط المدنى ١٩٧٤ ــ ٢٥ وهذه التى سنعتمد عليها فى دراستنا .

(٣) يقال لأصحاب الأخبية أهل عَمُود وعُمُدٍ وعِمَاد .

(٤) نازلة المدر : ساكنو القرى .

الكلأ ، وتَتَبُّعِهِمْ مساقط الغيث ، حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب/فشكا شِدَّةَ الوجْد ، وألم الفِراق ، وفَرْطَ الصبابة والشوق ، ليميل نَحْوَه القلوبَ ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعى به إصغاء الأسماع إليه ، فاذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له ،عَقَّبَ بإيجاب الحقوق ، فرحل فى شعره وشكا النَّصَب ، والسَّهر ، وسُرَى الليل ، وحَرَّ الهجير وإنضاء الراحلة[1] والبعير ، فإذا عَلِم أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل[2] ، وقرر عنده مانالَه من المكاره فى المسير ، بدأ فى المديح فبعثه على المكافأة وهَزَّهُ للسماح ، وفَضَّلَهُ على الأشباه ، وصَغَّر فى قَدْرِهِ الجزيل »[3] .

والشاعر يظل منذ نشأته مهتما بأمر نفسه خاضعا لضروب المرانة والتعليم حتى يكونَ جديرا بلقب شاعر ، فهو يروى لأسلافه الشعراء ماأبدعوه من شعر ويتباهى بذلك ، يقول الأصمعى :« لايصير الشاعر فى قريض الشعر فحلا ، حتى يَرْوِى أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعانى وتدور فى مسامعه الألفاظ »[4] والأخبار التى يتحدث عنها الأصمعى هى أخبار بيئة الشاعر وبخاصة قَبِيلَتُه ، فعليه أن يَعْرِف شئونها وأمجادها وأيام فخرها وعزها .... الخ

وعنصر ثالث يعتبر من سمات الحياة الأدبية الراقية فى هذه الفترة ، هو « الجمهور الشعرى الشعبى »ذلك الذى كان يهتم بالشعر ويتذوقه ويتجاوب مع قائله ، فهو يتحلق حول الشاعر مُنْصِتًا ، فَإِن أحسْنَ هتف ، وإن أخطأ سخط ، هو الرأى العام المستنير بالسبة للشاعر ، وعلى تأييده يعتمد اعتمادا فى ذيوع صيته وانتشار شعره ، وويل للشاعر إذا سخطت هذه الفئة المستنيرة .

وهكذا تآزرت العوامل السابقة وساعدت على وجود تراث من الشعر الجاهلى لايستهان به .

وبزغ نور الإسلام وأرادها الله إيمانا وهَدْياً ، ونزل القرآن كتابا عربيا يهدى لِلَّتى

---

(١) إنضاء الراحلة : إهزالها .

(٢) ذمامة التأميل : عهد بالنوال .

(٣) ابن قتيبة ـــ الشعر والشعراء : ٨٠ و٨١ تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الثالثة ١٩٧٧م

(٤) ابن رشيق : العمدة ١/١٧٢ ط حجازى

هى أقوم ، فاستطاع أن يقتحم على العرب قلوبَهُم وقد أحاطوها بمتين السياج ، واستطاع أن يخْلُبَ ألْبَابَهم ، يُحْكَى أن أبا سفيان وأبا جهل والأخفش بن شُرَيق ، كانوا يتسللون ليلا وقد حرص كل منهم جَهْدَه أن يُخْفِىَ أمره ـــ للاستماع إلى قراءة الرسول ﷺ وهو يصلى فى بيته ، فإذا اطّلعَ بعضهم على سر بعض تلاوموا ثم تعاهدوا على ألا يعودوا إلى مثلها ويفتنهم البيان ، وهم أهل الفصاحة واللَّسَن فتضعُفَ عزائمهم ،ولايلبثون حتى يعودوا إلى ماتَنَاهَوْا عنه ، فلم يجدوا مناصا إلا أن يُقْسِمُوا فيما بينهم على ألا يعودوا ، ولو لم يقسموا ، لعادوا ثم تلاوموا ...[1] .

وليس صحيحا أن تَدَفُّقَ الشعر الجاهلى قَدَ هدَأَ بنزول القرآن الكريم ، فإن مَنْ يقرأ فى كتب الأدب والتاريخ مثل « الأغانى » « والطبرى » و« سيرة ابن هشام » وماكُتب عن الصحابة فى مثل« الإصابة» سيجد الشعر قد سال على كل لسان[2] .

مقاييس النقد فى العصر الجاهلى :

أجملنا سمات الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى فى : استقرار المناهج الشعرية ، والتقاليد الأدبية على وجه من الوجوه ، ثم الدراسة الشعرية المتمثلة فى الرواية والأخذ بألوان الثقافة المعاصرة ، وأخيرا الجمهور الشعرى الذى أقام لهذه الحياة غير قليل من القوة والحيوية والسَّدَاد ، ونضيف إلى « الجمهور الشعرى الشعبى » ، نضيف الملوك والأمراء الذين وفد إليهم الشعراء ، فهم يمثلون الطبقة المستفيدة سياسيا من مدح الشعراء ، ، والشعراء بدورهم يُجَوِّدُون شعرهم لَيحظَوْا بالمنزلة والنوال الوفير ، فقد كان النابغة الذبيانى مع النعمان بن المنذر وفى عصره[3]وشَخَصَ إلى ملوك غسان وامتدحهم[4] والنابغة الجعدى عَمَّر مع المنذر بن المحَرِّق قبل الذبيانى[5] والأعشى كان يخرج إلى اليمن يريد قيس بن مَعْدِ يكَرب[6] وحسان بن

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ط الحلبى ١٩٣٦ م

(٢) د . شوقى ضيف ـــ العصر الإسلامى ص ٤٢ ط دار المعارف ـــ ٤

(٣) الأغانى : ط وزارة الثقافة ٥/ ٦١

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٣٧

(٥) المصدر السابق ٥/ ٦

(٦) المصدر السابق ٩/ ١١٧

ثابت كان منقطعا إلى جَبَلَة بن الأيهَم[2] وكذا عمر بن الحارث[3] الذى قدم على النعمان بن المنذر وامتدحه[4] .

نقول ، هذه السمات الثلاث التى تَجْعَلُنا ننظر إلى الحياة الأدبية الجاهلية بعين الإنصاف ، من شأنها أن تحملنا على أن ننصف النقد الأدبى فى العصر الجاهلى ، فهى فى حقيقة الأمر من آصل العناصر صِلةً بالنقد الأدبى ، فما يمكن أن نتصور قيام هذه القواعد والحدود دون أن نتصور أنها استكملت نَسَقَها بتأثير العامل النقدى ، يوجهها ويتتبعها وينبه عليها .

فتقاليد الصناعة الشعرية كانت تأبى على الشاعر أن يُقْوِىَ أو يسانِدَ أو يُكفِئَ أو يُوطِئَ ، وقد أقوى النابغة فى بيتين قوله[5]

أمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائحٌ أمْ مُغْتَدى ∴ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وغَيْرَ مُزَوَّدِ[6]
زَعَم البَوارِحُ أنَّ رِحلَتَنا غَداً ∴ وبذَاك خَبَّرنا الغرابُ الأسَودُ[7]

وقوله :

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسْقَاطَهُ ∴ فَتناوَلتْــهَ واتَّقتْنــاَ باليَــدِ[8]
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأن بَنَانهُ ∴ عَنَمٌ يَكَادُ من اللطافةِ يُعْقدُ[9]

والإقواء رفع بيت وجَرُّ آخر ، أما الإكفاءُ فاختلاف حرف الروى، والسِّنَادُ

---

(١) المصدر السابق ٣٩/١١
(٢) المصدر السابق ١٨٥/١٢
(٣) المصدر السابق ٢٧/١١
(٤) النابغة الذبيانى : الديوان ص ٤٩ ط صادر بيروت ١٩٥٣ بتحقيق كرم البستانى وللدكتور ابراهيم أنيس رأى صائب فى الإقواء ، إذ يرى : أن الإقواء فى الحقيقة ليس إلا لحنا فى الإعراب ، وخروجا عن قواعده، انظر كتابه "فى اللهجات العربية" ص ٧٥ الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٢ لجنة البيان العربى .
(٥) المغتدى : المبكر ، والرائح : الجائى فى العشية ،(مُزَوَّد بالكسر) .
(٦) البوارح جمع بارح ، وهو من الظباء والطير والوحش ماتمر عن يمينك إلى يسارك، وبعض العرب تتطير به (الأسود بالضم) .
(٧) النصيف ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها (اليد بالكسر) .
(٨) بمخضب : يعنى كفها وقد خضبت بالحناء ، ورخص : ناعم البشرة ، وعَنَم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يُشبَّهُ بها البنان المخضوب (يعقد بالضم) .

اختلاف كل حركة قبل الرَّوِىِّ ، والإِيطَاءُ أن يُقَفّى بكلمة ثم يُقَفَّى بها فى بيت آخر(١) .

والصناعة الشعرية تفرض على الشاعر أن يلتزم الَمثَلَ الأعلى للمدح، ذلك المثل الذى ارتضته العرب ، ورغبت أن يكون مُصَوَّرا بدقة فى الشعر ، وحسان بن ثابت قد خرج على هذه التقاليد حين أنشد النابغة(٢) :

لنا الَجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعن بالضحى ∴ وأسيافنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَا
وَلَدْنا بنى العنقاء وابنى مُحَرِّقٍ ∴ فَأكرِم بِنَا خالا وأَكْرِمْ بنَا ابْنَمَا(٣)

فقال له النابغة « إنك لشاعر لولا أنك أقللت جفانك وفخرت بمن وَلَدْت ولم تفخر بمن وَلدك . ولو قلت : الجفان لكان أكثر ، وقلت : يلمعن فى الضحى ، ولو قلت : يبرقن بالدجى ، لكان أبلغ فى المديح ، لأن الضيف بالليل أكثر طروقا ، وقلت يقطرن من نجدة دماً ، فدَلَّلْتَ على قلة القتل ولو قلت : يَجْرين ، لكان أكثر ، لانصباب الدم وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك ، فقام حسان منكسرا ، منقطعا(٤) .

والدراسة الشعرية تقى الشاعر من الخلط بين الأوصاف ، والاضطراب بين الأشياء ، فقد مَرَّ المسيَّب بن عَلَس بمجلس بنى قيس بن ثعلبة فاستنشدوه ، فأنشدهم :

---

(١) المرزبانى : الموشح ط النهضة تحقيق محمد على البجاوى ص ٤ ومابعدها .
(٢) حسان بن ثابت : الديوان ط التونسية ١٢٨١ھ ص ٨٦ .
(٣) العنقاء : هو ثعلبة بن عمرو بن مريقياء بن عامر بن ماء السماء أحد أحداد الأزد فى اليمن، ويريد بالمحرق : الحارث بن عمرو بن مزيقيا وكان أول من عاقب بالنار ، وابنما . ابنا والميم فى ابما زائدة ، والجفنات : القِصَاع ، والغر : البيض من كثرة التسحم الذى فيه وكثرته دليل على الكرم .
(٤) قدامة بن جعفر ـ نقد الشعر ـ ٦٣ والمرزبانى : الموشح ٨٢ ، وقد اعترض الأستاد طه إبراهيم على هذا النقد لبعده عن أفهام العرب : انظر تاريخ النقد الأدبى عند العرب ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٣٧م ص ١٨ ـ ورفض د . طه الحاجرى ود . بدوى طبانة هذا الاعتراض ـ انظر د . الحاحرى ـ تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ط رويال بالاسكندرية ١٩٥٣م ص ٤٢ . ود . طبانه ـ دراسات فى نقد الأدب العربى ط الأنجلو ١٩٦٠ ص ٥٣ ـ وَرَأَيَا أن العرب فهمت المعنى ثم حاء العلماء وصاغوا لهذا المعنى مصطلحات ، وأقول ولعل عبدالقاهر خير من أدرك هذا المعنى وعبر عنه بقوله « إن الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات » « الدلائل ط الموسوعات ـ القاهرة ١٣٢١ھ ص ٣٠٠ » .

ألا انعِمْ صباحا أيها الرَّبْعُ واسْلَمِ ∴ نُحَيِّكَ عن شَحْط وإن لم تَكَلَّمِ

فلما بلغ قَوْلَه :

وقد أتَناسَى الهَمَّ عند ادكَارِهِ ∴ بِنَاجٍ عليه الصَّيْعرِيَةَ مُكْدَمِ

قال طرفة : « اسْتَنْوَقَ الجمل » ، إذ أنكر عليه استعمال « الصَّيْعَرِيَّة » وهى سِمَة للنوق لا للفحول(١) .

وهى أيضا تقى الشاعر من سوء اختيار الألفاظ ، فهذا الأعشى أنشد قيسَ بن مَعْدِ يكَرِبَ ـــ أحد أشراف اليمن ـــ فقال فيما قال :

وَنُبِّئْتُ قَيساً وَلَمْ آتِـهِ ∴ وَقَدْ زَعَمُوا سَادَ أَهَلَ اليَمَنْ

فعابه قيس ، لأن (الزَّعْمَ) هو : القول الكاذب ، ولم يَنْفَع الأعشى أن جعل البيت بعد ذلك :

ونُبِّئْت قيسا ولم آتِـهِ ∴ على نَأْيِه سَادَ أهل اليمن(٢)

وهناك أمثلة عديدة أفرد لها المرزبانى جزءاً كبيرا من كتابه« الموشح » فى مآخذ العلماء على الشعراء فى عدة أنواع من صناعة الشعر(٣) .

والجمهور الأدبى كان أكثر اجتماعه فى الأسواق ، تلك التى كانت مجالا رَحْباً لممارسة عدة أنشطة حيوية ، بالإضافة إلى أنها زخرت بألوان من النشاط الأدبى والنقدى ، يحكى أن النابغة كانت تُضْرب له قبةٌ حمراءُ من أَدَمٍ ، بسوق عُكَاظ ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، وهو نفسه حين قدم المدينة على الأوس والخزرج وأنشدهم أبياتِه التى أقوى فيها ، أظهروا له خطأه ، وحين لم يفهم ما يريدون باصطلاح « إقواء » أحضروا له جارية تُغَنِّى الأبيات ، وأوْصَوْها إذا أتت إلى القافية أشبعت حركةَ الدَّال وأطالتها فى« مُزَوَّدِ » ، و« الأسْودُ » ففطن لذلك وقال « دخلتُ يَثْربَ فى شعرى صَنَعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس »(٤) .

---

(١) الأغانى ط دار الكتب ٢١/١٣٢ ، والمرزبانى : الموشح ١١٠

(٢) المرزبانى : الموشح ص ٧٣ .

(٣) المرزبانى : الموشح : من ص ٢ الى ص ٢٥ .

(٤) ابن سلام : طبقات الشعراء ٦٨ طبعة المدنى ١٩٧٤م

وقلنا إن المسيَّب بن عَلَس قد مر بمجلس بنى قيس بن ثعلبة، وماذاك المجلس وغيره إلا الجمهور الأدبى المتذوق للشعر ، الناقد له ، الذى ترك بصماته واضحة فى تطور النقد الأدبى .

وليس لنا أن نعتبر هذه العناصر الثلاثة من استقرار قواعد الشعر، إلى دراسة جادة يقوم بها الشاعر، إلى جمهور أدبى واع يراقب الخلق الفنى ، ليس لنا أن نعتبرها مقاييس للنقد ، ولكن سنرى من خلالها أن النقد الجاهلى كان يقيس الشعر بمقياسين بارزين هما مقياس الذاتية والمقياس البيئى .

مقياس الذاتية :

لاأريد هنا أن أذهب بعيدا، وأُقِرّ أن الجاهليين قد عاشوا حياة ساذجة وأنهم حُرِمُوا العلوم والفنون والرقى ، فجاء شعرهم مفتقدا المنهجية والموضوعية، فهذا ظلم قد استرحنا له[1]، إنما نقول إن النقد الجاهلى كان انطباعا أكثر منه تعليلا ، وكان تسجيلا للحس الذاتى للنقد إزاء البيت أو الصورة ، وليس هذا عيبا ، فالفطرة تتسم بالصدق ، والذاتية ترجمة لما فى النفس من أثر إزاء العمل الفنى . فالنابغة يرى لبيدا وهو غلام جاء مع أعمامه إلى النعمان بن المنذر فيتوسم فيه الشاعرية ، ويسأل عنه فينسبونه ، فيقول له : ياغلام إن عينيك لعينا شاعر ، أفتقرِضُ من الشعر شيئا ، فينشده :

∴ ألم تَرْبَعْ على الدِّمَنِ الخوالى ∴

فيقول له : ياغلام أنت أشعر بنى عامر ، زدنى ، فينشده فيقول :

∴ طَلَلٌ لَخَوْلَةَ فى الرُّسَيْسِ قَدِيمُ ∴

فضرب بيديه على جبينه ، ويقول : اذهب فأنت أشعر من قيس كلِّها[2] ، وتنشده الخنساء قصيدتها فى رثاء أخيها صخر :

قَذىً بِعَيْنِكِ أم بالعَينْ عُوَّارُ ∴ أم أَقْفَرَتْ مُذْ خلَتْ مِنْ أَهْلِها الدَّارُ

---

(١) انظر: حضارة العرب للدكتور جوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعتر ــ الطبعة الثانية ــ الحلبى ، الفصل الثالث ص ١٠٨ ، ومابعدها بعنوان « الوهم فى صحية العرب قبل محمد ﷺ . »

(٢) الأغانى ــ ١٥/٣٧٧

فيقول لها : والله لولا أن أبا بصير أنشدنى آنفا، لقلت إنكِ أشعر الجن والإنس[1] .

ويسأل الحطيئة ــ وكان يتكسب بشعره ــ من أشعر الشعراء ؟ ، فيقول : الذى يقول :

وَمَنْ يجعَل المعروفَ من دُوْنِ عِرْضِهِ ∴ يَفِرْهُ ومن لايَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

يعنى « زهيرا » ، ويسألونه ثم مَنْ ؟ يقول : الذى يقول :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاس يَحْرِمُوه ∴ وسَائِــــلُ الله لَا يَخِيبُ

يعنى عَبِيدَ بن الأبرص[2] .

فهذا نقد ذاتى لاتحليل ولاتعليل ولاشمول ، وإذا كانت هذه الأمثلة توقفت فى حكمها على البيت أو البيتين باعتبارهما الوَحْدَة الفنية للقصيدة فى معظم ماترك لنا الجاهليون ــ فإننا نرى أحكاما تصدت لشعر الشاعر كلّه وقررت فيه رأيا ــ تحاكم الزِّبْرِقَان بن بدر ، والمخبَّل السَّعْدى ، وعَبْدَةُ بن الطبيب ، وعمرو بن الأهتم إلى ربيعة بن حُذَار الأسدى فى الشعر ، أيهم أشعر ؟ فقال : أما عمرو فشعره بُرودٌ يمنية تُنْشَر وتُطْوَى ، وأما أنت يازبرقان فشعرك كلحم لم يُنْضَجْ فَيُؤْكَل ولم يُترك نَيِّئاً فَيُنْتَفَع به ، وأما أنت يامخبل فشعرك شُهبٌ من نار الله يُلقيها على من يشاء ، وأما أنت ياعَبْدَةُ فشعرك كمزادةٍ أُحكِم خرزها فليس يقطر منها شىء[3] وقد أُطلقوا على عدى بن ربيعة لقب « المهلهِل » لهلهلة شعره كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه ، أو لأنه أول من رقّق الشعر وتجنب الكلام الغريب الوحشى[4] .

فهذا نقد أدبى يعتمد على الحاسة الفنية ويقوم على فهم الشاعر جُمْلَةً ، وعلى تذوق الروح العامة لشعره والحكم عليه بذلك ، وأيضا ، هو لايعلل ولايحلل وإنما هى انفعالات ذاتية .

---

(١) ابن قتيبة ــ الشعر والشعراء ــ ٣٥١/١ تحقيق أحمد محمد شاكر ط الحلبى الثالثة ــ ١٩٧٧ م

(٢) المصدر السابق ١ /٣٣٠ . ويفره يجعله وافرا .

(٣) الأغانى : ط وزارة الثقافة ١٩٧/١٣ و ١٩٨ والموشح ــ ١٠٧

(٤) ابن سلام : الطبقات ص ٣٩ والموشح ١٠٦

المقياس البيئى :

فرق ابن سلام بين شعراء البادية وشعراء القُرى العربية : المدينة والطائف واليمامة والبحرين ، فجعل شعراء القرى طَبَقةً ، وهو على حق فيما ذهب ، فأسلوب الحياة وأسلوب التفكير وكيفية فهم الشعر وتذوقه ثم نقده ، فى البادية ، غيرها فى الحضر .

فى البادية رأينا الأسواقَ التى كانت مجالس ومحافل أدبية ، ورأينا النابغة تضرب له قُبَّةٌ حمراءُ من أَدَم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء تعرض عليه أُشعارها . ولم يكن النقد بعيدا عن تيار الحياة البدوية ، فأحيانا يتذكر النقاد رُوحَهُم القَبَلِيَّةِ حين ينضلون شاعرا على شاعر ، فتأتى أحكامهم تنضح بما سقطوا فيه .

ومما يلاحظ أيضا على نقد البادية، اتجاهه إلى المعانى الشعرية من ناحية التعبير عنها والتنبيه على مايكون فيها من خطأ ثم ماقد يكون من تقصير .

أما عن بيئة الحضَر، فعرب المدينة معظمهم من عرب اليمن ذوى الحضارة العريقة ، ومكة بَلَدٌ تَاجِرُ ، واحتكاك المكيين بمن جاورهم معروف مشهور ، وهذا الأمر ينسحب على بقية القرى العربية ، أو تلك البيئات المتحضرة بالنسبة للبادية ، فليس غريبا أن ترى أهل المدينة يُنَبِّهُونَ النابغة على خطئه الموسيقى ، وهذا مالم يَتَنَبَّهْ إليه الشعراء الأعراب ، ومجالس الغناء والطرب التى كانت تعقد فى المدينة لها يَدٌ فى ذلك .

وشيء آخر من خصائص هذه الحياة الحضرية ، هو الكتابة ، فإحاطة أهل القرى بها واصطناعهم لها جعل أصواتَ اللُّغة تأخذ فى أذهانهم صورا متميزة ، والأعرابى قد لَايفطِن لما بين الميم والنون، أو مابين الدال والطاء من تقارب ، يقول ابن سلام وقد يَغْلِطُون فى السين والصاد والميم والنون والدال والطاء وأُحرفٍ يتقارب مخرجها من اللسان تَشْتَبِهُ عليهم ، أنشدنى أبو العطاف :

أَرْمِى بِهَا مَطَالِعَ النُّجُوم رَمْىَ سليمان بِذِى غُضُون

وقال زُغَيْب بن نُسَيْرٍ العَنْبَرى :

نَظَرْتُ بِأَعْلَى الصُّوُقِ والبَاب دونه إلى نَعَم تَرْعَى قَوافِى مِسَّرَدِ

الصوق : يريد السوق ، ثم قال : كُحَيْلٌ مُخْلَطِ « فقلت له ، قل « مُعْقَدِ » فيصح لك المعنى وتستقيم القوافى ، قال : أجل ، فاستعدته : فعاد إلى قوله الأول »(1) .

وهناك نصوص عديدة(2) ، تخدم دراسة النقد فى العصر الجاهلى ولكنها ـــ فى رأيى ـــ تدور فى إطار المقياسين البارزين اللذين أشرت إليهما ، وهى فى الوقت نفسه منبثقةٌ من سمات الحياة الأدبية فى تاريخ النقد الجاهلى .

---

(1) ابن سلام : الطبقات ٨٠ ـــ الكحيل بالتصغير : القطران تطلى به الإبل الجَرْبى ، والعقد : من قولهم : عقد القطران والعسل وأعقده : طبخه حتى يخثر ويغلظ .

(2) انظر الموشح للمرزبانى ـــ ص ٤ ومابعدها .

النقد فى عصر صدر الاسلام

وفى عصر صدر الإسلام اختلفت الدوافع وتغيرت الأوضاع وتحولت الأسباب التى تهيج من كوامن الشعر والشعراء ، وحدثت عملية استعلاء نفسى ، فخفت حدة القبلية والعصبية والعادات المذمومة وحَلّتْ مَحَلَّهَا عاداتٌ أَرْفَعُ وتقاليدُ أرحب ، وُنظُمٌ أَجْدَى بالإِنْسان والإنسانية .

جاء الرَّسُولُ الكريم ، ووقف صامدا أمام طغيان الظلام ، وقرر أن تنتشر الدعوة أو يَهْلِك دونها ، وحدث مانعرفه جميعا وصالت قريش صولتها ، ورمت المسلمين بأفلاذ كبدها أبى سفيان وخالد بن الوليد وأبى جهل وعُتْبَةَ وشيبة ابنى ربيعة وأمية بن خلف الجمحى وغيرهم من القادة الدُّهَاة ، فهُزِمَت واندحرت ، وكان النصر حليف الإسلام .

وقد أُثر عن الرسول بعض كلمات تعبر عن مفهومه للشعر وعن الميزان الذى يرتضيه لتقديره والتمييز بين ما يستحسنه ومالا يستحسنه ، منها قوله « الشعر كلام من كلام العرب ، جَزْلٌ ، تتكلم به فى بواديها ، وتُسَلُّ به الضغائن من بينها »(١) وقوله « وإنما الشعر كلام مؤلف فما وافقَ الحقَّ منه فهو حسن ومالم يوافقْ الحقَّ منه فلا خير فيه »(٢) وقوله « إنَّماَ الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب »(٣) .

فالشعر عنده كلام من جنس كلام العرب يتميز بالتأليف أى النَّظْم كما تمتاز ألفاظه بصفة الجزالة وقوة الأَسْرِ .

أما ميزان الشعر عنده فيتمثل فى مدى مطابقته للحق ، أو عدم مطابقته ، فالحَسَنُ منه ماوافق الحق ، ومالم يوافقه فلا خير فيه ، إنه ميزان مستمد من تعاليم الإِسلام الحنيفةِ .

---

(١) ابن رشيق . العمدة ، ط التجارية تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٨م ـ ١/٢٨ .

(٢) المصدر السابق : ١/٢٧ .

(٣) المصدر السابق : ١/٢٧ .

وقد كان الشعر يُؤَثِّر فى نفسه الكريمة ، يُروى أن قُتَيْلَة بنت النَّضْر بن الحارث بعد مقتل أبيها عرضت للنبى وهو يطوف ، فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف عن مَنْكِبِهِ ، ثم أنشدته قصيدةً منها :

أمحمدٌ ولَدَتْكَ خَيْرُ نَجِيبَةٍ ∴ من قومها والفحلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
ماكان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ورُبَّمَا ∴ مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ
فالنَّضْر أَقْرَبُ من قَتَلْتَ قرابةً ∴ وأحقهم إن كان عِتْقٌ يُعْتَقُ

ويروى أن الرسول لما سمع شعرها رَقَّ لها حتى دمعت عيناه وقال « لو سمعت شعرها هذا قبل قتله لمننت عليه »[1] صلى الله عليك وسلم يانبى الرحمة .

كذلك أبدى رأيه فيمن هو أشعر شعراء الجاهلية والمشركين ، فقد رُوى عنه فى امرئ القيس « أنه قائد الشعراء إلى النار »[2]، والرسول مدرك لقيمة الشعر الاجتماعية والسياسية ومدرك لأثره فى الدعاية ، فنراه أمام هجوم الشعراء المشركين يقول للأنصار « مايمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ » فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه وقال : والله مايسرنى به مِقوَل بين بُصْرَى وصَنْعَاء »[3] وانضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رَوَاحة ، واحتدم الهجاء بينهم وبين شعراء مكة ، وقصةُ وفْد تميم وشاعرهم الزِّبْرِقان بن بدر ، وخطيبهم عُطَارد بن حاجب معروفة ، ذهبوا للرسول الكريم يفاخرونه فانهزموا على يد شاعر المسلمين حسان بن ثابت وخطيب المسلمين قيس بن الشَّمَّاس[4] .

والقرآن الكريم قد تحدى العرب ببلاغته وروعته ، وكان سلاحا هزم المشركين فى ميدان تفوقهم ونبوغهم ، وماانصراف من انصرف من الشعراء عن شعرهم إلا

---

(١) ابن رشيق : العمدة ١/٥٦ وابن الأثير : الكامل ط الأزهرية القاهرة ١٣٠١ هـ ١/٩١ المعرق : الكريم من عراقة الأصل .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١/١٣٢ ــ وانظر دراسة المحقق فى ضعف هذا الحديث ، هامش ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(٣) الأغانى : ط وزارة الثقافة ٤/١٣٧ . والمقول : اللسان .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية : ط الحلبى ١٩٣٦ ــ ٤/٢٠٦

صَدىً عميقٌ لإحساسهم ، بأنّ هناك كلاما أبلغ من كلامهم ، وإن يَكُنْ من جِنْس كلامهم .

وعلى سَنَنِ الرسول وهَدْيِهِ سار خلفاؤه الراشدون ونهجوا نهجه ، كانوا يميزون بين شعْر وشعر ، فيحضون على ماهو حَسَنٌ مفيد ، ويعاقبون على ماهو شائن ضار ، ومافيهم إلا وقد تمثّل بالشعر ، أو دعا إلى روايته ، واعتبرها من تمام المروءة والمعرفة ، فأبو بكر رضى الله عنه يقدّم النابغة ويقول هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بَحْراً وأبْعَدُهُم قَعْراً[1] ، وعثمان بن عفان يُعْجَب بشعر زهير لما يتجلى فيه من صدق ، فقد أنشِدَ قول زهير :

وَمَهْمَا تكُنْ عِنْد امرىءٍ من خَليقَةٍ ∴ وإن خَالَها تَخْفَى على الناس ، تُعْلَمِ

فقال : أحسن زهير وصدق ، لو أن رجلا دخل بيتا فى جوف بيت لتحدث به الناس[2]، وعلى بن أبى طالب يفضل امرأ القيس لأنه رآه « أحسنهم نادمة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة »[3] .

لم يسترح المسلمون لحظة منذ أواخر عهد النبى وخلافة أبى بكر ، فقد خرجت الجيوش إلى كل صَوْبٍ تبغى نشر الإسلام أو الجزية أو القتال ، وتتوالى الانتصارات وترجع الثقة إلى نفوس المسلمين فتفتح الأمصار .. واستمرت الحال على أشُدِّها فى عهد عمر بن الخطاب ، وفى أواخر عهده بدأ المسلمون يثوبون إلى أنفسهم ويؤوبون إلى جزيرتهم بعد أن أفاء الله عليه فيئا عظيما .

وتفرغ عمر لسياسة دولة شاسعة الأطراف ، بِهِمَّةٍ لاتعرف الكلل ، وكانت مُهمةً شاقة، فالحال متغيرة وثَمَّ أسرى وعَبِيدٌ وجَوارٍ زحموا الجزيرة وَسَدُّوا عليها طرقاتها . وازدادت المشكلات والرغبات وتعددت النزوات ولولا حزم عمر لانفلت الزمام . وقد نهى الناس أن ينشدوا شيئا من مناقضة الأنصار ومشركى قريش[4] لأن فى ذلك شَتْمَ الحى بالميت ، وتجديدَ الضغائن ، حِيَاطَةً منه للمجتمع ، وحرصا على سلامة كيانه .

---

(١) ابن رشيق : العمدة ١/٩٥

(٢) ابن رشيق : العمدة ١/٩٥

(٣) الأغانى : ورارة الثقافة ١٠/٣٠٦

(٤) ابن رشيق : العمدة : ١/٩٤

وهذا مادفعه ، حين استعداه الزبرقان بن بدر على الحطيئة لقوله فيه :

دَع اَلمكَارِمَ لا تَرْحَل لِبغْيَتِهَا ∴ واقعُدْ فَإِنَّك أنت الطاعمُ الكاسى

أن يقول له : ماأعْلَمُه هجاك أما تَرْضَى أن تكون طَاعِما كَاسِيًا[1] .

وحين استعداه بنو العَجْلَان على النَّجاشى الشاعر الذى هاجمهم بقوله :

قُبَيِّلةٌ لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ∴ ولايَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

قال : ليت آل الخطاب هكذا ! وحين قَدَّمُوا له بيتا آخر فيهم وهو :

ولايَـردُونَ الماء إلاّ ∴ إذا صَدَر الوُرّادُ عن كُلِّ مَنْهَلِ

قال : ذلك أقل لِلّكَاكِ[2] .

فعمر لم يجهل معنى الشعر وأساليب الهجاء[3] ولكى لاتتسع الفجوة ، وتغور الهوة ، وتتأجج نار المشاحنات والعصبيات ، فَسَّرَ الشعر بمفهوم إسلامى ، وقد انتهج ألا يعاقب شاعرا على هجاءٍ مقذعٍ إلا بعد أن يسمع حكم أصحاب الصنعة ، حدث هذا مع الحطيئة والزبرقان ، فَإِنَّ عمر استدعى حسانا وسأله ، فقال : لم يَهْجُه ولكنه سَلَح عليه ، ويقال إنه سأل لبيدا عن ذلك فقال : مايسرنى أنه لحقنى عن هذا الشعر مالحقه ، وأن لى حُمْرَ النَّعَم ـــ فأمر به عمر فَجُعِلَ فى نَقيرٍ فى بئر ، ثم ألقى عليه شىء ، فقال :

∴ ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَخٍ[4] ∴

ومما يعزز الجانب الإسلامى فى تقييم الشعر عند عمر ، أن سُحَيْما عَبْدُ بنى الحسحاس أنشد عمر بن الخطاب قوله :

عُمَيْـرَةَ وَدِّع أن تَجَهَّـزْتَ غاديـا كفى الشيْبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا[5] .

---

(1) المصدر السابق ١٨٦/٢

(2) ابن قتيبة : الشعر و الشعراء ـــ ٣٣٨/١

(3) يروى أنه قال « رَوُّوا أولادكم مايجمُل من الشعر » المبرد : الكامل ط الاستقامة بالقاهرة ١٥٥/١ وقال « خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته يستميل بها الكريم ويستعطف اللئيم » ، الجاحظ : البيان والتبيين ٣٢٠/٢ بتحقيق عبدالسلام هارون ١١٠/٢ .

(4) الاغانى : ط وزارة الثقافة ١٨٦/٢ وانظر الطبقات لابن سلام ص ١١٦ ـــ النقير : مانُقِر من حجر أو خشب ونحوهما ، وذو مَرخ : وادٍ بالحجاز

(5) غاديا : مبكرا بالرحيل .

فقال عمر : لو قلت شعرك كُلَّه مثل هذا لأعطيتك عليه ، وذكر الجاحظ أن عمر قال له : لو قَدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّيب لأجزتك ، فقال سُحَيم : ما سَعَرْتُ ، يريد ماشعرت ، جعل الشين سينا .

ولما أنشد سُحَيْمٌ هذا قوله :

فَبَـات وِسَادَانـا إلى عَلَجانَـــة وحِقْفٌ تَهادَاه الرِّيَاحُ تَهاديـاَ
وَهَبَّتْ شَمالا آخرَ الليْل قَرَّةٌ ولا ثوْبَ إلا دِرْعُها وردائيا
فما زال بُرْدِى طَيِّباً من ثيابها إلى الحَوْل حتى أُنْهِجَ الثوبُ باليا

قال له عمر : ويلك أنت مقتول(١)، وقد قُتِلَ بسَبب تشبيبه بنساء مولاه .
وروى الأصفهانى عن ابن عباس قوله : « خرجت مع عمر فى أول غزوة غزاها فقال لى ذات ليلة : ياابن عباس أَنْشِدْنى لشاعر الشعراء ، قلت : ومن هو ياأمير المؤمنين ؟ قال ابن أبى سُلْمى ، قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لأنَّه لايتبعُ حُوشِىَّ الكلام ، ولا يعاظِلُ فى المنطقَ ، ولايقولُ إلا مايعرف ، ولايمدح الرجل إلا بمافيه ، أليس الذى يقول :

إذا ابتدَرَتْ قَيسُ بنُ عَيْلاَنَ غَايَةٌ من المجد ، مَنْ يَسْبِقْ إلَيْهَا يُسَوَّدُ
سَبَقْتَ إليها كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّز سَبُوقٍ إلى الغايات غيرَ مُزَنَّدِ
كَفعْل جَوادٍ يَسْبِقُ الخيلَ عَفْـوُهُ السرَّاعَ وإن يَجْهَـدْ ويَجْهَـدْنَ يَبْعُـدِ
وَلَوْ كاَن حَمْدٌ يُخَلِّدُ اَلنَّاسَ لم يمُتْ ولكنَّ حَمْدَ النَّاسِ ليس بِمُخْلِدِ

أنشدنى له : فأنشدته حتى بَرَق الفجر ، فقال : حَسْبُك الآن ، اقرأ

(١) ابن سلام · الطبقات ١٨٧ ، والجاحظ : البيان والتبيين ١/٧١ ، والأغانى ٦/٢٥ ، العلجانة : شجره حضراء مظلمة الخضرة ، ليس لها ورق ، والحِقْفُ : مااستطال واعوج وأشرف من الرمل ، تهاداه : أصلها تتهاداه ، يصف الرمل بالنعومة ــ والشمال : ريح الشمال الباردة ، والقرة : الشديدة البرد ، ودرع المرأة : ثوب ذو يدين تلبسه العواتق ، يقول : أن شدة البرد ألجأت كل واحد إلى حضن صاحبه .

القرآن ، قلت : وماأقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأتها فنزل فَأذَّن فصلى .[1] .

وحوشى الكلام ووحشية هو الذى لايتكرر فى كلام العرب كثيرا ، فإذا وَرَدَ وَرَدَ مستهجنا ، أى هو الغريب المستهجن من الألفاظ ، أما المعاظلة فى الكلام ، فهى إركاب بعض ألفاظه رقاب بعض ، أو هى شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض ، ومداخله لفظة من لفظة أخرى تشبيها أو تجانسا ، ولو اختل المعنى بعض الاختلال . وكان عمر الناقد اذ يذكر حوشى الكلام والمعاظلة كان يريد أن يقرر أن صفات الألفاظ ونظم الكلام وتلاحم أجزائه من الأمور التى ينبغى أخذها فى الاعتبار عند الحكم على الشعر وتقديره .

هذا مايرجع إلى صياغة زهير اللفظية أو خصائص ألفاظه عند عمر ، وأما مايرجع الى معانيه فصفتان : إحداهما أنه لا يقول إلا مايعرف، والأخرى أنه لايمدح الرجل إلا بما يكون فيه ، ومعنى ذلك أن الصدق عنصر أصيل فى النقد عند عمر ، لأنه كان يرى أن الشعر وسيلة من وسائل التهذيب الخلقى والسمو النفسى ، والدقة فى التعبير ، ألم يقل الرسول أن أحسن الشعر ماوافق الحق ومالم يوافق الحق منه فلا خير فيه !!!

---

(١) الأغانى ١٠/٢٩٠ و ٢٩١ ـــ يقول فى البيت الأول : إذا تسابقت قيس بن عيلان ، لإدراك غاية من المجد ، تسوّد من سبق إليها ، كنتَ السابق إليها ، وقيس بن عيلان قبيلة ، ويقال : رجل طلق اليدين إذا كان معطاءً ، وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض يجود بما عنده من العَدْوِ ، والمبرز : الذى يسبق الناس إلى الكرم ، والمزند : هنا البخيل ، واللئيم .

النقد فى الحجاز والعراق والشام

أولا : الحجاز :

حينما جاءت الدولة الأموية اصطحبت معها مشكلاتٍ وخلافاتٍ شتى ، فقد كانت ظروف البيت الأموى صعبة والمهام التى تَصَدَّى لها مُضْنِية ، ولكنه وجد أمامه فرصة سيادة البيت الهاشمى فاغتنمها ، وتشبث بها ، وكان فيها هلاكه — ففى سبيل هذه السيادة ارتضى أن يقيم سلطانه الأموى على أعمدة من الحقد والعسف والإكراه ، واكتفى بامتلاك رقاب الرجال وَتَرْكِ قلوبهم ترعى مراعى الهوى ، ومهاوى النزعات والشطحات ، فلم تكن الدولة الأموية سوى أقاليم متباينة تنضوى تحت اسم واحد وحينما جعلت الدولة سلطانها فى الشام أصبح فى الشام لون أدبى مخالف لما فى الحجاز من أدب ، مغاير لما فى العراق ، هو فى الظاهر أدب له صورة واحدة متصلة بعصر الدولة الأموية لكنه لم يَخْلُ من خصائص تربطه بالبيئة .

فنقد الأدب فى الحجاز — وقد أغرق الأمويون أهله بالمال ليضمنوا سكوتهم كيلا يثوروا أو يطالبوا بالمسلوب من حقهم ، أو حتى يناقشوا مايدور حولهم(١) — هذا النقد تأثر بروح الحجاز ، التى تكونت من روح الدَّعَة والطمأنينة والخير العميم ، الخير الذى نتج عن نظام العطاء منذ عهد عمر بن الخطاب الذى فرض العطاء على أساسين : القرابة من رسول الله ثم السابقة فى الإسلام(٢) .

وازدادت الفتوح على عهد عمر وعثمان ، فازداد أهل الحجاز مالا وثراءً فَكَوَّنوا طبقة لاتعمل شيئا ، وانما يَعْمَل لها ماجَلَبَتْ من الرقيق ، تُنْفقُ وقتها فى فنون اللهو والعبث والمجون ، ونشأ عن هذا أن جُلِبَتْ الحضارة جلبا إلى الحجاز ، وبلاد العرب ، وكانت الفنون التى تنشأ من الترف والتبطل ، فكان الغناء والإيقاع

---

(١) كرد على : الادارة الاسلامية فى عز العرب ط مصر ١٩١٤م ص ٨٢

(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ط الحلبى ، القاهرة ١٩٣٨م ص ١٧

والرقص والشعر الذى لا يُصَوِّرُ جِدًّا ولا نشاطا ، وإنما يصور بطالة وفراغا ، وتهالكا من أجل ذلك على اللذة ، أو عكوفاً من أجل ذلك على النفس[1] فوجدنا إقليم الحجاز غنيا بِفَنَّىْ الغناء والمنادرة كما كان غنيا بالفقه والحديث[2] .

والحقيقة أن الحياة البراقة التى كانت فى الحجاز جاءت نتيجة تدبير سياسى محكم من الأمويين ، فشباب الحجاز الجدير بامتلاك أعِنَّةِ الأمور كعبدالله بن عمر بن الخطاب ، والحسين بن على بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وسعيد بن عثمان بن عفان ، وغيرهم من أبناء مكة وأبناء المدينة الذين كانوا يَرَوْن أنفسَهُم أحقَّ بالخلافة من يزيد بن معاوية نسبا وشرفا وكفاءة ، نجد هؤلاء محاصرين بالمهادنة والملاطفة ومُغْرَقين بالأموال وبتهيئة الحياة السهلة الناعمة المترفة .

فأقليم الحجاز قد فُرِضَت على شبابه أحكامٌ عرفية عسكرية ، لا يجاوز الحجازَ إلا بإذن ، ولايخرج منها إلا فى حاجة ماسة[3] ولاينازعون الأمر أهْلَه ، ويقبعون فى مدنهم لاهين عابثين يائسين محطمين من تسلط الحاكمين ، ومن هنا ثار عبدالله ابن الزبير ، وثار الحسين بن على ، وترك السياسة للفقه عبد الله بن عمر ، وهم فى لهوهم وفى فقههم أفادوا الأدب كثيرا وأفادوا النقد كثيرا . ازدانت هذه الحياة بشخصية تعتبر صورة صادقة مترجمة من قريب لأحواله هى « سُكَيْنَةُ بنت الحسين » ومثلها « ابن أبى عتيق » وهما ناقدان ذواقان ظريفان ، على أيديهما وصل إلينا عديد من الصور النقدية ، لأشكال التعبير ، نستطيع معها أن نحكم على مفهوم الأدب ومدى ماوصل إليه النقد فى عصر الحجاز الأموى :

فقد جاء جريرٌ بيتَ سُكَيْنَةَ بنت الحسين يستأذن ، فلم تأذن وخرجت إليه جارية لها : فقالت : تقول لك سيدتى : أنت القائل :

طَرَقَتْكَ صائدةُ القُلوُبِ وليس ذا ∴ حِينَ الزِّيَارَةِ فارجعى بسلام

قال : نعم ، قالت : فَألَا أخذت بيدها فرحبت بها وأدنيت مجلسها ، وقلت

(١) د . طه حسين : الفتنة الكبرى ط دار المعارف ١٩٤٧م ص ١٠٥

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ط الاعتماد القاهرة ١٩٢٨ ص ١٠٥

(٣) د. طه حسين . حديث الأربعاء ١/٢٢٦ .

لها مايقال لمثلها ، أنت عفيف وفيك ضعف ، فخد هذين الألفى الدرهم فالحق بأهلك(١) .

وسُكَيْنة هذه هي التى أُنْشِدَت أبيات عروة بن أُذَيْنَةَ فى أخيه التى يقول فيها :

سَرَى هَمىّ وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِي ∴ وغَارَ النَّجْمُ إلا قِيدَ فِتْرِ

فلما انتهى إلى قوله :

بحُـزْنٍ ما أزال له مُديماً ∴ كَأنَّ القَلْبَ أُشْعِرَ حَرَّ جَمْر
عَلى بكر أخى وَلَّى حَمِيداً ∴ وأىُّ العيش يَحْسُن بَعْدَ بكر

تساءلت : ومن أخوه بكر ؟ أَلَيْسَ الدَّحْدَاحَ الأسَيِّدَ القصير الذى كان يمر بنا صباحا ومساء ؟ قالوا : نعم ، قالت : كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت(٢) .

وتقول لكثير حين أنشدها قصيدته التى أولها :

أشَاقَك بَرْقٌ آخرَ الليل واصِبُ ∴ تَضَمَّنه فَرْشُ الجَبَا فالمساربُ(٣)
تَألّـق وَاحْمومَى وخَيَّـمَ بالرُّبَـى ∴ أَحَمُّ الذُّرى ذوهَيْدَبٍ مُتَراكبُ(٤) .
إذا زَعْزَعَتْه الريحُ أرْزمَ جانب ∴ بلا خَلْفٍ منه وأومض جَانِبُ
وَهَبْتُ لسُعدى ماءه ونَبَاته ∴ كما كل ذى وُدٍّ لمن ود واهبُ
لِتَرْوى به سُعدى وَيرْوَى صديقها ∴ وَيُغدَقَ أعداد لَهَا وَمَشَارِبُ

تقول له : أتهب لها غيثا عاما جعلك الله والناس فيه أُسوةٌ ؟ فقال : يابنتَ رسول الله ﷺ ، وصفتُ غيثا فأحسنتُه وأمطرتُهُ وأنبته وأكملته ثم وهبته لها ، فقالت : فَهَلاَّ وهبت لها دنانير ودراهم(٥) .

---

(١) الأغانى : ط وزارة الثقافة ٣٨/٨

(٢) المصدر السابق : ٦٣/٧ قيد فتر : قدر فتر والدحداح : القصير الغليظ ، والأُسيِّد : تصغير الأسود .

(٣) واصب : دائم ، فرش الجبا والمسارب : موضعان .

(٤) واحمومى : صار أسود ، أحم : اقترب .

(٥) أرزم: رعد رعدا شديداً ، بلا خلف ، أى بدون تغير فى شدته وعنفه .

ومثلها فى فنها وظَرْفِها ونقدها ــ ابن أبى عتيق ، وهو عبد الله بن أبى عتيق إبن عبدالرحمن بن أبى بكر ، وهو من نُساك قريش وظرفائها بل كان قد بَزّهُم ظَرْفاً[١] يقول لابن قيس الرقيات حينما سلَّم عليه : وعليك السلام يافارس العمْيان . ويقول ابن قيس : ماهذا الاسم الحادث ياأبا محمد ؟ بأبى أنت ــ يقول ابن عتيق : أنت سميت نفسك حين تقول :

تَقَدَّت بى الشهباء نحو ابن جعفر ∴ سواء عليها ليلُها ونَهارُها

فما يستوى الليل والنهار إلا على عمياء ، قال : إنما عَنيت التعب ، قال : فبيتك هَذا يحتاج إلى تَرْجُمان له[٢] . فالبَساطة وسهولة المأخذ فى صياغة الفكرة تحتم على الشاعر البعد عن الغموض ، أما عمر بن أبى ربيعة فحين ينشده قوله فى المرأة التى سَفَرَتْ بينه وبين صاحبته ونجحت فى مسعاها :

فأتتها طَبَّـــــــةٌ عالمةٌ ∴ تَخْلطُ الجِدَّ مِرَارا باللّعب[٣]

تُغْلِظُ القول إذا لانَتْ لها ∴ وتراخى بعَد سَوْرَات الغضب[٤]

لم تزل تَصْرِفُها عن رأيها ∴ وتَأَنَّاهَـــا برفـــق وأدب

قال ابن أبى عتيق : الناس يطلبون خليفة مُذ قتل عثمان فى صفة قَوَّادَتِك هذه ، يدبر أمورهم فما يجدونه[٥]

وحضر ابن أبى عتيق عمر بن أبى ربيعة وهو ينشد قوله :

ومن كان محزونا بإهراق عَبْرةٍ ∴ وَهَى غَرْبُها فليأتنا نُبْكِه غَداً[٦]

نُعِنْهُ على الإثكال إنْ كان ثاكلا ∴ وإن كان محروبا وإن كان مُقْصَداً[٧]

فلما أصبح ابن أبى عتيق أخذ معه خالدا الخِرِّيت وقال له : قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه ، فقال له ابن أبى عتيق : قد جئناك لموعدك ، قال : وأى موعد

---

(١) المبرد : الكامل ط الاستقامة القاهرة ٢/٣٧٨

(٢) الأغانى : ط وزارة الثقافة ٥/٨٩ أى شقت طريقها

(٣) طبة : حادقة رقيقة .

(٤) السورة : الحدة .

(٥) تأناها : تتمهل عليها (بحذف إحدى تائيه) .

(٦) الأغانى : ط وزارة الثقافة ١/١٣٥

(٧) وهى غربها : يريد ضعف دمعها ، ونبكه هنا أى نُعِنْه على البكاء .

(٨) المحروب من سُلِب ماله ، والمقصد : من طعن أو رمى بسهم ولم يخطئ مقاتِلهُ .

بيننا ؟ قالَ : قولك « فليأتنا نبكه غدا » قد جئناك ، والله لانبرح أو تبكى إن كنت صادقا فى قولك أو ننصرف على أنك غير صادق(١) .

ماج الحجاز بالشعر وتحدثت به الركبان فى المجالس الخاصة والعامة وفى المسجد الحرام وفى الأسواق وفى موسم الحج ، وفى كل مكان من الممكن أن يقال فيه شعر أو أن يوحى بشعر :

واتجه النقد إلى إيثار الفن الجميل وتصوره ، وإلى التصوير المتقن وتشجيعه ، وإلى البساطة فى عرض المشاعر ، وقرب المأخذ ، والبعد عن التعقيد ،فَسُكَيْنَةُ أرادت أن تبين للشاعر أنه أساء معاملة المرأة ، وبدلا من أن يقول لها « ارجعى بسلام » كان يقول « ادخلى بسلام » تكريما لها ، ورأيناها تكره المبالغة الشديدة فى وصف الحزن ، وهى مع ذلك تطالب كُثَيِّراً بأن يهب لصاحبته شيئا خاصا بها ، لا يَشْرَكُها فيه أحد ، وهى تفطن هنا أيضا إلى المبالغة المسرفة فى قول كثير ، وابن أبى عتيق يلمح عيب المشاركة ، فلو أن الشاعر تَبَسَّط فى صياغة فكرته لما وقع فى الغموض . إن ظروف المجتمع تفرض أحكاما فنية على الشعراء وعليهم أن يطبقوها ، ألم يتمنَّ الإمام مالك أن يكون مغنيا ؟ فقالت له أمه : يابنى إن المغنى إذا كان قبيح الوجه لم يُلْتَفتْ إلى غنائه ، فَدَعِ الغناء واطلب الفقه فإنه لايضير معه قُبْحُ وجه(٢) ؟ وحين ينشد ابن جُنْدَب الهَذِلى ناقدنا ابن أبى عتيق قَوْلَ العرجى :

مأأنس مِ الأشياء لا أنس قولها ∴ لخادمها قومى اسألى لى عن الوِتْر(٣)
قالت يقول الناس فى سِتَّ عَشْرَةَ ∴ فلا تعجلى منه فَإنَّكِ فى أجْرِ
فما ليلة عندى وإن قيل جمعة ∴ ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفِطْرِ
بعادلة الاثنين عندى وبِالَحرى ∴ يكونُ سَوَاء منهما ليلةُ القدر

(١) الأغانى : ط وزارة الثقافة ١٥٢/١

(٢) أمين الخولى ــ مالك ــ ص ٧٥ . أعلام العرب العدد (١١) ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٣) الوتر : يوم عرفة .

يقول : أُشْهِدكم أنها حرة من مالى ، إن أجاز ذلك أهلها ، هذه والله أفقه من ابن شهَاب [1] .

وهذه عزة التى اشْتُهِرَتْ بِحُب كُثَيِّر لها تتعقب مايقوله فيها وتجلس لتوازن بين فَنَّىْ القول ، قول كثير فيها وقول الأحوص ، وقد أعجبها قولُ الأحوص :

وما كُنْتُ زَوَّاراً ولكنَّ ذا الهوى ∴ إذا لم يُزِرْ لابُدَّ أن سيَزُورُ

وقوله :

ومالعيشُ إلا ماتَلَذُّ وتشْتَهِى ∴ وإن لَامَ فيه ذُو الشِّنانِ وفَنَّدَا

بينما تلوم كثيِّرا حين يقول فيها :

يُحَاذِرْن مِنِّى غَيْرةً قد عَرَفْنَها ∴ لَدىَّ فَما يَضْحَكْن إلّا تَبَسُّمَا

ويشق عليها قوله :

وَدِدْتُ وبيت الله أنك بَكرَةٌ ∴ هَجَانٌ وأنى مَصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ [2]

كِلَانا به عُرٌّ مَن يَرَنَا يَقُلْ ∴ على حسنها جَرْباءُ تُعْدِى وأجْرَبُ [3]

وتقول له : ويحك ، لقد أردت بى الشقاء الطويل ، ومن المُنىَ ماهو أعفى من هذا وأطيب [4] .

ثانيا ـــ العراق :

والأمر يختلف بالنسبة للعراق بمصريه ، فالعراق قد تعاقبت عليه الأمم المتحضرة ، من نحو ثلاثين قرنا قبل الميلاد ، فالبابليون والآشوريون [5] والكِلْدانيون والفرس والروم كل أولئك ـــ أنشأوا فى العراق ممالك تختلف فى صبغتها عن جيرانها الأقربين ـــ حضارةً وأدباً وفناً وعلماً ـــ .

---

(١) الأغانى : ط وزارة الثقافة ١/٣٩٩ وابن شهاب هو : الزهرى ، محمد بن مسلم بن عبد الله بن

(٢) شهاب ، أبو بكر ، أول من دَوَّن الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء ، تابعى من أهل المدينة ،

(٣) توفى ـــ ١٢٤ هـ . الأعلام ٧/٩٧

(٤) هَجَان : ناقة بيضاء كريمة ، وبكرة : الفتى من الإبل ، مصعب : الفحل .

العر : الجرب .

المرزبانى : الموشح ٢٤٧ .

(٥) المسعودى : مروج الذهب ط بولاق ١٢٨٣ هـ ٢/٣ .

نجد البصرة كانت أكثر تأثرا بالحضارة الأجنبية لقربها من فارس ولكثرة من بها من غير العرب من الموالى والفرس والنَّبَط والسُّريان وغيرهم ــ كذا الكوفة كانت تجمع أشتاتا من القبائل المختلفة ــ وكانت أقرب إلى الحيرة المشهورة بأديرتها وبأثر المسيحية فيها .

والعراق هذا ــ كان مسرحا عجيبا لأحداثٍ وفتن متعاقبة فى عهد الدولة الأموية فمنذ مقتل عثمان ــ يوم الدار [illegible] مشتعل ، ذهبت عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة فذهب على بن أبى طالب إلى الكوفة ، وكانت بين البصرة والكوفة واقعة الجمل(١) ثم ذهب الحسين إلى الكوفة وبها لقى مقتله ، وخرج المختار الثقفى بالكوفة يطلب بثأر الحسين فاستولى مصعب بن الزبير على البصرة وسار إلى الكوفة فقتل بها المختار(٢) وجَهَّزَ عبد الملك جيشا وسار إلى العراق فَقَتَلَ مُصْعبا (٣) وتغلب عبد الرحمن بن الأشعث على الكوفة فسار إليه الحجاج وتغلب عليه(٤) .

حروب وفِتَنٌ وقَتَلَةٌ وقَتْلَى منذ مقتل عثمان إلى مابعده بأمد بعيد ، ولقد حدد العراق موقفه منذ البداية ، المعارضة والمناهضة والصد العنيد للأمويين ودولتهم ، فدفع أبناءه ثمنا لشمُوسِه ، ولم يكن هذا إلا [illegible] لما يُكِنُّهُ العراقيون من بُغْضٍ للشاميين ، أو بالأصح لم يكن إلا صورة لما كان فى الجاهلية بين الغساسنة والمناذرة(٥) ، أو ماكان بين الدولة الرومانية فى الشام والفارسية فى العراق(٦) ، ومن ثَمَّ فَقَدَ العراقيون إلا القليل منهم الشعور بالانضواء تحت لواء دولة عاصمتها دمشق ، فمال كل فرد إلى قبيلته ، ومالت القبائل إلى الأحزاب ، وقد كثرت الأحزاب واختلفت برامجها ، وهكذا اختلفت أسماء الأحزاب ولكنها اتفقت على ضرورة القضاء على الدولة الحاكمة .

---

(١) المصدر السابق والطبعة ٢ / ٩٠

(٢) المصدر السابق والطبعة ٢ / ١١٤

(٣) المصدر السابق والطبعة ٢ / ١٢٠

(٤) المصدر السابق والطبعة ٢ / ١٣٥

(٥) د . سيدة الكاشف : الوليد بن عبد الملك : سلسلة أعلام العرب رقم ١٧ ط وزارة الثقافة مايو ١٩٦٣ ص ٦١ .

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ط ليدن ١٨٦٦ م ص ٢٧٦ .

وتجاه هذا لم يكن أمام الخلفاء إلا اتباع سياسة التفرقة بين القبائل والإيقاع بينها[١] ، وتأليب الشعراء عليهم وعلى أنفسهم وإثارة الفتن بين صفوفهم حتى يتمكنوا من السيطرة عليهم ، فكان الشعر أمضى أسلحتهم بطبيعة الحال ، ومن أنسب ألوان الشعر فى هذه الأحقاد السياسية ، الهجاء القبَلىّ والمديح السياسى .

ولَأمْرٍ مابكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء كما يقول الجاحظ[٢] ومن ثَمَّ علا شأن الفرزدق وجرير والأخطل ومن سار فى دربهم .

ونقدم فَنُّ الهجاءِ الألوانَ الأدبيةَ فى العراق فتشكل النقد بشكل الأدب بعد ماتأثر الأدب بمصلحة الخلفاء .

فى العراق حدثت رجعة إلى الوراء طى السنين ، حدثت انتقالة كبرى من سماحة الإسلام إلى نُعْرَةِ الجاهلية وطيشها[٣] يجتمع جرير والفرزداق والأخطل ينهشون أعراض الحى والميت ، ويرجُفون بأبذأِ العبارات والناس من حولهم يستمعون ويستزيدون ، ألم يُعَرِّف جرير بنفسه قائلا :

إنّى امروٌ خُلِقْتُ شَكّساً أشْوَسا ∴ إن تَضرِسَانِي تَضْرِساً مُضَرَّساً[٤]

والذى نقرؤه عنهم يجب ألّا نأخذَهُ مأخذَ الجِدّ . فهجاؤهم أقرب إلى اللهو والعبث ونتيجةً للبطالة والفراغ ، كانوا يتهاجون ويتشاتمون وغرضهم الأساسى إعجاب الجمهور من الخصوم وغير الخصوم[٥] . لقد تعصب الجمهور لهؤلاء الثلاثة وشُغِفَ بتتبع أخبارهم ـــ يحكى ابن سلام : اجتمعنا جماعة ، فقوم تقلدوا حِذْقَ الفرزدق وقوم تقلدوا حذقِ جرير ، فقلنا لبعضهم اذهب فأَخْرِج مقلدات الفرزدق ، وقلنا لآخر اذهب فأَخْرِج مَقلدات جرير ، فجاء صاحب الفرزدق

(١) المسعودى : مروج الذهب ـــ ١٩/٢ ، انظر باب ذكر السبب فى العصبية بين النزاريه واليمنية .

(١) الجاحظ ـــ الحيوان ١ / ٣٥٩ .

(٢) يقول أحمد أمين : « رحل العرب إلى العراق يحملون بين جنوبهم العصبية القبلية ، وارستقراطية الفاتح فكان من مظاهر الأمر الأول .. » ، ضحى الإسلام ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ـــ القاهرة ١٩٥٥ ص ١٨٠ .

(٤) الأغانى ط وزارة الثقافة ٨ / ٥٤ .

(٤) د . شوقى ضيف : التطور والتجديد ط دار المعارف ـــ الثالثة ـــ القاهرة ١٩٦٥ .

فأخرج معايب شعر الفرزدق ، وجاء هذا وأخرج المقلدات ، فكانت مقلدات جرير أكثر من معايب الفرزدق(١) وأبو حاتم كان يسمع الأصمعى يفضل جريرا على الفرزدق كثيرا(٢) وكان ابن سلام الجمحى يفضِّلُ الفرزدق(٣) واجتمع مجلس وتذاكروا جريرا والفرزدق والأخطل ففضَّله سلمة بن عَيَّاش عليهما(٤) وكذا عباد بن الحجاج أبو الخطاب كان عالما بالشعر مائلا إلى الأخطل(٥) .

نعم ، لقد صار هذا الثلاثى حديث الجمهور فى الحرب ، فيقاتل المهلب بن أبى صُفْرة الأزارقة ، فيسمع جَلَبَةً وصياحا ، يسأل عن كنهها ، فيقولون جماعة من العرب تحاكموا إليك فى شىء فأذن لهم ، فقالوا : إناَّ اختلفنا فى جرير والفرزدق(٦) .

وفى قصور الأمراء أيضا : يقول لهم الحجاج وهو فى قصره بالبصرة : ايتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية(٧) .

شَغَل الهجاءُ النَّاسَ حتى تعجب ذو الرمه أنْ لا ينال شهرتَهمُا ويسأل الفرزدق فى هذا وهو ينشده :

أمنزْلتىْ مَىٍّ سلام عليكما ∴ هل الأزمُن اللائى مَضْينَ رواجعُ

قال : كيف ترى ياأبا فراس ؟ قال : أرى خيرا . قال : فما لى لاأُعَدُّ من الفحول ، قال : يمنعك من ذلك صفة الصحارى وأبْعارُ الإبْل(٨) .

ولا يُفْهم من هذا أن الشعر فى العراق تحول إلى هجاء ، فلقد كانت فيه الأغراض كلها ولكثرة ماتهاجى الفرزدق وجرير والأخطل شُهروا به ، فالفرزدق كان يقول فى كل شىَء وكان سريع الجواب(٨) ، وقال يصف مجلس شراب له مع

(١) المرزبانى : الموشح ١٨٥ .

(٢) الأصمعى : فحولة الشعراء ، تحقيق الزينى وحفاجى المطبعة المنيرة بالقاهرة ١٩٥٣ ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق والطبعة ١٨٦ .

(٤) الأغانى · ط وزارة الثقافة ٨ / ٢٨٤

(٥) المرزبانى : الموشح ٢٢٥ .

(٦) الأغانى — ط ورارة الثقافة ٨ / ٤٢ و ٤٣ .

(٧) المصدر السابق والطبعة ٨ / ٧٦ .

(٨) المرزبانى . الموشح ٢٧٣ .

(٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : تحقيق أحمد محمد شاكر ط الحلبى سنة ١٣٦٤ هـ ص ١ / ٤٤٥ .

الشاعر يحيى بن الحصين الرقاشي ...[1] ورثى ابن أخيه محمدا بأبيات مقلَّدات ... وكذا فعل جرير فى ابنه سوادة[2] ، وفى أم حَرْزَةَ زوجته التى رثاها جرير بأبيات كان يُسَمِّيها الجوساء لذهابها فى البلاد[3] .

قالوا فى شتَّى الأغراض ، وأكثروا ، وكذا الأخطل بكى ورثى . ووصف الخمر والقيان واللهو ، ومدح[4] ولكن شَهَرَتْه نقائضُه .

وكان النقد يلتفت إلى مدى التفنن فى الوصول إلى مايكيد ويغيظ ، وبيت جرير فى الراعى « فَغُضَّ الطَّرْفَ » قد حفظه الصغار والكبار ، وجعل بنى نُمَيْر تَسُبُّ الراعى وابنه ويتشاءمون به [5] .

ونجد نقدا آخر ، يعتبر فنيا لذات الفن ، كان يقوم به الفرزدق وغيره من الشعراء ، فحين يُسْأل من أشْعَرُ الناس ؟ يقول : ذو القروح ، يعنى امرأ القيس ، حين يقول :

وَقَاهُمْ جَدُّهُم ببنى أبيهم ∴ وبالأشْقَين ماكان العِقَابُ
وأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضاً ∴ ولو أدْرَكْنَهُ ، صَفِرَ الوِطَابُ[6]

ومن ذلك رأيه فى النابغة الجَعْدى ، فإنه فى رأيه ، كان صاحب خُلْقَان ، عِنْدهُ مُطْرَفٌ بآلاف ، وخمار بواف[7] ومثله نقد جرير لعمر بن لجأ فى قوله فى أرجوزته يصف فيها إبله :

(١) المصدر السابق والطبعة ١ / ٤٤٧ .
(٢) ابن سلام : الطبقات ٤٥٦ و ٤٦١
(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١ / ٤٦٤ .
(٤) الأخطل : شعر الأخطل ، رواية أبى عبدالله محمد اليزيدى ، وتعليق الأب صالحانى ، ط بيروت ١٩٨١م — فى أماكن متفرقة .
(٥) الأغانى — ط وزارة الثقافة — ٨/٨١ و ٢٨٨ و٣٠٢ و٣٠٤ و٣٠٦ و٣١٧ .
(٦) ابن سلام — الطبقات — ٥٣ . والجد : الحظ والسعد ، والأشقين : جمع أشقى ، يعنى الأشقياء الذين ساء حظهم ، ولاذنب لهم ، وهم بنو كنانة ، الذى وضع فيهم امرؤ القيس سلاحه ، يحسبهم بنى أسد ، وقد وقى الحظ بنى أسد ببنى كنانة ، وهما أبناء عمومتهم ، وعلباء : هو علباء بن الحارث الكاهلى وكان ممن أعان على قتل أبى امرئ القيس . يقال : أفلت جريضا : أى من بعد شر كاد يقضى عليه من الجهد ، والجرض : غصص الموت ، والوطاب : جمع وطب ، سقاء من جلد يكون فيه اللبن .
(٧) ابن قتيبة : الشعر والشعراء — ١/٢٧ ، والأغانى —٥/٢٨ ط وزارة الثقافة ، والواف يعنى درهما .

قَدْ وَرَدَتْ قَبْلَ إِنَى ضِحَائهاَ ∴ تَقْرُشُ الحَيَّاتِ فى خِرْشَائِهـــاَ
. جَرَّ العَجُوزِ الثِّنْىَ من رِدَائِهاَ .

فقال له : أخففت مَرَّهَا ، فقال ، فكيف أقول ؟ قال : جر العروس الثِّنْىَ من ردائها[١] .

ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل كان الشعراء يجتمعون فى شبه ندوات ، ويناقشون أعمالهم الفنية ، فَنُصَيْبٌ والكميت وذو الرمة يجلسون ، فينشدهما الكميت :

∴ هلْ أنْتَ عن طَلَبِ الأَيْفَاعِ مُنْقَلِبُ[٢] ∴

حتى بلغ قوله :

أم هل ظَعَائِنُ بالعَلْيَاءِ نَافِعَةٌ ∴ وإن تكامل فيها الأُنْسُ والشَّنَبُ[٣]

فعقد نصيب واحدة — فقال له الكميت : ماذا تحصى ؟ قال : خَطَأَكَ ، باعدت فى القول ما الأنس من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو االرمة :
لَمْيَاءَ فى شفتيها حُوَّةٌ لَعَسُ ∴ وفى اللِّثَاتِ وفى أنيَابِهَا شَنَبُ[٤]
ثم أنشدهما قوله :
اذا ماالهَجَــارِسُ غَنَّيْنَهـــــا ∴ تُجَاوِبْـن بالفَلَـوَاتِ الوِبَـــارا[٥]

---

(١) ابن سلام — الطبقات — ٤٢٤ ، أنى الشىء يأنى . أدرك وحان وقته ، والضحاء : الغداء الذى يؤكل ضُحًى إذا ارتفع النهار ، وضحاء الإبل مرعاها فى ذلك الوقت ، تقرش أو تفرس ، تجمع الفريسة ، وتدقها وتكسر عنقها ، والخرشاء : جلد الحية ، وأخففت مَرَّهَا : أى جعلت مرورها خفيفا ، والإبل تمدح بشدة وطئها فى مَرِّها ، والعجوز بطيئة الحركة خفية الأثر على الأرض .

(٢) الأيفاع : الكواعب االتى شارفت البلوغ .

(٣) العلياء : اسم بلد ، التنب : رقة وَبَرْدٌ وعدوبة فى الأسنان .

(٤) اللمياء : البينة اللَّمىَ وهى سمرة الشفتين واللثات ، والحوة : سمرة الشفة ، واللَّعَسُ : سواد اللثة والشفة فى حمره وهو بدل مما قبله .

(٥) الهجارس : جمع هجْرس وهو القرد والتعلب أو ولده ، وهو الدب أيضا ، الوبار ج وَبْر وهو دويبة على قدر السِّنَّوْرَ غبراء أو بيضاء ، تُدْجِنُ فى البيوت ، حسنة العينين شديدة الحياء ، تكون بالغور والأنثى وبرة .

فقال له النصيب : الوبار لاتسكن الفلوات ، ثم أنشد حتى بلغ منها ، قوله :

كأن الغُطَامِطَ من غَلْيِهَا ∴ أراجيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفاراً[1]

فقال له النصيب : ماهجت أسْلَمُ غِفاراً قط ، فأنكسر الكميت وأمسك[2] .

وهذا النقد الذى دار بين الشعراء يقوم على ماتَقَرَّر على وجهٍ ما من مقتضيات الصناعة ، إذ تتطلب من الشاعر أن يلائم بين الصور ويوائم بين المعانى[3] .

وفى العراق ساد لون آخر من الأدب والنقد ، هو أدب ونقد الخوارج[4] أو الشُّراةِ[5] أو الحَرُورِيَّةِ[6] .

وأدبهم لايهجو ولَا يمدح ، وإنما يتعفف فى رُوحَانِية سامية ، ورقة دينية شفافة ، يروون أن عِمران بن حطان مر على الفرزدق وهو ينشد الناس فوقف عليه ثم قال :

أيها المادحُ العبادَ لِيُعْطَى ∴ إن لِلّه ما بأيدى العباد

فاسأل الله ما طلبت إليْهم ∴ وارْجُ نفع المُنَزِّل العَوَّادِ

لاتقل فى الجواد ماليس فيه ∴ وتسمى البخيلَ باسم الجواد[7]

وكان بعض الخوارج يسمى عاصم بن الحدثان — أحد شعراء الخوارج شاعر

---

(١) الغُطَامط : بضم الغين صوت غليان القدر ، أُسلم وعفار : قبيلتان .

(٢) الأغانى : ط وزارة الثقافة ١/٣٤٨ .

(٣) د . طه الحاجرى : تاريخ المذاهب الأدبية ١١٣ .

(٤) كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين لهم بأحسان والأئمة فى كل زمان — انظر الشهرستانى — الملل والنحل تحقيق محمد سيد كيلانى ط الحلبى ١/١١٤ .

(٥) أخذا بقوله تعالى «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» (التوبة — ١١١) .

(٦) نسبة إلى صحراء حروراء التى اعتزلوا فيها عليا ساعة التحكيم .

(٧) الأغانى : ط الوزارة ٧/٢٣٧ . وشعر الخوارج — ١٨٤ جمع د . إحسان عباس ط بيروت ١٩٧٤م

المؤمنين ، والفرزدق شاعر الكافرين ، أنهم يزنون الشعراء بميزان الدين والأخلاق[1] ويرجع ذلك إلى تكوينهم وشعورهم الدينى[2] .

ونجد النقد اللغوى العلمى بجوار مامر بنا من ألوان ومقاييس نقدية ، وقد حذق هذا اللون طبقة علماء العربية ، وفى طليعتهم يحيى بن يَعْمَرَ ، وعيسى بن عمر ، وعبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى وأبو عمرو بن العلاء وهؤلاء من تلامذة أبى الأسود الدُّؤَلى .

وعلا شأن العلماء وهابهم الشعراء ، وحَرَصُوا على تجويد صنعتهم حتى لايتلمس العلماء فيها الخطأ اللغوى أو النحوى أو الموسيقى ، وهكذا فرض العلماء سلطانهم على الشعر والشعراء لسيطرتهم على الشباب المتعلم المتحلق حولهم فى المساجد . ولتصدرهم مجالس الخلفاء والأمراء والقصور ، فلهم رأى مسموع[3] .

يجىء مروان بن أبى حفصة إلى حلقة يونس فَيُسَلِّم ، ثم يقول : أيكم يونس ؟ فيقول الأصمعى : فأومانا إليه ، فقال له : أصلحك الله ، إنى أرى قوما يقولون الشعر ، لأَنْ يكشف أحدهم سوءته ثم يمشى كذلك فى الطريق أحسن له من أن يُظْهر مثل ذلك الشعر ، وقد قلت شعرا أعرضه عليك ، فإنْ كان جيدا أظهرته وإن كان رديئا سترته وأنشده قوله :

∴ طَرَقَتْكَ زَائِرةً فَحيِّ خَيالَهَا ∴

فقال له يونس : ياهذا ، اذهب ، فأظْهِر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله (رَحَلتْ سُمَية غُدوَةً أَجمْالَها) فقال له مروان : سررتنى وسؤتنى ، فأما الذى سررتنى به فارتضاؤك شعرى ، وأما الذى ساءنى فتقديمك إياى على الأعشى ، وأنت تعرف محله ، فقال : إنمَّا قَدمْتُك عليه فى تلك القصيدة لا فى شعره كله ، لأنه قال فيها (فأصاب حبه قلبها وطِحاَلهَا)

---

(١) أحمد أمين : النقد الأدبى ط لجنة التأليف والترجمة ــ القاهرة ١٩٥٢م ص ٤٢٩ .

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ٣/٣٤٤ وانظر رأى د . سهير القلماوى فى « أدب الخوارج » ط لجنة التأليف والترجمة ــ القاهرة ١٩٤٥م ــ ٤١ .

(٣) يقول الخليل بن أحمد لابن منادر « إنما أنتم معشر الشعراء تبع لى وأنا سكان السفينة أنْ قرظتكم ورضيت لكم نفقتم وإلاَّ كُسِّرتم » الأغانى ط الهيئة ١٨ /١٨ .

والطحال لايدخل فى شيء إلّا أفسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وِشَبْهِهِ[1] .

وجاء رجل إلى خلف فقال : إنى قد قلت شعراً أحببت أن أعرضه عليك ، فقال هات ، فأنشده :

رقد النوى حتى إذا انتبه الهوى .·. بعث النوى بالهجر والتَّرْحال

ما للنوى جَدَّ النوى قُطعَ النوى .·. بالوصل بين مَيَامِنٍ وشمال

فقال له خلف : دَعْ قولى واحذر الشاة ، فو الله لئن ظَفِرَت بهذا البيت لتجعلنَّه بَعَراً ، على أنى ماظننت بك هذا كله[2] .

وسئل يونس بن حبيب عن قول ابن قيس الرقيات .·. مامر يوم إلا وعندهما لحم رجال أو يالغان دما .·.»

فقال يونس : يجوز يَوْلِغان ، ولايجوز يالغان ، فقيل له : فقد قال ذلك ابن قيس الرقيات وهو حجازى فصيح ، فقال ليس بفصيح ولاثقة ، شَغَلَ نَفْسَه بالشرب بتكريت[3] .

وابن أبى اسحق يتتبع سقطات الفرزدق ويخطئه ويلحِّنه حتى يهجو الفرزدقي ، فيصحح له خَطَأه فى الهجاء أيضا[4] والأُصمعى يقرأ على أبى عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبيانى فما أن يبلغ فى وصف الناقة .

مَقْذُوفةٌ بدخيس النَّحْضِ بَازِلُها .·. لها صَرِيفٌ صريفَ القَعْوِ بالمَسَدِ

يقول أبو عمرو : ما أضر عليه فى ناقته ما وصف ، فقال له : كيف ؟ قال : لأن صريف الفحول من النشاط وصريف الإناث من الإعياء والضجر ، كذا تكلمت العرب[5] .

---

(١) الأغانى : ط الوزارة ٨٢/٥ وتكريت بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ــ ياقوت الحموى ــ معجم البلدان المجلد الأول الجزء الثانى ص ٨٦١ ط ليبزج ١٨٦٦م

(٢) المرزبانى ــ الموشح ــ ٥٥٧ ، والجز : القطع

(٣) ابن سلام : الطبقات ١٦ .

(٤) المرزبانى : الموشح ٥١ والدخيس اللحم المكتنز الكثير ، النحض : اللحم ، البازل : السن حين تطلع ، الصريف : صياح من النشاط والفرح ، القعو : مايضم البكرة إذا كانت من خشب ، المسد : الحبل المفتول ــ إن الناقة من فرط سمنتها كأنها رميت من اللحم الصلب مما شاءت ، وإذا كانت كذلك فحسبك بها نشاطا .

وعاب رؤبة بن العجاج أباه بالسناد ـــ وهو اختلاف مايراعى قبل الروى من الحروف والحركات ، فقد أسس بيتا ولم يؤسس آخر فى قوله :

∴ يادار سَلْمىَ ياسْلَمي ثم اسلمى ∴

ثم قال :

∴ بِسَمْسَم أو عن يمين سَمْسَم ∴

ثم قال :

∴ فَخِنْدِفٌ هامة هذا العالم(١) ∴

ونلحظ أن العلماء قد عالجت الأدب فى عناصره الأصيلة ـــ وهى إنْ حُسبَتْ فى الموضوعية إلا أنها « موضوعية جزئية » ، ومَردُّها أن الناقد من هؤلاء العُلماء كان يبحث فى شعر الشاعر عن الهنات التى كان يعرفهما ويحاول أن يصححها وَفْقا لمقاييسه فى الناحية التى تَمَكَّن منها ، ولايَعنْيه بعد ذلك شىء من البحث فى جو القصيدة أو فيما اشتملت عليه من المعانى (٢) .

وهكذا لَمْ يَعُدْ النقد مجرد خطرات أو انطباعات شخصية إنما أصبحت تتدخل فيه أُطراف من الثقافات اللغوية والنحوية وغيرها .

ثالثا : الشام

والنقد فى الشام يختلف عن نقد العراق ونقد الحجاز ، فقد كان نقدا مرتبطا بفن كونته الظروف ، فالدولة ناشئة وتحتاج إلى من يؤيدها ، والشاميون لايعرفون غير الأمويين ، والعراقيون لايعرفون غير العلويين ، أما الحجازيون فيعرفون مَنْ معاوية ؟ ومَنْ حرب ؟ كما يعرفون كيف أصبح الأمويون خلفاء .

وبيئة الشام لم تكن بيئةً شاعرةً كما كانت بيئة العراق(٣) فهم قَحْطَانيون(٤) اصطنعوا العربية الشمالية اصطناعا ، ولم ينشط بينهم سوى شعر السياسة ـــ

---

(١) الموشح ـــ ٦ و٢٢ . وسمسم : موضع ـــ وقالوا : إن رؤبة اعتذر عن أبيه بأن لغته همز الألف فى نحو عألم وخأتم ، فلا عيب فى كلامه .

(٢) د . شوقى ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الأموى ٤٧ .

(٣) المبرد : الكامل ١/١٩٠ .

(٤) الأغانى : ط الوزارة ١٠/٨٢ .

سياسة الدولة حيال القبائل فى الشام وحيال الأحزاب السياسية خارج الشام .

ولم يكن أمام الأمويين إلَّا تبنيّ مذهب فنى عقلى جَبْرى ، فهم أنفسهم لا إرادة لهم فى تولى الخلافة ، وإنما هى إرادة الله وعدله الذى جعلهم خلفاء على أمته ، فعلى أمته الخضوع والاستسلام ، وبهذا الشكل احتاج الأمر لبعض الشعراء الذين يكذبون على الناس بحفنة من المال .

أحسنت الدولة استخدام سلاح الشعر والشعراء ، ولم يكن الأمر مقصورا على دعاة يقبعون بجوار الخلفاء ، بل انتشروا فى أرجاء الأمصار الإسلامية ، ففى مكة كان أبو العباس الأعمى ، وفى المدينة كان الأحوص ، وفى الكوفة كان عبد الله ابن الزبير الأسدى ، والقطامىّ ، وأعشى تغلب وغيرهم من الشعراء الوافدين[1] ودُعَاتُهم هؤلاءِ يقررون دائما حَقَّهُم ، وأفضليتَهُم فى إرث النبوة .

اجتمع الناس عند معاوية حين انتهى أمر الشورى فى الخلافة ، وقام الخطباء لبيعة يزيد ، وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من عُذْرة يقال له اليزيد بن المقنع ، فاخترط من سيفه شبرا ثم قال : هذا أمير المؤمنين ، وأشار بيده إلى معاوية ، فإنْ مات فهذا ، وأشار بيده إلى يزيد ، ومَنْ أبىَ فهذا ، وأشار بيده إلى سيفه ، فقال معاوية : أنت سيد الخطباء[2] . وأقول : بل هو أحد مُعْلِنِي سياسة الدول الأموية .

وحين تكون هذه اللافتات هى واجهة الدولة الأموية ، فَمَنْ سيكون شاعِرَها سوى رجل كالأخطل شاعر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان[3] أو كجرير الذى أضفى على عبد الملك وأولاده كل مايضفيه الشيعة على أئمتهم من صفات روحية[4] .

وعندما يقود المدح فَنَّ القول فلا بد أن يتبعه النقد إلى هناك ، نقد يحدد مصلحة الدولة بجوار مصلحة الفن ، وحينما يتسلق الشعراء ، جبل الإغراب فى

(١) د . شوقى ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الأموى ٩٨ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١/٣١٥ .

(٣) الأغانى : ط الوزارة ٨/٢٨٨ .

(٤) د . شوقى ضيف : التطور والتجديد ٩٩ دار المعارف ـــ القاهرة ١٩٦٥م .

المديح ، والإسراف فى الرياء ، والإغراق فى الكذب ، يَضِجُّ عبد الملك ويصرخ فيهم : يامعشر الشعراء تُشَبِّهوننا بالأسد الأبخر والجبل الوعر والمِلْح الأُجَاج ، أمّا قلتم كما قال كَعْبُ الأشقرى فى المهلب وولده :

لقد خاب أقوام سَرَوْا ظلم الدُّجى   يَؤُمّون عَمْراً ذاَ الشعير وذَا البُرّ
يَؤُمّون من نال الغِنَى بعد شَيْبِهِ   وقاسى وَلِيداً مايقاسى ذَوُو الفقر[1]

وكان عبد الملك يحب الشعر والتقريظ والمدح[2] خليفةً ، أما عربيا ، فله ذوقه الأصيل وحبه الفطرى للشعر ، يستجيشه اللفظ الموحى ، وتحركه الالتفاتة المعبرة ، وتطريه النخوة والعزة والخلال العربية الكريمة ، لذا ، اغتاظ من الشعراء الذين يريدونه أن يصدِّق أكاذيبهم طلبا لنواله ، ومن أخباره الأدبية مايدل على سلامة وقوة حاسته النقدية التى أعانته على ملاحظة الكثير من عيوب الشعراء ، فنراه قد أخذ عليهم سَقَمَ الذوق ومجافاة كلامهم لمقتضى الحال وعدم البراعة فى الاستهلال استهل ذو الرمة قصيدته البائية بقوله :

مابَالُ عَيْنِكَ مِنْها الماء يَنْسكِبُ ∴ كأنه من كُلَّى مَفرِيَّةٍ سَرِبُ ؟

وكانت عينا عبد الملك تسيلان ماء ، فغضب عليه ونَحّاه[3] وعاب نُبُوَّ ذوق جرير فى قوله :

هذا ابن عمى فى دمشق خليفةً ∴ لو شِئْتُ ساقَكُمُ إلىَّ قَطِيناَ

فقال عبد االملك : مازاد ابن المراغة على أن جعلنى شُرَطِياً ، أما أنه لو قال : « لو شاء ساقكم إلى قطينا » لسقتهم إليه »[4] .

ومن أخباره أنه كان يتدخل أحيانا بتعديل مالا يَحْسُن معناه ، روى المبرد أن عبد الملك بن مروان أنشد بيت الاعشى :

أتانى يؤامرنى فى الصبُّوح ∴ لَيْلًا فقلت له غَادِهَا

---

(١) الأغانى : ط الورارة ٢٩٧/١٤ .

(٢) المصدر السابق وطبعته ٦٠/٨ ومابعدها فى أخبار جرير والأخطل .

(٣) المرزبانى : الموشح ٣٧٤ ، وسربت المزادة أى سالت ، ومفرية : مقطوعة على جهة الإصلاح وغيره يقول : أفريت الشىء شققته .

(٤) الأغانى : ط الوزارة ٦٠/٨ ، والموشح : ٢٠١ .

فقال : أساء ، ألا قال : هاتها[1] ، وذكر ابن قتيبة أن الأُقَيْشِرَ الشاعر دخل على عبد الملك بن مروان وعنده قوم فتذاكروا الشعر ، وذكروا قول نصيب ابن رَبَاح :

أهيمُ بِدَعْدٍ ماحَييتُ فإنْ أمُتْ ∴ فَيَا وَيْحَ دَعْدٍ من يهيم بها بعدى

فقال الأقيشر والله لقد أساء قائل هذا الشعر ، قال عبد الملك : فكيف تقول لو كنت قائله : قال : كنت أقول :

تُحِبُّكُمُ نَفْسِي حياتى فإن أمت ∴ أُوَكِّل بِدَعْدٍ من يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك : والله لأنت أسوأ منه قولا حين تُوَكِّل بها ، فقال الأقيشر : فكيف كنت تقول ياأمير المؤمنين : قال : كنت أقول :

تحبكم نَفسى حياتى فإن أمت ∴ فلا صلحت دعد لذى خُلَّةٍ بعدى

فقال القوم جميعا : أنت والله ياأمير المؤمنين أشعر القوم[2] !

ولم يكن مجلس عبد الملك وحده هو الذى يرعى الشعر ، فقد كانت ثَمَّ مجالس أدبية أخرى لخلفاء أمويين وأمراء ، ولاسيما مجلس أبناء عبد الملك الذين نَهَجُوا نَهْجَهُ ، فالوليد بن عبد الملك كان يدعو الشعراء فى مجلس يستمع بعضهم إلى بعض وينقد بعضهم بعضا ، كما كان يسهم هو فى ذلك[3] .

أما سليمان بن عبد الملك فقد دخل عليه نصيب وعنده الفرزدق ، فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سينشده مديحا له : فأنشده قوله يفتخر :

وَرَكْبٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عندهم ∴ لها تِرَةً من جَذْبِها بالعصائب

سَرَوْا يَرْكَبُونَ الريح وهى تَلُفُّهم ∴ على شُعَبِ الأكوار من كل جانب

إذا استوضحوا نارا يقولون ليتها ∴ وقد خَصِرَت أيديهمُ نارُ غَالبِ[4]

---

(١) المرزبانى : الموشح ٦٤ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤١٢/١ والخلة بضم الخاء : الصداقة .

(٣) انظر المرزبانى : ٣٢ وما بعدها و ٣٣٧ ، والأغانى ط الوزارة ٣٣٥/١٦ و٢٥٩/٨ .

(٤) العصائب : هنا العمائم ، أى ان الريح لشدتها تنقضُ لىّ عمائمهم ، وغالب هو جدّ الفرزدق

فأعرض عنه مغضبا لفخره بحضرته ، فقال نصيب : ياأمير المؤمنين ألا أنشدك فى رَوِيِّها مالعله لايتضع عنها ، قال : هات ، فأنشده :

أقول لركب صادرين لَقِيتُهُم ∴ قَفاَ ذاَت أوْشَالٍ ومولاك قاربُ
قِفوا خبرُونى عن سليمان إننى ∴ لِمعْرُوفه من أهل وَدَّان طَالبُ
فَعَاجُوا فَأَثْنَوا بالذى أنت أهْلُه ∴ ولو سكتواأثْنَتْ عليك الحَقَائِبُ
وقالوا عَهِدْنَاه وكُلَّ عَشِيَّةٍ ∴ بأبوابه من طالب العُرْف رَاكِبُ
هو البدر والناس الكواكبُ حَوْلَهُ ∴ ولا تُشْبِهُ البَدْرَ المضىءَ الكَوَاكِبُ

فقال له سليمان : أحسنت والله يانصيب وأمر له بجائزة[1]، وحج سليمان فلما قدم مكة أرسل إلى عمر بن أبى ربيعة ، فقال : ألست القائل :

وكم مِنْ قتيل لا يُبَاءُ به دَمٌ ∴ ومِنْ غَلِقٍ رَهْناً إذَا ضَمَّهُ مِنَى
وكم مَالِئٍ عينيه من شَىْء غَيْره ∴ وإذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدُّمَى
فلم أر كالتَّجمير مَنْظَرَ نَاظِرٍ ∴ ولا كَلَيَالى الحج أَقْتَلْنَ ذا الهوى

قال نعم ، قال : لا جرم والله لاحج مع الناس العام ، وأخرجه إلى الطائف حتى قضى الناس حَجَّهُم[2] .

ولم يتخلف مجلس هشام بن عبد الملك عن مجلس أبيه وأخوته فى الحفاوة بالشعر والشعراء والمادحين منهم بخاصة[3] وكذا عمر بن عبد العزيز[4] .

ومن الطبيعى أن الأمر لم يكن وقفا على قصور الخلفاء ، فقد تشبه بهم الأمراء والأثرياء ،وأقاموا المجالس الأدبية والمناقشات العلمية ، والشعراء أنفسهم كانوا

---

(١) الأغانى : ط الوزارة ٣٣٦/١ ، والأوشال : ج وشل وهو الماء القليل ، وقفا دات أوشال : أى وراء ذلك المكان . والقارب : هو طالب الماء ليلا ، ويريد بالمولى نفسه والخطاب لسليمان بن عبد الملك .

(٢) المرزبانى : الموشح ٣١٩ ، أباء القاتل بالقتيل قتله به ، والمراد هنا فكم من قتيل يطل دمه ولايؤخذ له بثأر ، وغلق الرهن فى يد المرتهن : أى لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المناسب المشروط ، يريد وكم من قلوب أسيرة لايقدر أصحابها على افتكاكها .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٨٧/٢ ، ٤٤٨/٤ والأغانى ٣٦٧/٧ والعقد الفريد ١٨٢/٩ و٥٠/٤= والشعر والشعراء ٥٨٥/٢ .

(٤) الأغانى ٢٥٠/١ والعقد الفريد ٤٣/٤ و ٤٣٣ و٤٣٥ و٤٣٨ .

يجتمعون ويتناقشون فى أعمالهم الأدبية[1] .

وبعد ـــ فقبل أن أترك هذه العجالة ، أقول : إننى قَسَّمْتُ الحديث عن النقد ونشأته إلى أقاليم حجازية وعراقية وشامية ، وتركت مصر مثلا وذلك لبعدها عن التيار الأدبى ثم لروميتها الشديدة ، ولعدم ظهور النزعات الأدبية على مسرحها لاسيما ونحن نؤرخ هنا لِنَقْد وُجِدَ إبَّانَ تكوين الدولة الاسلامية ، والعراق والشام شديدا القرب من مراكز الاسلام مما شجَّع اللغة والأدب على الانتشار السريع بالعكس من مصر وأشباهها من الامصار الاسلامية .

ومن ناحية التقسيم ، فالمقصود به تركيز أضواء وليس البحث عن التفاصيل الدقيقة ، فالحجاز لم يكن موطن الغزل ، ولا كان العراق موطن الهجاء ، ولا كان الشام موطن المديح ، بل هكذا كانت شهرتهم ، فالمعروف أن جريرا كان أرق الثلاثى الهَجَّاء نسيباً[2] وأن الأحوص ونُصَيْبا وكُثيِّراً رحلوا من الحجاز إلى الشام ومصر يمدحون[3] وهكذا ارتحل كثير من الشعراء فليست ثَمَّ فواصل جغرافية ولا فنية ولكنها الشهرة .

---

(١) المبرد : الكامل ٣٣٢/١.

(٢) الأغانى : ط الوزارة ٥/٨ .

(٣) ابن قتيبة ٤٧٤/١ .

الفصل الأول :
ابن سَلّام الجمحي

أولا : عصره .
ثانيـــا : حياته .
ثالثـــا : نشاطه العلمي .

أولا :عَصْرُهُ

أ ــ الحياة السياسية .
ب ــ الحياة الاجتماعية .
ج ــ الحياة العقلية .
د ــ البيئة .

أولا : عَصْرُه

أ ــ الحياة السياسية :

يبدأ العصر العباسى فى السنة الثانية والثلاثين بعد المائة ، ولا تتقدم به السنوات كثيراً حتى يدخل تاريخ النقد الأدبى العربى ، أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى ، ميلادا جديدا يكون له شأن ، ويهتم به النقد ويفسح له مكانا فسيحا بجوار أساطينه الكبار ، ويظل هذا الميلاد ذا أثر حتى تأتى السنة الحادية والثلاثين بعد المائتين ، إذ يهجم الموت على الناقد الذى يجر فى أذياله العصر الذى عاش فيه بشتى جوانبه .

تُوُفِّىَ ناقدنا ــ ابن سلام ــ فى هذه السنة ، وانتهى العصر الذهبى للدولة العباسية أيضا فى هذه السنة أو كاد ــ وفيه بلغت الدولة الاسلامية قِمَّةَ مَجْدِهَا فى الثروة والحَضَارَةَ والسِّيَادَةِ ، بعد أن دارت الدنيا دورتها وأدارت للأمويين ظهرها ، فأُرْغِمُوا على ترك أريكة الخلافة إلى بنى العباس ، ليدخل سُدَيْفٌ الشاعر فى مجلس أبى العباس وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك فيقول :

لا يَغُرَّنْكَ ماترى من أُناس ∴ إنّ تَحْتَ الضُّلوع دَاءً دَوِيّاً
فَضَعِ السَّيْفَ وارْفَعِ السَّوْطَ حَتىَّ ∴ لَا تَرى فَوْق ظَهْرِها أُمَوِيّاً(١)

وارتفع السوط فعْلًا ، وهوى على سليمان ، كما ارتفع من قبل على كل أموى بالنسب أو بالولاء ، ثارت عليهم الدولة ، وكان الهدف أن تُسْتَأْصَلَ شأفتهم ، فمن هرب نجا ومن لم يستطع قُتل ومُثِّل بجُثَّته ، حتى الأموات نالهم أذى البغى ، معاوية لم يجدوا فيه إلا خَيْطاً مثل الهَبَاءِ(٢) وعبد الملك وجدوه جمجمة ، ولم يجدوا له جثة كاملة غير هشام بن عبد الملك(٣) فَأُخِذ وضُرِبَ ، وصُلبَ وحُرِّقَ ثم ذُرِّى فى الرياح ! ولم يكن العجب مِمَّن عطب كيف عطب ، وإنما العجب مِمَّن نجا كيف نجا ؟

---

(١) المبرد : الكامل ٣٥٤/٢ ، ابن المعتز : طبقات الشعراء : تحقيق عبد الستار فرج ط دار المعارف سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٠ ــ ١٩٥٦م ص ٤٠

(٢) ابن الطقطقى : الفخرى ط المعارف ــ الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٩٣٨م ص ١٢٩ .

(٣) الدكتور أحمد الرفاعى : عصر المأمون ، ط دار الكتب ــ الطبعة الأولى ــ القاهرة ١٩٢٧م ٨٩/١

وهكذا عاش أبو العباس السفاح يُقَلِّمُ أظفار الدولة ، وجعل حياة الناس هَوْلًا وعذابا وأحال الكوفة إلى أنهار من الدماء وتوفى (١٣٦ هـ)[١] .

وخَلَفَهُ بعده أخوه المنصور ، ويُعْتَبر المؤسس الحقيقى للدولة ، وقد أنشئت فى عهده بغدادُ دار السلام وكان ذلك (١٤٥ هـ)[٢] .

وقد اقتضى بناء الدولة أن يترك المنصور خزانة رءوس فيما ترك ميراثا لابنه المهدى[٣] واقتضى أن يقتل المنصور أبا مسلم الخراسانى القائد الذى تحمل تبعة بناء الدولة[٤] كما اقتضى هذا البناء قتال ابن عمه وولى عهده عيسى بن موسى ، لِيُقَتَّل فيبايع لابنه المهدى كما اقتضى قتل عمه عبد الله بن على[٥] .

وجاءت خلافة المهدى ، وكانت مرحلة انتقال بين مُغَالاة المنصور وتقشفه ، وتقتيره ، وبين الانطلاق والإسراف فى عهد خلفائه[٦] خفَّفَ الأمر على الناس فأنساهم عهد المنصور الذى أطلقوا عليه أبا الدوانيق[٧] لشدته فى محاسبة العمال والصُنَّاع على الحبة والدانق ، كما وُفِّقَ المهدى إلى القضاء على الزنادقة وغيرهم من الخوارج عليه ، وعلى الدين ، وتوفى(١٦٩ هـ)[٨] .

ثم تلاه المهدى ونلحظ عليه اهتمامه بالتسليح وإعداد الجيوش القوية وتنكيله بالعلويين وتمثيله بالأمويين والخوارج والزنادقة ، ثم تخفيفه من غُلَواء تدخل النساء فى أمور الدولة[٩] .

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٣/٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ط الحسينية — القاهرة — بدون تاريخ ٢٣٨/٩ .

(٣) الدكتور أحمد الرفاعى : عصر المأمون ١٠٠/١ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب : ط بولاق القاهرة ١٢٨٣هـ ١٨٦/٢ .

(٥) المصدر السابق ١٩٣/٢

(٦) الدكتور الخربوطلى — المهدى العباسى : ط المؤسسة المصرية — القاهرة ١٩٦٣م سلسلة أعلام العرب ٢٣٦ .

(٧) السيوطى : تاريخ الخلفاء — ط المدنى القاهرة ١٩٦٤ م — ٢٥٩ .

(٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٥/٥ ، وانظر د . حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام — ٤٢/٢ .

(٩) المسعودى : مروج الذهب : ٢٠٣/٢ وانظر د . حسن ابراهيم — تاريخ الإسلام ط ٧ — ٤٢/٢ .

وفى عهد الرشيد ، انطلقت الناس من عقالها وأفطرت بعد صومها ، أكلت وشربت ولَهت وتمتعت بحياتها ، اطمأنت الدولة ـــ إلى حد ما ـــ للناس ، فتركتهم يَعُبّون من متع الدنيا ، ورائدهم هرون الرشيد ، الذى اجتمع له ما لم يجتمع لغيره ، فوزراؤه البرامكة ، وقاضيه أبو يوسف ، وشاعره مروان ابن أبى حفصه ، ونديمه العباس بن محمد بن عم أبيه ، وحاجبه الفضل بن الربيع أتيه الناس ، وأعظمهم ، ومغنيه إبراهيم الموصلى ، وزوجه زبيدة بنت عَمِّه أبى جعفر المنصور(١) .

واجتمع له المال من كل فج ، وملأ الدنيا وشَغَل النَّاس ، وتعددت جوانب حياته حقيقةً وخيالا حتى اقتربت من الأساطير ، وعندما أراد أن يُوَلِّيَ عهده لأبنائه جعل الأمر بين الامين والمأمون والمعتصم بالترتيب(٢) .

ومن ثَمَّ انفتح الباب على مصراعيه بين العنصر العربى من الشعب الذى يتمسك بالأمين خليفة لعربيته ، والعنصر الفارسى الذى يتمسك بالمأمون خليفة لفارسية أمه(٣) .

واندلعت الفتن والحروب وانتشر الفزع والرعب بين صفوف الشعب ولم تنته المأساة إلا بقتل الأمين (١٩٣هـ)(٤) .

وعاد الرخاء على يد المأمون لِماَ تَحَلَّى به من عزم المنصور وتمسك المهدى وعزة الهادى(٥) .

وبعد أحداث كادت تقلب الدولة رأسا على عقب ، استتب الأمن ، أو قل استتب الأمْر للعنصر الفارسى على العنصر العربى(٦) .

وحينما اقتربت أيام المأمون من النهاية ، كان العنصر الفارسى قد ضَعُفَت شوكته ، فأضيف إلى قائمة الضعفاء ، وأصبح على الخليفة الذى سيتولى الأمْر أن

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٨٦ .
(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٩٠ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٧/٥ .
(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٣٠٧ .
(٥) المصدر السابق ٣٠٧ .
(٦) الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ٨٩/٢ .

يستعين بغير العنصرين الهزيلين اللذين اضمحلا ، وتوفى المأمون (٢١٨هـ)[1] وتولى الأمر بعده المعتصم وهو الذى استعان بالأتراك فى عهده ، وإلى أن أتى عهد ابنه الواثق كان الأتراك هم السلطة الفعلية فى الدولة ، ولقد توفى الواثق (٢٣٢ هـ)[2] تاركا الدولة ـــ أثرا بعد عين ـــ للمتوكل ، وقبل هذه السنة بعام توفى ناقدنا العظيم أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحى وكان جمحيا بالولاء .

ب ـــ الحياة الأجتماعية :

عاش ابن سلام فى هذا العصر مع هؤلاء الخلفاء رجلا من عامة الشعب ، يَشْغَلُه التراث العربى ، وهم فى قصورهم يشكلون له مجتمعَه واقتصادياته ، فقد ولد فى خلافة المنصور ، عاش خلافة المهدى والهادى والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق ، والمجتمع الذى عاش فيه ابن سلام كان مجتمعا قد احتدمت فيه الاحتكاكات بين القديم والجديد بين التقاليد والتطور ، بين الجذور العربية الأصيلة والأصول الأجنبية الوافدة ، فاحتك الإسلام بالديانات والملل والنحل الأخرى ، واحتكت اللغة العربية باللغات الأخرى ، واصطدمت الآمال العربية بآمال الأمم المغلوبة على أمرها ، وأما النظم الاجتماعية العربية فحاربتها النظم الاجتماعية الفارسية والرومية وغيرها . وغَلَبَت الدُّنْيا الدينَ ، وهزم التطورُ التقاليدَ ، فانطلقت النفوس من عقالها وحمل العباسيون والشعوب معهم ـــ لواء الحضارة الفارسية ، فَهِمُوها وهَضَمُوها فتمثَّلوها ، وعاشوها ، فى أبسط صورها وفى أعقدها .

وأصبحت قصور الخلفاء صورة لهذه الحضارة ومايجرى فى القصور من مراسيم وتقاليد وأوضاع نجدها فى صور مختلفة فى بيوت الأمراء والوزراء والعظماء والقواد ، كما نجده فى بيوت العامة ، بشكل من الأشكال .

فى هذا المجتمع الذى عاش فيه ابن سلام ، قَلَّت الحروب ، وتوافر المال ، فوجد الناس فضلا من الوقت فاندفعوا إلى ملذات الحياة المختلفة ، ومن ملاذها

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٩/٥ .

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٣٤٤ .

الغناء ، فَوُجِدَت المدرسة التى تعلم المغنيات وآداب المسامرة والمنادمة وفن الملابس والزينة واستخدام الزهور والعطور ، بل كيفية الجلوس والقيام والانحناء والتحية .

ثم نلحظ أيضا كثرة الحدائق والمتنزهات واهتمام الناس بالزهور وبألوانها ولغاتها وأثرها فى النفوس ، فصاروا يخرجون الى الحدائق ويعقدون منادماتهم فيها ويحتفون بالطبيعة ويقيمون المِهْرجَانات كعيد الفيروز « عيد الربيع » .

ولكثرة الشعوب المغلوبة ، كَثُرَ الرقيق من إماء وعبيد ، وشَكّلوا خطرا أخلاقيا ظهرت بوادره فى قصور الخلفاء ، وفى بيوت الناس وحياتهم العامة والخاصة ، فتقرأ عن باعة الرقيق وأسواقهم وتجمعاتهم ، وهؤلاء النخاسون فى الأسواق هم قَوّادُو بيوت القِيَان والحَانات[1] .

وجود القِيان مع تَعَدُّدِ الزوجات ، أَوْجَدَ الأحزاب النسائية فى البيت العربى ، من بيت رجل الشارع إلى قصر الخليفة ، ونتج عن هذه الخلافات والمشكلات وجود ظاهرة التحسس بشكل لم يسبق ظهوره من قبل فى البيت وفى القصر وفى الدولة[2] .

وقد نزع فئة من الناس إلى نوع شاذ من اللهو والعبث ، وهو التسرى بالغِلْمان ، وانتشرت هذه الآفة بين بعض أبناء الخلفاء[3] وبين بعض الوزراء[4] والكبراء والشعراء[5] والمغنيين وأفراد الشعب[6] .

وأمام هذا التيار المستهتر ، قام تيار آخر يَصُدُّه على الرغم من أنه نتيجة له وصورة لرد فعله ، وهو تيار الزهد ، ولابد من ظهوره فى هذه الظروف بشكل يغاير ما كان عليه فى عهد الرسول الكريم وما بعده من عصور ، فالناس أمام التيار المنحرف ، يثوب بعضهم إلى نفسه لهول النتيجة المترتبة على التهالك على

(١) الجاحظ : ثلاث رسائل : ط المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٤هـ (٦٥ ومابعدها) .
(٢) ابن المعتز · طبقات الشعراء ٢١٨ وانظر السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٩٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٢١٥/١٠ ، ٢١٦ .
(٤) المسعودى : مروج الذهب ٢٥٦/٣ .
(٥) النويرى . نهاية الأرب ط دار الكتب ــ القاهرة ١٩٢٥م (١/٤ ــ ٨٨) .
(٦) الراغب الأصبهانى : محاضرات الأدباء ــ ط المويلحى ١٢٨٧هـ (١٤٣/٢ ــ ١٦٤ .

موائد الدنيا ، فينظرون إليها فى احتقار ويهربون من بهارجها وفسادها إلى الكهوف ، أو المقابر أو يهيجون إلى الصحارى والجبال لايلوون على شيء .

فهذا إبراهيم بن أدهم ، يترك الحياة ويقبل على المجاهدة والكفاح والعمل بيديه مرتجزا :

تَخِيـ اللّـــهَ صَاحِبـــاً ∴ وَدَعِ النَّـــاسَ جَانِبـــا

وكان يلبس فى الشتاء فَرْوا ليس تحته قميص ، ولم يكن يلبس خُفَّيْن ولاعِمامة وكان يصوم فى السفر والحضر ولاينام الليل(١) ومثله فى هذا ، عبد الواحد بن زيد(٢) وبِشْر بن الحارث الحَافِى(٣) .

وزهد العصر العباسى قام صدى لتيار الانحلال الاخلاقى ، وقام أيضا — فى رأيى — رَدَّ فعْلٍ لظلم اجتماعى عاش بين الناس ، فحينما يكون الخليفة هو الحاكم بأمره ، وأمره هذا قد يكون سعدا كلّه أو شقاء كلّه ، لايدرى من يطلبه الخليفة أسيعود إلى بيته أم سيُحْمل إلى قبره ، فى مثل هذه الحاله لايُطَمْأنُّ إلى عدالة ويخيل إلىَّ أن الأمور الاقتصادية لم تكن تسير حسب عدل يصلُ إلى الفقراء فى أكواخهم ، وإلى المعدمين فى أعشاشهم ، كما تَعَوَّد أن يصل إلى المترفين فى قصورهم ، وأين العدل بجوار الإقطاع والسرف والترف وبجوار البذخ والتهالك المتفانى على اللذات بتلك الصورة التى نُجَابِهُها كلما قرأنا عن العصر العباسى ، بالإضافة إلى الحروب والفتن الداخلية وماتجره من وَيْلَات — لاغرابة أن ترتفع الأسعار ، ويظهر الغلاء ، وتزداد الشكاوى ، وتموج بين صفوف الناس فى الشوارع وتتطاول إلى قصر الخليفة ، يصورها أبو العتاهية بقوله :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى الإمام نصائحا متواليهْ ∴ إنى أرى الأسعارَ أسعارَ الرعية غاليهْ
وأرى المكاسب نَزْرةً وأرى الضرورة فاشيهْ

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء : ط السعادة — القاهرة ١٩٣٢م (٣٧٣/٧) .
(٢) المصدر السابق ١٥٥/٦ .
(٣) ابن الجوزى : صفة الصفوة — الطبعة الأولى — حيدر اباد ١٣٥٥هـ (١٨٣/٢) .

الى آخر هذه الأبيات[1] التى تفضح العصر هى وغيرها ...

ولماذا لايكون الظلم الاجتماعى هو بعض السبب فى مأساة البرامكة ؟ حين شعرت بوطأة الحرمان بَعْضُ طبقات الشعب ، استجابت للدعاية التى أطلقها الفضل بن الربيع وحاشيته على البرامكة ، حيث أوهم الناس أن البرامكة الفرس يأكلون خَيراتِ العرب وأموالهم ويتصرفون فيها بمشيئتهم سبعة عشر عاما ، وقد قال المؤرخون أن سبب النكبة يحيى بن عبد الله بن حسن الشيعى الذى أخلى سبيله جعفر بعد أن أمره الرشيد بحبسه[2] وقالوا ، السبب زواج جعفر للعباسة بنت المهدى ــ أخت هرون ــ سرا[3] وقالوا : بل الموالى وحزب الموالى السبب فيما وصل إليه البرامكة من سلطان وتمكن من أمور الدولة[4] فأرادوا أن يجعلوها فارسية الدين والدولة ، وقالوا بل استأثروا بالنفوذ والسلطان واستولوا على القُرى والضِّياَع[5] ، وأنهم عواطفهم وتقاليدهم ايرانيه[6]وأنهم زنادقة[7] وأنهم يضيقون على الرشيد فى الإنفاق ، ثم تَغَلَّبَ عليهم الفضل بن الربيع بدسائسه ....

وأقول ــ كل هذه الأسباب من الممكن أن تكون أسبابا ــ ولكن مايجب ألا نغفلَهُ هنا هو أثر الظلم الاجتماعى فى بروز المشكلة بشكل جعل أذهان الناس مهيئة لتقبل أى قول عن البرامكة ، هذا بجانب نظرية حب البقاء والاستمتاع بالسلطة التى كانت تدفع العرب للكيد بالفرس وزعزعة ثباتهم إذا ماتمكنوا من سلطان أو جاه أو مركز ، كما فعل السفاح مع ابن الخَلّال ، والمنصور مع أبى مسلم الخرسانى ، والمأمون مع الفضل بن سهل وأخيه .

ولن نجد ماسأة طاحنة ، هزت كيان المجتمع العباسى ، كمأساة الأمين

(١) أبو العتاهية : الديوان : تحقيق الأبّ شيخو ــ بيروت ١٩١٤م ص ٣٠٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٨٠/١٠ .
(٣) الطقطقى : الفخرى (١٨٥) .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ١٤/١ .
(٥) المصدر السابق : ١٤/١ .
(٦) نخبة من المستشرقين : تراث فارس ط الحلبى ١٩٥٩م (١٠١) .
(٧) الجاحظ : البيان والتبيين : تحقيق السندوبى ط الاستقامة ــ الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٥٦م ٣٠٩/٣ .

والمأمون التى سببها عدم الوفاء بالوعد ، التى اشْتِهر بها الخلفاء العباسيون ، فتكبد الشعب من جَرَّائها الويلات العظام ، صحيح ، أن الأمر كان بين العنصر الفارسى والعنصر العربى ولكن بَغْدَادَ ، بغداد وَسْطِ الدنيا وسُرَّة الأرض سعة وكِبَراً وعمارة(١) قد تحطمت تحت سنابك الخيول المنتصرة والمنهزمة معا ، وأهلها الآمنون الوادعون عاشوا نكبة كنكبة البرامكة وأشد هولا ، فقد كثرت الوفود بين الأخوين واستغل المغرضون هذا التطاحن ، وَسَعَوْا لتنفيذ مآربهم ، ففشت الفوضى فى صفوف الأمين وضاقت الأرزاق ، وكَشَّرَ الفقر عن أنيابه. وغلَتْ الأسعار غلوا كبيرا ، وعَزَّت الأقوات ، وضاع الأمن من النفوس ، حين نقب أهْلُ السجون وخرجوا منها ، وفُتِنَ الناس ووثب على أهل الصلاح الدُّعَّارُ والشُّطَّارُ(٢) فانطلقت الغرائز لا تَريمُ صلاحا وعاشتَ بغداد أسوأ فتنة ، لأنكد خصام قام بين أخوين خليفتين .

ولم يكن هذا الشعب يتصور أن النعيم والرخاء الذى عاشه أيام المأمون سيدفع ثمنه مقدما حين يختصم الأخوان ، ومؤخرا حين يبتدع المأمون مشكلة خلق القرآن ، تلك المشكلة الفلسفية التى دارت رحاها بين الفقهاء والمعتزلة ، وأخذ الشعب منها نصيبه فعاش محنة المأمون بعد أن ذاق ختل الأمين .

وعلى الرغم من هذه الخطوب ـــ كان المجتمع العراقى ببصرته ، وكوفته وبغداده مجتمع الرخاء والسعادة ، حقا كان يفقد الأمن حينا ، ويفقد الجناءة حينا ، ويفقد القوت حينا ، ولكنه لم يفقد الأدب فى حين من الأحايين ، ووجد الأدب طريقا له فى كل الظروف اليسيرة والعسيرة ، حتى استطاع أن يقدم للأجيال اللاحقة أدبا يصحبه علم ومعهما فَنٌّ اقتات من موائده أجيال من العلماء ، لايستطيعون له جَحْداً .

---

(١) ابن رُسْتَه : الأعلاق النفيسة : ط ليدن ١٨٩١ (٢٣٣) .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ١٠/١٧٣ .

ج ــ الحياة العقلية :

والحديث عن العلوم والفنون فى ذلك العصر لن يخرج عن الإطارين الاجتماعى والسياسى ، فليس هناك فواصل قاطعة بين هذه الجوانب ، إنما هى ، زوايا متعددة لصورة واحدة .

وإذا كانت الدولة الأموية قد تعصبت للعرب وللعروبة ، فأصبح الأدب الجاهلى فى عصرها هو القدوة التى تحتذى ، فإن الدولة العباسية حين تعددت فيها العصبيات والأمم والشعوب والملل والنحل والآراء ، ضعفت العصبية العربية ، واندفع العرب إلى الشعوب المغلوبة يترجمون حضارتهم وعلومهم بلا أنفة ولا كبرياء ، انتصر العرب على الفرس عسكريا وانتصر الفرس على العرب أدبيا(١) بعد أن أعلن الخلفاء العباسيون ولاءهم الرسمى للفرس على لسان المنصور(٢) .

وانتصر التطور ، فكثر العمران ، وانتشر العلم لكثرة العمران(٣) وظهر جيل من الموالى سُمُّوا بالأبناء أو الأحرار(٤) جمعوا بين ثقافة العرب وبين الأمم المغلوبة ، وساهموا فى تقدم كثير من العلوم والفنون ، فطالعتنا أسماء منهم كأبى حنيفة وحَمَّاد الراوية وخلف الأحمر وسيبوية والكسائى والفراء وغيرهم ، ساهموا فى تقدم كثير من العلوم والفنون ، ولما تأسست بغداد انتقل اليها عِلْمُ المِصْرَيْن وأصبح العراق ينافس الشام وغيره من الأقاليم الإسلامية .

وإذا نظرنا إلى عرش بغداد وخلفائه ، نجدهم من الخلفاء المحبى للعلم(٥) فالمنصور كانت له دفاتر علم وكان شديد الحرص عليها حتى أوصى ابنه المهدى بها عند وفاته(٦) والمهدى روى الحديث(٧) وابراهيم ابنه أول نابغ نبغ من بنى

---

(١) الدكتور طه حسين : حديث الأربعاء ١٧٤/١ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ٣١٢/٩ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة : تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ١٩٦٠م (٩٤٨/) .

(٤) ابن حزم الظاهرى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل : الأدبية ١٣١٧هـ (١١٥/٢) .

(٤) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩/٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل : الأزهرية ـــ القاهرة ١٣٠١هـ٦/٧ .

(٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٧١ .

العباس ثم من أبناء الخلفاء فى الموسيقا والغناء ، وله كتب فى الأدب والطبيخ والطب والغناء[1] ، والرشيد كان أكثرهم رغبة فى العلم والعلماء ، حافظا للشعر ، نقادا للشعراء ، وكان يحفظ شعر ذى الرمة حفظ الصبا[2] وحَدَّث عن أبيه وجدّه ومبارك بن فضالة وروى عنه ابنه المأمون [3] أما المأمون فكان وافر العلم غزير الاطلاع[4] .

وكانوا يحترمون العلماء ويجلونهم ، فالمنصور يطلب من عمرو بن عبيد أن يعظه[5] والرشيد يصب الماء على يد أبى معاوية الضرير وهو يغسل يده[6] ، والأمين والمأمون يتنازعان فى حمل نِعَال أستاذهما الكسائى ، وتقديمها إليه[7] .

وهذا كتاب « طبقات الأطباء » ، حافل بمكانة الأطباء عند الخلفاء العباسيين على الرغم من اختلاف الدين ـــ مما يدفعهم دفعا للإخلاص لهم فى العلاج ، وللإخلاص للعلم فى الطب ، وللإخلاص للنهضة فى التأليف[8] .

فالتطور والعمران والموالى وتنافس الأقطار الإسلامية والخلفاء العلماء ـــ كل هذا انصهر فى بوتقة لمائة عام ونتج لنا العصر الذهبى للدولة العباسية .

وقد انتشرت بطبيعة الحال الكتب والمكتبات ، ولم يأت التطور إلا وبعض سببه الحركة العظيمة للترجمة والتأليف التى قادها أهل العراق والشام وفارس

---

(١) ابن النديم : الفهرست (١٧٤) .
(٢) الأغانى ط الأميرية ـــ القاهرة ١٢٨٥ هـ (٥/٣٩) .
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٨٣ .
(٤) د. هدارة ـــ المأمون ـــ ص ١١٤ وما بها من مصادر ـــ أعلام العرب ٥٩ ـــ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة .
(٥) المسعودى : مروج الذهب (١/١٧٣) .
(٦) ابن الطقطقى : الفخرى ١٧٠ .
(٧) ابن النديم : الفهرست ١٠٣ .
(٨) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء : ط الوهبية ١٢٩٩ هـ (١/١٢٤ ـــ ١٩٠) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء المعهد العلمى الفرنسى ـــ القاهرة ١٩٥٥م نشر مكتبة المثنى ببغداد ـــ ٦٣ إلى ٨٣ الطبعة السابعة ، وابن النديم .

والهند[1] وقد رَغَّبَهُمُ الخلفاء فى ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم الرواتب والجوارى وبالغوا فى إكرامهم ، وأكثرهم من النساطرة والسريان وأشهرهم آل بختيشوع ، وآل حُنَيْن ، وحبيش الأعشم الدمشقى ، وقسطا لوقا البعلبكى ، وآل ماسرجَوَيْه اليهودى ، وآل الكَرْخى ، وآل ثابت الحَرَّانى من الصابئة .

وهناك طبقة من النَّقَلَةِ اشتغلت بنقل العلم أشهرهم بنو شاكر الْمُنَجِّم محمد وأحمد والحسن ، بذلوا الرغائب وأُنفذوا حنين بن اسحق إلى ملك الروم فجاءهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقا والارثماطيقى والطب[2] ومن جملتهم حنين وثابت بن قُرَّة ، وكانوا ينفقون خمسمائة دينار فى الشهر للنقل والملازمة[3] .

واقتنى الناس المكتبات فى منازلهم ، فأبو تمام حين منعه الثلج من مواصلة الرحلة من عند صاحبه الهمذانى قال له : وَطِّن نفسك على البقاء ، إن الثلج لاينْحَسِرُ إلا بعد زمان ، وأحضَر له خِزانة كتب فطالعها ، واشتغل بها[4] ، وأبو عمرو بن العلاء كانت دفاتره قد ملأت بيتا له قريبا من السقف[5] ، والأصمعى كان يحمل كتبه فى ثمانية عشر صندوقا[6] ، والواقدى يخلِّف بعد وفاته ستمائة قمطر ، كُلُّ قمطر منها حِمْلُ رجلين[7] .

وقد ظهر أثر هذه النهضة فى المساجد وحلقاتها ، حيث كان المسجد الكبير معهدا للدراسة آنذاك ، فمصر معهدها مسجد عمرو بن العاص ، والبصرة معهدها مسجد البصرة[8] وكانت حلقة أبى عمرو بن العلاء بالبصرة ينتابها

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص (٤٢٣ ــ٤٣٥) .
(٢) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٣٣ .
(٣) ابن النديم : الفهرست (٣٥٣ ومابعدها) .
(٤) اليافعى ــ مرآة الجنان ــ ٢/١٠٠ ط حيدر أباد ــ ١٣٣٨هـ
(٥) الكتبى ــ فوات الوفيات ــ ١٦٤/١ ط بولاق القاهرة ١٢٨٣م
(٦) جورجى زيدان ــ تاريخ آداب اللغة العربية ١١٥/٢
(٧) ابن النديم ــ الفهرست ــ ١٥٠
(٨) الجاحظ-البيان والتبيين ــ ٣٧/١ و ٣٤٧/٣

طلاب العلم وأهل الأدب وفُصَحَاء الأعراب . ووفود البادية[1] ، وكذا ابن الأعرابى وكان له مجلس يحضره زُهاء مائة إنسان[2] ، والكوفة معهدها مسجد الكوفة ، وكان الفراء يجلس للناس فى مسجده إلى جانب منزله بالكوفة وأملى فيه كتابه « معانى القرآن »[3] ، وكذا المسجد الحرام وغيرها من المساجد الأهلية والعامة فى البصرة والكوفة وبغداد ومصر وغيرها من الأمصار الإسلامية .

وفى هذه المساجد وحول تلك الحلقات ، وبعيدا عنها ، كانت المحاورات والمناظرات فى شتى فنون العلم والمعرفة والأدب والنقد[4] .

ويجب ألا نغفل الورق وحوانيت الوراقين ، وقد ظهرت طائفة من أصحاب الحوانيت تستنسخ الكتب وتقوم بتجليدها منهم ابن أبى حريش وكان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون[5] ، وهذه الحوانيت من أهم المصادر الثقافية حيث تعود بعض العلماء اللغويين التردد عليها ، يتجادلون فيما بينهم فى مسائل علمية .

ويتصل بهذا الباب أيضا ، رحلة العلماء من بلد الى بلد ، ومن قطر إلى قطر طلبا للعلم[6] ، غير مبالين بما يعترضهم من مشقة وعناء وفقر وعذاب .

فى هذا العصر ظهرت أمهات الكتب فى كل علم وفن ، ظهر مُوَطَّأ مالك بالمدينة[7] وظهر « كتاب سيبويه » ، وشرح « المعلقات » التى دَوَّنهَا حماد الراوية ، « والمفضليات » التى دونها المفضل « والأصمعيات » التى دَوَّنهَا

(١) ابن النديم ـــ الفهرست ـــ ٦٩

(٢) المصدر نفسه ـــ ١٠٨

(٣) البغدادى ـــ تاريخ بغداد ١٥٢/١٤

(٤) الأغانى ـــ ١٠٩/١٥ ط ساسى ، والمرزبانى ـــ الموشح ـــ ٤٤٥ ، والبخلاء للجاحظ ص ٣٠ تحقيق د . طه الحاجرى ط ١٩٤٨م القاهرة،والسيوطى ـــ الأشباه والنظائر ـــ ط حيدر آباد الدكن ، الجزء الثالث فى أماكن متفرقة .

(٥) ابن النديم : الفهرست ٢٠ .

(٦) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ـــ ط الهلال ١٩٥٨م (١١٣/٣) تحقيق الدكتور حسين مؤنس .

(٧) أحمد أمين : ضحى الإسلام ط لجنة التأليف والترجمة ـــ القاهرة ـــ الطبعة الثانية ـــ ١٩٣٨م (١/٢) .

الأصمعى . ومؤلفات الخليل بن أحمد وابن سلام والجاحظ ، ودُوِّنَتْ كتب الحديث والفقه والتفسير وكتب العربية واللغة والتاريخ ، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حِفظهم أو يروون من صحف صحيحة غير مرتبة[١] .

نعم لقد فتح العرب نوافذهم على كل الثقافات حتى الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم اعتمدوا فيها على الأنباط أو الكِلْدان واعتمدوا فى الكيمياء والتشريح على المصريين[٢] وَرِثُوا هذا كُلَّهُ وفَهِمُوه ومزجوه بفكرهم وأخرجوه حضارةً ، قبل انقضاء القرن الثانى من تأسيس دولتهم ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم[٣] .

قُلْتُ : إن حِدةَ العصبية قد خفت واندفعت العرب تلتهم ثقافة الدول التى خضعت لها فعرفت مذاهبهم ونحلهم وانحرافاتهم ، فماجت الدولة الإسلامية بعديد من النزعات والاتجاهات لايرضى عنها الدين ، فهب العلماء حيال هذا التدهور الدينى الأخلاقى للذود عن الإسلام . واَشْتُهِرَ من العلماء جماعة المعتزلة ، وقد كانت فى بدء أمرها جماعة منافحة عن الدين ، ثم تطورت وتكونت لها مبادئ وانتمى لها علماء وانبرى لها خطباء يدافعون عنها .

وبجوارهم وُجد حزب الشيعة الذى تفرع عنه حزب الخوارج ، ومن الشيعة والخوارج رأينا أحزابا عديدة الأسماء والزعماء والآراء ، وكان طبيعيا أمام تَيَّارَىْ المعتزلة والفقهاء من جانب والمعتزلة والشيعة من جانب آخر أن يظهر الحزب الأقل غُلُواً فى تقدير الوقائع ، والأخف فى أحكامه ، والأوسع صدرا لقول المخالف فى الجماعة الإسلامية[٤] وهم المرجئة ، ذلك الحزب الذى أرجأ الحكم فى قضايا الإمامة، وفتنة علىّ ومعاوية، وعلىّ وعائشة وطلحة والزبير ، وغيرها من القضايا إلى يوم الفصل فى الآخرة للحاكم العادل .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٦١ .

(٢) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٣٥/٢ .

(٣) المرجع السابق ٣٦/٢ .

(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٣٠٨ .

ويأتى الشعر فى المنزلة الثانية بعد الدين وسيلةً للدفاع عن النفس ونشر المبادئ ، لذا وجدنا أدبا لطائفة المرجئة وأدبا لجماعة المعتزلة وأدبا للشعوبية ، وكلٌ منهم قد أخذ بناصية الشعر واتخذ له من الشعر ناصرا .

فالشيعة كان لهم حين الدولة الأموية ، الشاعر الكَيْسانى الكبير « كُثَيِّر »، بينما قد أكثر القول عن على بن أبى طالب وعن فضائله الشاعر الكيسانى العباسى الشهير "السيد الحميرى" الذى تفرغ لدعوة الشيعيين طوال حياته[1] .

ومثله فى ذلك منصور النَّمَرى الذى مدح العباسيين ، ولكنه كان شيعيا إلى أقصى حد ، وقد طلبه الرشيد لقتله حين اتضحت له حقيقة اتجاهاته .

وأما عن المرجئة ـــ وهم أقدم الفرق المذهبية فى الإسلام ، فقد وصل إلينا مقتطفات يسيرة من الشعر المرجئى العباسى ، وأكبر داعية لهم آمن بفكرتهم وشرح مبادئهم هو ثابت قُطْنة الأموى[2] .

والحقيقة أن المرجئة رأت التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم من المسلمين حين تطور النزاع بين الأحزاب والطوائف وحلت تلك المشكلة الاجتماعية محل الخلاف على الإمامة[3] .

ويلاحظ الأستاذ أحمد أمين أن مذهب المرجئة فتح بابا جديدا من أبواب الأدب وهو فلسفة العفو[4]،أى احتمال عفو الله حتى مع عدم التوبة والإكثار من المعاصى ، وقد لوحظ إيمان أبى نواس بالفكرة لينال عفو الله من آثامه المغموس فيها[5] .

بينما أغنى المعتزلة الأدب من حيث المعانى وقوة العقل وسعة الذهن وتوليد الأفكار العقلية والنظر إلى الكون وإلى الطبيعة وإجراء التجارب عليها ، ودلالتها

---

(١) الأغانى : ط وزارة الإرشاد القومى ٧/٢٣٣ .

(٢) الأغانى : ط الوزارة ١٣/١٤٨

(٣) فان فلهوزن : سيادة العرب والشيعة والإسرائيليات : ط السعادة ١٩٣٤م (٦٤) .

(٤) أحمد أمين : ضحى الإسلام : الطبعة الثالثة ١٩٤٣م (٣/٣٢٨) .

(٥) ديوان أبى نواس ط . القاهرة ١٩٥٣ (٢٥٩)

على خالقها ، وغاصوا على المعانى غوصا ، ونقلوا الأدب من لفظ رشيق إلى معنى عميق ومن عبارات مجملة منمقة إلى موضوعات واسعة مسهبة ، وبعد أن كان الأدب خُلواً من الموضوع جعلوا له موضوعا ، فمن موضوعه الحيوان والبخلاء والإماء والقيان والتجار والمعلمون إلى غير ذلك من موضوعات لم تكن فى الأدب قبل المعتزلة ، ووجهوا الذهن وجهات لم تكن قبلهم(1) .

ولهم الفضل الأكبر فى وضع الأسس الأولى لعلم الكلام وعلم البلاغة وعلم الجدل والمناظرة ، كما أنهم كانوا المنفذ الذى دخل منه فلاسفة المسلمين إلى الفلسفة اليونانية .

وهم الذين صدوا هجمات الشعوبية الفكرية ، ولم يكن المفسرون بمستطيعى الرد عليهم ، لأن سلاحهم كان النص الدينى فقط ، أما المعتزلة فقد جعلوا سلاحهم مكونا من النص الدينى والفلسفة ، يؤازرهم فى مهمتهم البيان العربى ، فقدموا للإسلام أجلّ الخدمات التى تقدم فى مثل هذه الظروف ..

وبعد : فهذه صورة من حياة العصر العباسى العقلية ، التى قامت أساسا على الترجمة والتأليف والحرية الفكرية العلمية .

د ــ البيئة(2) :

فى العصر العباسى كانت هناك بيئات متعددة ــ كانت الكوفة والبصرة والحجاز والشام ومصر والمغرب وغيرها ، لكل بيئة طابعها الخاص جغرافيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا ، وهى فى ذات الوقت تعيش أفكار ومبادئ ، ومُثُل العصر ،

---

(1) أحمد أمين : ضحى الإسلام ٣١٤/٣ .

(2) رجعنا فى حديثنا عن البصرة العباسية بيئة لابن سلام الجمحى إلى المراجع الآتية :

أ ــ البلاذرى : فتوح البلدان ــ ط ليدن بدون تاريخ فصل « تمصير الأمصار » (٣٤٦ ــ ٣٧٢) ط القاهرة ١٩٠١م (٣٥٤ ــ ٣٨٠) تمصير البصرة

ب ــ الحموى : معجم البلدان : ط بيروت ١١٥٥م (٧٧/١) .

ح ــ ابن خرداذبه ــ المسالك والممالك ــ ط دى غوية ١٨٨٩ فى مواضع مختلفة .

د ــ ابن قتيبه : المعارف ــ المطبعة الإسلامية الأزهرية ــ مصر ١٩٣٤ م تحقيق محمد إسماعيل الصاوى ــ انظر « فصل البصرة ومساجدها وأنهارها ص ٢٤٥ ، ٢٤٨) .

أمويا كان أو عباسيا وهكذا ولا انفصام ، وعامل التأثير والتأثر مستمر ، ولكن الكوفى العباسى لابد أن يختلف عن الحجازى العباسى ،عن المصرى العباسى ،عن الدمشقى العباسى ، لارتباط كل منهم بظروف بيئته فى حين يشتركون فى كونهم عباسيين ذوى ملامح متشابهة وبصمات متقاربه،ويكادون يكونون وجها واحدا مصمتا لاتعرجات فيه .

والحديث عن العصر يعنى الحديث عن البيئة فى الشكل العام بينما الحديث عن البيئة يعنى مدى تطبيق الأفكار العامة للعصر نفسه فى منطقة معينة،وكيفية تشكل أهله بمبادئ هذا العصر وأفكاره ، وابن سلام بصرى عباسى ، تأثر ببصريته كما تأثر بعباسيته،ثم نجح فى تمثيل هذين الوجهين المتقابلين للعملة الواحدة التى هى القرن الثانى ، نهايته ، والثالث مطلعه .

والبصرة التى عاش فيها ابن سلام بلد قديم ، ويقال إن اسمها بالفارسية « كان بسى راه » أى الطرق الكثيرة ، وأنه فى قدمه كان يحمل اسما قريبة منه التسميتان الفارسية والعربية ، وأنه عاش حتى الفتح الإسلامى ، والبصرة تقع فى الإقليم الذى يقع على الخليج الفارسي ويصل ذلك الخليج وماوراؤه بالعراق ومايليه . وهذا الأقليم قد تعرض لكثير من المؤثرات ، ولصنوف مختلفة من الثقافات ، يمكن رَدُّ كثير من الصفات العقلية إليها ــ تلك التى امتازت بها البصرة وفارقت بها نظراءها ــ كما يمكن أن يفسر بها ذلك النشاط العقلى المبكر الذى ظهرت به هذه المدينة فى الإسلام .

ومن هذه الأجناس وثقافاتهم ومن طبيعة الحياة التجارية التى تتطلب الواقعية والسرعة والذكاء وسعة الافق تكونت العقلية البصرية والمزاج البصرى .

= هـ ــ دائرة المعارف الإسلامية مادة بصرة (٦٦٩/٣) .

و ــ الدكتور طه الحاجرى : الجاحظ : حياته وآثاره ط دار المعارف ــ القاهرة ١٩٦٢م (١٦ ــ ٧٧) .

ز ــ الدكتور أحمد كمال زكى : الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى ط دار الفكر ــ دمشق ١٩٦١م (١٩ ــ ١١٣) .

ح ــ عبد الحليم عباس : أبو نواس ط دار المعارف ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية .

ط ــ الدكتور صالح أحمد العلى : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الأول ط المعارف ــ ١٩٥٣م وبخاصة الفصل الثانى بعنوان « العبيد » الفصل الثالث بعنوان « الأعاجم » ص ٥٠ ــ ٨٦ .

ومن وجود الثقافة اليونانية وفلسفتها وجدت المسيحية متنفسا وازدهرت توا فى الأهواز وفى إقليم البصرة التى كان يدعى ميسان — ولم يكد يشعر المسيحيون هناك بالاستقرار ، حتى أخذوا يبشرون بالدين الجديد ، فتعرضوا لاضطهاد الدولة وللتنكيل بهم إما دفاعا عن الدين الزراد شتى للدولة وإما نكاية فى الرومان ، هذا بجانب هجوم اليهود عليهم ، فاضطر زعماء المسيحية أن يدافعوا عن أنفسهم ويدخلوا فى أنواع من الجدل والمناظرة مع خصومهم ، فلم تسترح المسيحية بمعسكرها الجديد فى أقليم البصرة مع الأديان التى توطنت فيه قبل مجيئها ولم يتوقف الأمر على هذا ، فقد ظهرت مذاهب دينية متفرعة من الزرادشتية متأثرة بالفلسفة اليونانية كالمانوية والديصانية والمرقيونية والطيطانوسية ، فنهض زعماء المسيحية يتعقبونها ويعارضونها ويناظرون ادعاءاتها ، واستطاعت الفلسفة اليونانية أن تجد تربة صالحة تفرخ فيها وجوا صالحا تتنفس فيه ، وافتتح أمام المسيحية والمسيحين باب ثالث للجدل والصراع ، وهو مشكلة طبيعة المسيح وصلتها باللاهوت والناسوت والصفات الملازمة لهذه الطبيعية — وهى مسائل شديدة الصلة بأبحاث ماوراء الطبيعة ، فانقسم المسيحيون على أنفسهم مذاهب ، فصاروا يجادلون اليهود والزرادشت ثم يتحولون إلى المانونية والمزدكية وأضرابهما ، وعندما يستريحون ، ينقلبون على أنفسهم يتناقشون فى اللاهوت والناسوت .

ثم أصبحت البصرة مدينة إسلامية تمثل الدين الجديد ، وغلب عليها العربى الفاتح ، ونشطت حياتها التجارية كما كانت ، وأصبحت — كما يقول اليعقوبى — مدنية الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها ، ويشير ابن حوقل إلى أنها كانت حلقة اتصال بين الشرق والغرب حين يتحدث عن طرق التجارة .

وقد عرفت البصرة منذ أول عهد المسلمين بالغنى الواسع والثراء العريض ففى الأيام بعد الفتح وفد على عمر أحد أهلها أنس بن حجبة ، فسأل عمر : كيف المسلمون ؟ فقال له أنس : انثالت عليهم الدنيا ، فهم يهيلون الذهب والفضة .

وقد نتج عن مركزها التجارى هذا يسر فى الحياة ، ورخص فى الأسعار ، وكثرة فى البضائع ، وازدياد فى الطلب . ومن الطبيعى أن يقسم العرب البصرة وغيرها من

البلدان التى يبنونها إلى خطط لكل قبيلة خطة ، ومن ناحية انهارها الكثيرة فقد شك فى عددها ابن حوقل ، فزارها وشاهد العدد الضخم منها ويقول « فربما رأيتُ فى مقدار رمية سهم عددا من الأنهارِ صِغَار تجرى فى كليها زوارق صغار ولكل نهر اسم ينسب إلى صاحبه الذى احتفره أو إلى الناحية التى يصب فيها » ثم يقول « ولها نخيل متصلة من عبدس الى عبادان نيفا وخمسين فرسخا متصلة ، لايكون الانسان بمكان منها إلّا وهو فى نهر من نخيل أو يكون بحيث يراها » .

وكثرت فيها المتنزهات والعمائر والمساجد ، وكفى بمربدها شهرة ، ذاك الذى دخل تاريخ الأدب العربى ، فقد كان المربد مكانا لالتقاء جرير والفرزدق والأخطل والراعى وعمر بن لجأ وغيرهم يتناطحون ويتنابذون ويتهاجون ، أما حين زالت الأموية أصبح المربد غرضا يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ولكن ليأخذوا عن أعرابه اللغة وغريبها والأدب وعجائبه ، فيخرج إلى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما كما يخرج اللغويون يأخذون مايأخذه الشعراء وأكثر ، ويدونون مايسمعون ، يحكى القالى أن الأصمعى قال : جئت أبا عمرو بن العلاء ، فقال : من أين أقبلت ياأصمعى ؟ قلت جئت من المربد قال : هات مامعك . فقرأت عليه ماكتبت فى ألواحى ، فمرت ستة أحرف لم يعرفها فخرج يعدو الدرج ، وقال : شَمَّرْتَ فى الغريب : أى عليتنى[1] .

فالنهضة التى نهضتها العلوم والفنون ، وحركة الترجمة والتأليف الكبرى وتشجيع الخلفاء والعلماء واندفاع الأفراد إلى الثقافة والعلم وهم يرتشفون من مناهلها سواء فى المساجد أم فى القصور الخاصة أم المكلية أو المتنزهات ــ كل هذه الينابيع أثرت فى بيئة البصرة فخرج منها العلماء والشعراء والكتاب والفقهاء والمحدثون . وعاشت معارك فكرية رائعة فى داخلها وفى خارجها .

واكتظت مجالس العلماء بالمربد وازدحمت المساجد بالحلقات الدراسية وانتشرت الندوات والمحاورات والمناظرات حتى لقد أصبح للمناظرة شهوة تسيطر على بعض الأفراد لايستطيع منها فكاكا .

---

(١) القالى : الأمالى (٢٨٥/٣) بولاق ــ القاهرة ١٣٢٤هـ

وقد مر بنا أن المسيحية كانت تخوض معارك فكرية جدلية بينها وبين المانوية والديصانية وغيرها ، ثم بينها وبين اليهودية ، ثم بينها وبين نفسها ، وأخيرا دخل عنصر رابع وهو الإسلام ، فازدادت حلقات المناظرة والجدل على المسيحين حين تصدى لهم علماء المعتزلة يناقشونهم قضاياهم ويستعملون الفلسفة اليونانية التى أمن المسيحيون المناقشة بها من جانب علماء الفقه ، فقام عنهم المعتزلة بالمهمة خير قيام .

وقد ارتحل العلماء البصريون إلى بغداد التى بنيت سنة ١٤٥ هـ كما فعل مثل ذلك الكوفيون وغيرهم . انثالوا على بغداد عاصمة المملكة الإسلامية وعاصمة المال والجاه والأدب والثراء . وقد كان منها من اللغوين والنحاة : عيسى بن عمر الثقفى ، وأبو عمرو بن العلاء ، وأبو الخطاب الأخفش ، والخليل بن أحمد ويونس ابن حبيب وسيبويه واليزيدى والنضر بن شميل ، وقطرب والأخفش الأوسط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وأبو زيد الأنصارى ثم ابن سلام الجمحى الذى تركها سنة ٢٢٢ هـ وسافر إلى بغداد وتوفى فيها سنة ٢٣١ هـ .

وبجوار هذا الجيش وُجِدَ رواة وأدباء ومؤرخون ومحدِّثون ومفسِّرون وجنود فى مختلف ألوان المعرفة .

هذه هى البيئة الفكرية التى كان يعيش فيها ابن سلام ، ظروفها الخاصة بها تجعلها صورة للعصر كله اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وفكريا .

ثانيا : حياته .

أ ــ بنو جمح .

ب ــ قدامة بن مظعون .

ج ــ مولده ووفاته .

د ــ سَلّام الجمحى « الأب » .

هـ ــ عبد الرحمن بن سلام « الأخ » .

و ــ عون بن محمد بن سلام « الابن » .

ز ــ أبو خليفة الفضل بن الحباب « ابن الأخت » .

أ ـــ بنو جمح

هم موغلون فى القدم إيغال قضاعة وجنادة وربيعة ومضر ، فهم عرب صليبة ، وهم بطن من قريش من العدنانية(١) وجَدُّهم كعب ، وهو سابع أجداد الرسول الكريم(٢) وكان عظيم القدر عند العرب ، ولذا أرخوا بموته إلى عام الفيل ، ثم أرخوا بالفيل(٣) ، وقد نزل أولاد فِهْر مكة عن طريق جد الرسول الرابع ـــ قُصَىٍّ بن كِلاَب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر(٤) وهو الذى تسمى بالقرشى(٥) .

فبنو جمح عرب عدنانيون مضريون قرشيون مكيون أبناء عمومة لفرع النبى الكريم حيث يلتقون وإياه عند كَعب بن لؤى الذى من ولده مُرَّة وعدى وهُصَيْص ، ومن هصيص نشأ فرع بنى جمح .

وكما يحدث أن تختلف الأسرة الكبيرة ، وينحاز كل رئيس فرع منها بأبنائه لأحد جانبى الخلاف ، أو يَتَحَيَّد ، حدث بين عبد الدار بن قُصى وبين عبد مناف بن قصى ، رهط النبى ، وكان سببه الكعبة وشئونها ، وكان بنو جمح مع بنى عبد الدار(٦) ومن ثم كادت الحرب تكشر عن أنيابها بين القبائل بعد أن تحالفوا عند الكعبة على ألا يتخاذلوا ، ولايسْلِمَ بعضهم بعضا ، ولكنهم تَداعَوْا للصلح على أن

---

(١) القلقشندى : نهاية الأرب ط بغداد ١٢٣٢ هـ (١٨٣) ، تاج العروس (١٣٢/٢) ، لسان العرب (٢٥/٣) أبو الفدا ـــ المختصر (١١/١) .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ـــ لجنة الثقافة الإسلامية ـــ القاهرة ١٣٥٨هـ ٣٦/١ .

(٣) البلاذرى ـــ تحقيق محمد حميد الله ـــ ط المعارف ١٩٥٩م (٤١/١)والقلقشندى نهاية الأرب ٣٢٩ .

(٤) ابن سعد ـــ الطبقات (١٣١/١) ، ابن هشام : السيرة ـــ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـــ ط حجازى القاهرة ١٩٣٧م (١٣١/١) ، وانظر السيرة ط الحلبى ١٩٣٦م (١٣٨/١ ـ) ، البكرى : معجم ما استعجم : تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٥م (٨٩/١) .

(٥) ابن سعد : الطبقات (٥/١) ، ابن كثير : البداية والنهاية ـــ الطبعة الأولى ٢١٠/٢ و ٢١١

(٦) ابن سعد : الطبقات (٥٦/١) ، ابن هشام : السيرة (١٤٣/١) ط الحلبى تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى سنة ١٩٣٦م ، (١٣٩/١) ابن الأثير ـــ الكامل : ط بولاق القاهرة ١٣٧٤هـ (١٦/١)

تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف والحجابة واللواء ودار الندوة لبنى عبد الدار كما كانت ، ففعلوا(١) .

وهكذا توارث بنو جمح السؤدد والرفعة منذ بزوغ المجد العربى المؤثل وارتفاع شأن قريش الأباطح على مختلف القبائل العربية ، فيحفر خلف بن وهب الجمحى بئر السنبلة لشرب الحجيج كما فعلت سائر قريش(٢) .

وقد وقف بنو جمح موقفا غريبا من الإسلام لم يؤيدوه جملة ولم يعارضوه جملة ، أيدوه فأحسنوا التأييد وعارضوه فَلَجُّوا فى المعارضة، وكادوا له كما لم يَكِدْ عدوٌّ للإسلام .

ومن أشهر من تعرض للنبى بالإيذاء من الجمحيين أُبَىٌّ بن خلف بن وهب الجمحى ،كان يكيد له ويجيىء بَعْظم حائل ويظل يَفُتُّه وينفخه فى الريح نحو الرسول ويقول : يامحمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ماأَرَمَّ ، فيقول الرسول : نعم ، أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك ، بعد ماتكونان هكذا ثم يدخلك الله النار(٣) .

ومثله فى الإيذاء والكيد للإسلام ، أخوه أمية بن خلف الجمحى لَعِينُ رسول الله(٤) وفَرَّ مع عتبة وشيبه ابنى ربيعة ، وأبى سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام والأسود بن المطلب وغيرهم ليفرضوا له مالا من أموالهم عَلَّهُ يتوب عما فيه ويعود إلى مالقوا آباءهم عليه عاكفين .

ومثلهما فى الضلال صفوان بن أمية الجمحى ، وأحداثه مع الرسول تناقلتها كتب التراجم والمغازى والأدب ، فقد قَنْطَر فى الجاهلية إلى أن صار له قنطار من

---

(١) ابن سعد : الطبقات (٥٧/١) ابن هشام : السيرة (١٤٤/١) وانظر ط الحلبى ١٤٠/١ .

(٢) ابن هشام السيرة (١٦١/١) ط الحلبى ١٥٦/١ البكرى : معجم ماستعجم ٧٢٥/٣ .

(٣) ابن هشام : السيرة ٣٨٥/١ وط الحلبى ٣٨٧/١ ، ابن سعد : الطبقات ١٨٥/١ البلاذرى : أنساب الأشراف ١٣٧/١ ، السيوطى : أسباب النزول ط مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣م ـــ (١٤٥ ، ١٤٦) .

(٤) ابن سعد : الطبقات (٦٢/٣) البخارى : الصحيح ط مطابع الشعب ـــ القاهرة ١٩٧٨هـ (٦٩/١ و ٥٤/٣ و ١٢٧) .

الذهب وكذا أبوه[١]وكان ممن يطعمون الطعام وينادون إليه فى كل يوم[٢] وقد تألّفه الرسول الكريم وكان يمنحه مائة من الإبل ساعة تقسيم الغنائم[٣] .

وقصة كيده للإسلام مع عمير بن وهب الجمحى الذى كان شيطانا من شياطين قريش بمكة وإحباط الرسول الكريم مؤامرتيهما ، وإسلام عمير ، قصة مشهورة[٤] ، وحين ضاق الرسول بمكائد صفوان له وللدين نَفَّسَ عن بعض نفسه مالاقاه يوم أحد قائلا : اللهم العن سفيان ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت الآية الكريمة « لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ ، أو يَتُوبَ عَلَيهِم أو يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمِونَ » [سورة آل عمران ــ ١٢٨] .

ونلحظ ظاهرة فى هؤلاء الجمحيين ، أن الذين كادوا منهم للإسلام حينما لم يصبهم قتل بدر أو غيرها من المغازى أو السرايا ، أسلموا ، وبدت منهم آيات رائعات فى الدفاع عن الإسلام ، فحين أسلم صفوان بن أمية الجمحى حسن إسلامه وروى الاحاديث[٥] وكان له نصيب فى موقعة اليرموك (١٣ هـ)[٦] وعمير بن وهب الجمحى ــ الذى حرز جيش المسلمين للكفار وشهد بدرا كافرا ، حين أسلم حسن إسلامه وعرض على الرسول الكريم أن يقوم ويدعوها

(١) ابن عساكر : تهذيب تاريخ ابن عساكر ط روضة الشام ١٣٢٩هـ(٤٣٢/٦) . الذهبى : سيرة أعلام النبلاء : ط معهد المخطوطات العربية بالاشتراك مع دار المعارف ــ القاهرة ١٩٥٧م (٤٠٨/٢) .

(٢) الذهبى : سيرة أعلام النبلاء (٤٠٨/٢) .

(٣) ابن سعد : الطبقات (٢٠٣/٣) ابن هشام : السيرة ١٤٠/٤ وط الحلبى ١٣٦/٤ .

(٤) ابن سعد · الطبقات ٥٥/٣ وط بريل ــ ليدن تصحيح ادور سخو ١٣٢٥هـ (١٤٦/٤/١) ابن هشام : السيرة ٣٠٦/٢ ، ٣٠٧ ، وط الحلبى ٣١٦/٢ ، ٣١٨ ، الطبرى : ٢٩٤/٢- ٥١٤) .

(٥) ابن عساكر : تهذيب تاريخه ٤٢٩/٦ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤٠٦/٢ الترمذى : الصحيح : بترح ابن العربى الطبعة الأولى ١٩٣١م (١٣١/١١) .

(٦) انظر مسند احمد بن حنبل ط الحلبى سنة ١٣١٣ هـ ٤٦٤/٦ ومابعدها ابن عساكر تهذيب تاريخه ٤٢٨/٦ ، ابن الذهبى : الكاشف فى أسماء رجال الكتب الستة والسنن الأربعة مخطوط بالمكتبة العامة بالاسكندرية تحت رقم ٥٨١٦ جـ ورقة ١٦ ، الذهبى سير أعلام النبلاء ٤٠٥/٢ ، ابن سعد : الطبقات ٣٣٢/٥/٢ ، ابن القيسرانى : الجمع بين الصحيحين : الطبعة الأولى ط حيدر آباد سنة ١٣٢١ هـ ٢٢٤/١ .

للإسلام ويؤذيها كما كان هو يؤذى المسلمين فى دينهم ، وسمح له الرسول فذهب وقام بدور المبشر والمصلح والنبى ، وأسلم على يديه ناس كثير[1] وجميل بن معمر الجمحى ، أنمّ قريش ، كان من مهاجرى الحبشة[2] .

هؤلاء فى جانب ، أما المصَفُّوْن إسلاما وقلبا فعديدون ، منهم أبو محذورة ، أوس بن معبر بن لوزان الجمحى ، مؤذن الرسول[3] والحارث بن حاطب ابن الحارث الجمحى ولد بأرض الحبشة هو وأخوه محمد[4] ومن أوائل ممن تسمى بهذا الاسم بعد الرسول[5] وحطاب بن الحارث الجمحى وأخوه من مهاجرى الحبشة أيضا[6] وكذا السائب بن مظعون وأخوته عبد الله وعثمان وقدامه ابنا مظعون كلهم مهاجرون بدريون[7] وغيرهم عديدون[8] يعدون من حملة ألوية الإسلام الاوائل المنافحين عنه المكافحين أعداءه ، رحمهم الله .

وأما الذى شغل المؤرخين ـــ من بنى جمح ـــ لورعه ومكانته فى الأسلام فهو

---

(١) ابن هشام : السيرة ٣٠٦/٢ .

(٢) ابن عبدالبر : الاستيعاب ٢٤٧/١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢٣٢/٥/٢ ، البخارى : التاريخ الكبير : الطبعة الأولى : ط حيدر أباد ١٣٦٠هـ (١٦٣/١/١) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ط دار المعارف ١٩٦٢م (١٦٢) البلاذرى : أنساب الأشراف ٥٢٧/١ ، البغدادى : سبائك الذهب ٦٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣١٨/٣ ، القلقشندى : نهاية الأرب ١٨٣ ، ابن دريد : الاشتقاق ١٣٤ ، البخارى التاريخ الصغير : الطبعة الأولى طبعة الهند ١٣٢٥هـ (٥٥ ، ٦٢) ـــ ابن ماجة السنن : الطبعة الأولى ٢٥/١ المطبعة العلمية ١٣١٢هـ ، أبو داود المسند : الطبعة الأولى ط حيدرأباد ١٣٢١هـ ، النووى : الطبعة الأولى ط حيدراباد ١٣٢١هـ ، النووى : تهذيب الأسماء واللغات : ط المنيرية ـــ القاهرة ـــ بدون تاريخ ٦٦/١ .

(٤) ابن سعد : الطبقات (١٤٧/٤/١) ابن عبد البر : الاستيعاب : ١٨٥/١ .

(٥) ابن حزم : الجمهرة (١٦٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ١٣٦٨/٣ .

(٦) ابن حزم : الجمهرة ١٦٢ ، ابن عبد البر : الاستيعاب : ٤٠٠/١ .

(٧) ابن سعد : الطبقات ١٨٩/١ ، ابن هشام : السيرة ٢٦٩/١ ، ٢٧١/١ ط الحلبى ٢٧٠/١ ، ٣٤٥/١ ، البخارى : التاريخ الصغير ١١ ، ابن عبد البر : الاستيعاب : ٥٧٥/٢ ، ابن حزم : الجمهرة ١٦١

(٨) ابن سعد : الطبقات ٢٨٨/٣/١ ، ١٤/٤/٢ ، ابن هشام : السيرة ٢٧١ ومابعدها ٣٥٠/١ ، و ط الحلبى ٢٧٠/١ ، ٢٧٥ ، ٣٤٥/١ ، العسقلانى : تقريب التهذيب . ١٨ ، ١٩ ، ١٥٩ ، ١٢٣ .

عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحى ، إذ علا شأنه وصلح أمره وكان له مع الرسول الكريم أمر وأمور .

فقد أسلم قبل دخول النبى الكريم دار ابن أبى الأرقم ، وقبل أن يدعو فيها وكان قبل إسلامه قد حرم الخمر فى الجاهلية ونزهد وهام بالإسلام حبا فأراد أن يختصى ، ويسيح فى الأرض ، وقد أهمل زوجته التى اشتكت لأمهات المؤمنين فتألم الرسول وذهب إليه فى بيته وقال له :

« إن الله لم يبعثنى بالرهبانية » .

وعثمان هذا قد هاجر الهجرتين وشهد بدرا وخرج مسلما إلى أرض الحبشة ثم عاد مع من عاد منهم ، وكذا ابنه السائب وأخوه قدامة وعبد الله ابنى مظعون(١) ، ولكنه عندما رأى البلاء الذى يُذَاقَهُ أصحاب الرسول استنكف من الحماية التى تحميه ، فأخذه الوليد بن المثنى وانطلقا إلى المسجد ، وقال الوليد : هذا عثمان ، قد جاء يرد عليَّ جِوَارِي : قال : صدق ، وقد وجدته وفيا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت ألَّا أستجير بغير الله وقد رددت عليه جواره ، فوثب كفّار قريش وأوسعوا عثمان ضربا ، فما أَبِهَ ولا تزعزع إيمانه ، بل تمر الأيام ، ويشترك فى قتل على بن أمية بن خلف الجمحى مع أن مظعونا ــ أباه ــ ابن عم خلف بن وهب جَدٍّ على بن أمية ، وذلك لأنه من مشركى بدر(٢) .

وعندما مات بعد ثلاثين شهرا من شهوده بدرا ــ وغُسِّلَ وَكُفِّنَ قَبَّلَ الرسول بين عينيه ، ولما دُفِنَ قال الرسول : نِعْم السلفُ هو لنا عثمان بن مظعون ، وأَعْلَمَ قبره بحجر(٣) .

نِعْمَ الشَّبابُ شَبابُهم وكهولُهم :. صُيَّابة ليسوا من الجُهَّال

(١) ابن هشام : السيرة (١٧٧/٢ ، ٣٣١/٢ ، ٤١٩/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٢٣/٣ ، أبو نعيم : حلية الأولياء : ط السعادة ١٩٣٢م ١٠٢/١

(٢) ابن هشام : السيرة ٣٦١/٢ ، ابن الأثير : الكامل : ط الحلبى القاهرة سنة ١٣٠١هـ ٤٨/٢ ، البلاذرى : أنساب الأشراف ٢٣٢٧/١ ، ٣٠٠/١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢٨٨/٣/١ ، الترمذى : الصحيح ٢٥٩/٤ ، البلاذرى : أنساب الأشراف ٢١٢/١ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ١٠٥٣/٣ ، مرآة الجنان : ط حيدر أباد ١٣٣٨هـ ــ الطبعة الأولى ٥/١) .

وهم كما وجدهم عبد الله بن الزبعرى حين مدحهم(١) .

وفى حجة الوداع ، أسند الرسول الكريم إلى ربيعة بن أمية بن خلف أن يردد خطبته الشهيرة ــ دستور المسلمين ــ جملةً جملةً لجَهْوَرةِ صوته(٢) . وبعد ، فلا أعتقد أن هذه الصورة الخاطفة فى إمكانها أن تعطينا حق القول باستقصاء تاريخ بنى جمح ، ولكنها على الأقل تستطيع أن تضع أيدينا على أهم ميزات أفراد هذا الفرع العظيم من العرب القرشيين .

وإذا كانت هذه الصور عنهم فى الجاهلية وعهد الرسول الكريم ، فإن الأجيال التالية منهم قد تعددت وتشعبت وملأت بأخبارها جَنَبَاتِ كتب التاريخ ، لمسات فنية وبطولية ، وأخرى فيها كرم العربى وأصالته وعزته ونخوته وإُباؤه .

وقد عاش شاعر منهم فى خلافة معاوية ، كما عاش أبو عزة الجمحى الشاعر فى عهد الرسول الكريم ، وشاعرنا هنا ، أبو دهبل الجمحى والقصة الكبيرة التى فى حياة أبى دهبل قصته مع عاتكة بنت معاوية بن أبى سفيان(٣) .

ونلحظ عليهم أيضا أنهم نالوا فى العهود التالية لعمر بن الخطاب ، مناصب قيادية وثقافية وعلمية خطيرة فيحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية الجمحى وَلِىَ مكة ليزيد بن معاوية ، وعبد الوهاب بن عبيد الله الجمحى وَلِىَ قضاء فلسطين ، وحمد بن صفوان بن عبيد الله ولى قضاء المدينة لخالد بن عبد الملك بن الحارث بن أبى العاص بن أمية ، وعامر بن مسعود الجمحى ولى الكوفة لابن الزبير ، وعبد الحميد الخطاب بن الحارث بن معمر الجمحى كان على شرطة عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن محمد بن صفوان بن عبيد الله الجمحى وَلِىَ العراق للمنصور وقضاء المدينة للمهدى ومات بها واستخلف ابنه عبد الأعلى ، وعيسى بن لقمان بن محمد بن الحارث الجمحى وَلِىَ مصر للمنصور وكان بها ابن أخته عثمان بن سعيد على شرطته وسعيد بن عبد الرحمن ابن عبد الله وَلِىَ القضاء

---

(١) الأغانى : ط الوزارة ١١٤/٧ ، صُيَّابة : الخيار من الناس .

(٢) ابن هشام : السيرة ٢٧٦/٤ .

(٣) الأغانى : ١٢١/٧ ــ ١٢٦ .

ببغداد للرشيد وغيرهم .

هؤلاء بجانب المحدِّثين العديدين ، وعلى رأسهم حنظلة بن أبى سفيان بن عبد الرحمن الجمحى المحدِّث المكى المعروف ، وسعيد بن عامر الجمحى وكان ناسكا متبتلا وله صحبه وَوَلَّاهُ عمر بن الخطاب حمص ، وعبد الله الأكبر بن صفوان الجمحى كان ثائرا من الثوار مع ابن الزبير ضد عبد الملك ابن مروان حتى قتل معه ، بالرغم من أننا نجد أبا ريحانة على بن أسَيِّد بن أُحَيحَة بن خلف الجمحى مع عبد الملك ضد ابن الزبير .

وهكذا وجدنا فى الجمحيين القواد ، والشعراء ، والنساك والمحدِّثين والولاة بجانب البدريين المهاجرين الهجرتين المنافحين عن الإسلام كما وجدنا فيهم الكافر كأُبَىّ الجمحى والنَّمام كجميل الجمحى والتيَّاه كربيعة الجمحى وأمثالهم .

بل وجدناهم — أيضا — قد سكنوا بلادا عديدة ، فقد نشأوا بمكة بينما عاش البتنونى الجمحى فى مصر ، وهرب ربيعة الجمحى إلى الروم ، ومات نصرانيا ، وعبد الحكم الجمحى له عَقِبٌ بوهران بالأندلس ، وعبد الوهاب الجمحى سكن فلسطين ، وسعيد الجمحى كان فى حمص(١) .

ب — قدامة بن مظعون :

هو أبو عمر قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وقد أسلم هو وأخوه عبد الله قبل دخول الرسول الكريم دار الأرقم ، وقبل أن يدعو فيها(٢) وأخته زينب بنت مظعون زوجة عمر بن الخطاب أم عبد الله وعبد الرحمن وحفصه(٣) أبنائه هاجر الهجرتين وشهد بدرا وأُحُداً والخندق والمشاهد كلها .

---

(١) المصعب بن الزبيرى : نسب قريش ٣٨٦ — ٤٠٠ ، ابن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب ١٥٠ — ١٥٤ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخه ٣٠٢/٢ ، ٣٠٢/٥ ، ٤٣٤/٥ ، ٤٢٦/٦ ، ابن القيسرانى : الجمع بين رجال الصحيحين : ١١٠/١ ، ابن سعد : الطبقات ٢٠٢/٣/١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ١٩٠/٣/١ .

(٣) المصدر السابق ١٩٠/٣/١ .

ج ـ أسرته :

أريد أن أتكلم عن أسرة ابن سلام ، ولكن هناك بقية عن تكوين أساس هذه الأسرة فهى مرتبطة بقدامة بن مظعون ، عن طريق الولاء ، وقد تعددت أسباب وجود الموالى فى الجزيرة إبَّان خلافة عمر بن الخطاب ، وسبب كثرته ، لازدياد الفتوح وقد يكون الولاء ولاءَ قبيلة لقبيلة أخرى أقوى للاحتماء بها(١) أو لهجوم قبيلة على أخرى وسلبها ممتلكاتها وحريتها ، أو انتماء قبيلة خاملة النسب إلى قبيلة معروفة النسب لتنطوى تحت شرف محتدها وعراقة أصلها ، هذا بجانب ولاء العبد لمالكه وولاء الأسير لمحاربه وغيرها من صور الولاء المختلفة ، ورسولنا الكريم يقول « الولاء لمن أعطى الثمن أو لمن ولى النعمة »(٢) وهذه الأشكال المتعددة للولاء وغيرها شَعَّبت حالاته وجعلت من العسير الوصول إلى طبيعة أى ولاء ، مالم ينص عليه المؤرخون .

وقد عدد المؤرخون لبنى جمح ، موالى كثيرين ، ذكر منهم المؤرخون بلال مؤذن الرسول وكان مُوَلَّدا من مُوَلَّديهم(٣) وأبا النضر بن أبى العباس الشاعر البصرى(٤) وكذا ابن مَسْجِح المغنى(٥) ومثله ابن عياد المغنى أيضا فيما يقال(٦) وجنادة بن سفيَان المحدث الأنصارى ، وقيل الجمحى لأن أباه سفيان ينسب إلى معمر بن حبيب بن حذافة الجمحى ، تبناه بمكة(٧) ومحمد بن زياد ، وأبا الحارث القرشى مولى عثمان بن مظعون المحدث وقد ذكر البخارى ومسلم فى صحيحيهما(٨) ويسار أبو فُكَيهة(٩) المحدث وصالح بن نبهان مولى التوأمة بنت

(١) البكرى : معجم مااستعجم ٥٣/١ .
(٢) لترمذى : الصحيح ٢٨٢/٨ .
(٣) ابن هشام : السيرة ٣٢٨/٢ .
(٤) الأغانى : ط الوزارة ٢٨٥/١١ .
(٥) المصدر السابق : ٢٧٨/٣ .
(٦) المصدر السابق ١٧١/٦ .
(٧) ابن الأثير : أسْد الغابة ٢٩٩/١ .
(٨) ابن القيسرانى : الجمع بين رجال الصحيحين ٤٣٨/٢ ، ابن منجوية : رجال صحيح مسلم ١٥٧ البخارى : التاريخ الكبير ٨٢/١/١ .
(٩) أبو نعيم : حلية الأولياء ٢٤/٣ ، البلادرى . أنساب الأشراف ١٩٥/١ .

أمية بن خلف الجمحى المحدِّث أيضا(١) وسعد مولى قدامة بن مظعون ، الذى قتلته الخوارج سنة ٤١ هـ مع عبادة بن قرص(٢) .

أما عن طبيعة الولاء الذى كان قائما فى أسرة ابن سلام لقدامة بن مظعون فلا أستطيع أن أجزم فيه برأى لأن المصادر صمتت وأُبهمت هذا الجانب . ومن الواضح أن صاحب الولاء ليس محمدا ولا أباه سلاما ولا جده عبيد الله ، وإنما والد جده سالم .

ولم يذكر المؤرخون لسالم أبا ولا أما ولا قبيلة ولا سببا لولائه ولا شيئا عن قصة حياته ، اللهم إلا أنه سالم مولى قدامة بن مظعون الجمحى ، والولاء قد انتقل منه إلى أبنائه وأحفاده وبقية أسرته .

وقد وجدت المؤرخين يذكرون محمد بن سلام فى نسبه ثم يذكرون الولاء الجمحى أو يذكرون اسمه واسم الأب ثم الولاء ، أو يصلون بالنسب إلى جَدِّه عبيد الله ، أى أنهم حصروا أنفسهم فيه وفى أبيه وفى جَدِّه ولم يعدوهما ، وهذه الظاهرة محدودة فى المؤرخين ، عبد الواحد اللغوى(٣) والسيرافى(٤) وابن النديم(٥) والخطيب البغدادى(٦) والأنبارى(٧) وياقوت الحموى(٨) وابن الأثير(٩) والقفطى(١٠) وابن كثير(١١) وأبى المحاسن بن تغرى بردى(١٢) والعسقلانى(١٣)

---

(١) الترمذى الصحيح ٨٢/٢ ، ابن قتيبة : المعارف ٢٠٣ ، الحاكم : معرفة علوم الحديث : ورقة ٤٠ ، وقد ذكر له ابن ماحة حديثا : انظر سنن ابى ماجة ٨٧/١ .

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ط حيدر أباد ـــ الطبعة الاولى ١٣١٩ (٥٧٨/٢) .

(٣) عبد الواحد اللغوى : مراتب النحوين ٦٧ .

(٤) السيراف : أخبار النحويين البصريين : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٤ ، ٣٨ .

(٥) ابن النديم · الفهرست ١٧١ .

(٦) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٣٢٧/٥ .

(٧) الأنبارى : نزهة الألباء فى طبقات الادباء ٢١٦ ط القاهرة ١٢٩٤ .

(٨) ياقوت الحموى . معجم الأدباء ٢٠٤/١٨ .

(٩) ابن الأثير : الكامل ١٠/٧ ط الأزهرية القاهرة ١٣٠١ هـ .

(١٠) القفطى : إنباه الرواة ١٤٤/٣ .

(١١) ابن كثير : البداية والنهاية ٣٠٨/١٠ .

(١٢) أبو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٦٠/٢ ـــ ط دار الكتب ـــ القاهرة ١٩٣٠م .

(١٣) العسقلانى : لسان الميزان ٦٩/٣ .

وابن شهبة[1] وابن حاتم[2] والبستانى[3] وعمر كَحّالة[4] إلا السيوطى فقد ذكر فى كتب بغية الوعاة فى ترجمة ابن سلام : قال : إنه محمد بن سلام بن عبيد بن زياد مولى قدامه بن مظعون الجمحى ، ثم قال : ذكره الزبيدى فى الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين[5] « والزبيدى يقول عن ابن سلام إنه : « محمد بن سَلّام بن عبيد الله بن سالم مولى محمد بن زياد مولى قدامة بن مظعون الجمحى »[6] . خطأ فى الرواية أو تحريف فى النقل .

فناقدنا هو أبو عبد الله محمد بن سَلّام بن عبيد الله بن سالم مولى قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحى .

وقد تحدثت عن بنى جمح ، وعن قدامه بن مظعون الجمحى ، وعن نسب ابن سلام فهل هذه حياته ؟ لا ، ولكنها المعطيات التى سمحت بها المصادر ، لانعرف شيئا عن طفولة هذا الرجل ولا عن شبابه ولا عن رجولته ، اللهم إلا خبرا صغيرا ، يقول : إن لحيته ورأسه ابيضّتا وهو فى سن السابعة والعشرين[7] فهل هذه حياته ؟ .

أستطيع أن أقول إنه نال قسطا من التعليم بالطريقة التى تعلم بها الأطفال فى ذلك العصر ، إذ ليس هناك مبرر لشذوذه عنهم ، فقد كان الرجل يبعث بولده إلى كتاب الحى فيتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ويشدو شيئا من قواعد النحو والصرف ويتناول طرفا من أصول الحساب ثم يستظهر كتاب الله استظهرا تاما مجودا مرتلا . وهو فى خلال ذلك يتردد مع أترابه على القَاصّ فيسمع منه أحداث الفتوح وأنباء المعارك وأخبار الأبطال ومقاتل الفرسان ومفاخرات الشجعان وسِيَرِ

(١) ابن شهبة : طبقات النحاة واللغويين : مصور بدار الكتب ـــ القاهرة تحت رقم ٤٣٨ ورقة ٥٠ .

(٢) أبو حاتم : الجرح والتعديل ٢٧٨/٢/٣ .

(٣) البستانى : دائرة المعارف ١٩٧ .

(٤) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ـــ ط الترقى ـــ دمشق ١٩٦٠م ـــ ٤١/١٠ .

(٥) السيوطى . بغية الوعاة ٤٧ .

(٦) الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين ١٩٧ .

(٧) البغدادى : تاريخ بغداد ٣٢٧/٥ ، ٣٣٠ .

الغزاة والفاتحين ممزوجا ذلك بالمواعظ والعبر وإيراد أحوال الصالحين وأطوار الزهاد والنساك والمتقين[1] .

وابن سلام في أغلب الظن قد التحق بأحد المكاتب ونال القسط التعليمي المقرر بها ، هذا في طفولته وصباه ، أما شبابه فلا ندري عنه شيئا وقد يكون قَصُرَ حين ابيضت لحيته ورأسه ، اللتان ألزمتاه ارتداء ثياب الشيوخ وتورعهم،وكل هذه ظنون .

ووجد السندوبي في « كتاب أبي أحمد العسكري» خبرا يدل على أن ابن سلام كان يفهم الفارسية جاء في الخبر عن ابن سلام أنه قال : فقال لخلف بالفارسية (يعني خلفا الأحمر) أصاب الرجل ووهم أبو عمرو[2] . وكل هذه ظنون .

وحين حضره المرض أول مرة ، عاده الطبيب ماسويه ، والطبيب ماسويه لايعود أيَّ إنسان ، فهو طبيب الخلفاء ، وَلَّاهُ الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة ووضعه أمينا على الترجمة ، وترب له كُتَّاباً حُذَّاقا يكتبون بين يديه ، وخدم الرشيد والأمين والمأمون ومن بعدهم الخلفاء إلى أيام المتوكل[3] فابن سلام في أخريات حياته صار من شخصيات المجتمع المعروفين الذين يُهْرَعُ إليهم أمثال ماسويه من الأطباء ، ثم يجس نبض ابن سلام ، فيقول له ، ابن سلام : لو وَقفتُ بعرفات وقفة ، وزرتُ قبر الرسول زورة ، وقضيتُ أشياء في نفسي لرأيتَ مااشتدَّ عليَّ من هذا فقد سَهُلَ[4] ، ويهوِّن ماسَوَيْه عليه الكرب ويمنِّيه أن أمامه من العمر سنين فلا يجزع ، وليته سأله عن الأشياء التي يتمنى أن يقضيها لانفتح أمامنا القول، ولتلمسنا طريقنا في خطوات أكثر ثقة وثباتا من خطواتنا هذه .

---

(١) السندوبي : أدب الجاحظ ط المطبعة الرحمانية — القاهرة ١٩٣١م (٢٦) .

(٢) أبو أحمد العسكري — شرح مايقع فيه التصحيف — ص ٧٤ ط . ١٩٥٥م .

(٣) انظر ترجمة ماسويه في أطباء الطبقة السابعة — والقفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ٢٤٩ ط السعادة — القاهرة ١٣٢٦ هـ الطبعة الأولى — وانظر أيضا لابن أبي أصيبعه — طبقات الأطباء : الطبعة الأولى : ط المطبعة الوهبية ١٢٩٩هـ (١٧٥/١ — ١٨٣ — ترجمة مطولة) .

(٤) البغدادي : تاريخ بغداد ٣٢٩/٥ .

ج : مولده ووفاته :

أما عن مولده ووفاته ، فبين أيدينا رواية للخطيب البغدادى «ت٤٦٣ هـ »[1] . ورواية لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ)[2] وثالثة للقفطى (ت ٦٤٦ هـ)[3] وهى رواية واحدة أغلب الظن أن القفطى قد نقلها عن الحموى الذى نقلها بدوره عن البغدادى ،فماذا يقول البغدادى ؟ .

يقول : أخبرنى أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب الكاتب ، حدثنى جَدِّى محمد بن عبد الله بن الفضل بن قَفَرْجَل ، حدثنا محمد بن يحيى بن النديم ، حدثنا الحسين بن فَهْمٍ ، قال : قدم علينا محمد بن سلام (٢٢٢هـ) فاعتل علة شديدة ، فما تخلف عنه أحد ، وأهدى الأُجلاء أطباءهم ، وكان ماسويه ممن أُهْدِىَ إليه ، فلما جَسَّهُ ونظر اليه ، قال : ماأرى من العلة كما أرى من الجزع ، فقال : والله ماذاك لِحرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة[4] ولكن الإنسان فى غفلة حتى يوقظ بِعِلة ، ولو وقفتُ بعرفات وقفة وزرتُ قبر الرسول زورة وقضيتُ أشياء فى نفسى ، لرأيتَ مااشتد علىّ من هذا قد سَهُل ، فقال له ماسويه ، لا تجزع ، فقد رأيت فى عِرْقِكَ من الحرارة الغريزية وقوتها ، أما إِنْ سَلَّمَكَ الله من العوارض ، بلغك عشر سنين أخرى ، فقال الحسين بن فَهْم ، فوافق كلامه قدرا ، فعاش محمد عشر سنين ، بعد ذلك ومات سنة ٢٣٢هـ .

فالحسين بن فَهْم شاهد عيان ، وقدم عليه ابن سلام وهو ينوء باثنين وثمانين عاما وازدادوا عشرا ، فيكون ـــ على هذا ـــ قد وُلد سنة ١٤٠ هـ وعاش قرنا من الزمان خلا ثمانى سنوات ، وليس هذا العمر بعجيب ، فقد عمَّر ابن أخته قرنا وبضع سنين .

---

(١) البغدادى : تاريخ بغداد ٣٢٧/٥ ـــ ٢٣٠ .

(٢) الحموى : معجم الأدباء ٢٠٤/١٨ .

(٣) القفطى : إنباء الرواة ١٤٥/٣ .

(٤) الحموى : معجم الادباء ـــ مع اثنتين وسبعين سنة .

(٥) البغدادى : تاريخ بغداد : ٣٢٧/٥ ـــ ٣٣٠ ـــ واورد هذه القصة ابن أبى أصيبعة ـــ ت ٦٦٨ هـ ـــ فى ترجمة يوحنا بن ماسويه فى كتاب طبقات الأطباء ١٨٢/١ ـــ والسمعانى : فى كتاب الأنساب ١٣٥ ط ليدن ١٩١٢م .

ويذكر البغدادى ، رواية أخرى لسنة وفاته : يقول : أنبانا محمد بن أحمد بن رزق ــ حدثنا محمد بن عمر بن غالب ــ حدثنا موسى بن هارون وأخبرنا الصغار حدثنا ابن نافع قائلا : مات محمد فى بغداد سنة ٢٣١ هـ وأورد هذه الرواية العسقلانى(١) وابن الأثير(٢) وابن العماد الحنبلى(٣) والزبيدى(٤) وأبو المحاسن ابن تغرى بَرْدِى(٥) وابن قاضى شهبة(٦) والسيوطى(٧) والبستانى(٨) وحاجى خليفة(٩) .

وأقرب المؤرخين لابن سلام وفاةً الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩هـ ، وقداهتم بذكر سنة الوفاة وقال هى ٢٣١ هـ/ بينما لم يهتم بذكرها أبو الطيب اللغوى "٣٥١ هـ" ولا الطبرى فى تاريخه (٣١٠ هـ) ، ولو أن البغدادى استراح لرواية الحسين بن فَهُم لاكتفى بها ولسايره فلول المؤرخين بعده ــ ولكنه لم يطمئن لها لأنه يجوز أن يحدث الخطأ من ابن فَهُم ، ولايجوز أن يتفق موسى بن هارون وابن نافع على الكذب ، وخبر موسى بن هارون رجاله اثنان ، كذا خبر ابن نافع رجاله اثنان ، أى اتفق أربعة رجال على ذكر رواية واحدة لرجلين ، ولم يذكر رواية الحسين بن فهم إلا محمد بن يحيى بن النديم منه لابن القفرجل وأخبر حفيده الخبر للبغدادى .

كل هذه دواع تجعلنا نقول ان ابن سلام قد عاش اثنين وتسعين عاما هجرية ، ومات قبل وفاة الواثق بسنة ، فلم يشهد خلافة المتوكل وعاش خلافة المنصور والمهدى والهادى والرشيد والأمين والمعتصم والواثق ، واختاره الرفيق الأعلى قبل أن يرى انحدار الدولة العباسية على يد العنصر التركى .

---

(١) العسقلانى : لسان الميزان ٦٦/٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٠/٣ .

(٣) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧١/٢ .

(٤) الزبيدى : طبقات النحويين ١٩٧ .

(٥) ابن قاضى شهبة : طبقات النحاة واللغويين ــ ورقة ٥٠ مخطوطة بدار الكتب .

(٦) السيوطى : بغية الوعاة ٤٧ .

(٧) البستانى : دائرة المعارف ١٩٧ ــ قد ذكر المولد (١٣٩هـ) فيتفق مع المجموعة ٢٣٠هـ .

(٨) حاجى خليفة : كشف الظنون : المطبعة البهية ــ استنبول ١٩٤٣م (١١٠٢ ،

د ـــ سلام الجمحى : الأب :

وسَلاَّم هو المدرسة التى تَلَقَّى فيها محمدٌ ابنُه المبادئ التربوية الأولى، فأَمَدَّ ابنه بخلاصة تجاربه ونتائجه ، وحكى له مشاهداته ، ونقل إليه مطالعاته ، فوجدنا ابن سلام يحكى عن أبيه أُخبارا قليلة ولكنها تعطينا فى مجموعها صورة لكيفية استفادة ابن سلام من أبيه علميا .

فأبوه هنا هو أستاذه الأول ، والمشجع الذى أخذ على عاتقه أن يصبح ابنه عالما كالعلماء الذين يجالسهم أو فقيها كالفقهاء الذين يراهم فى حلقاتهم بالمساجد ، فكان له ابن عالم ناقد ، هو محمد وثان محدِّث ، حدث عنه مسلم فى صحيحه وهو أبو حرب عبد الرحمن ، بل لم يتخلف حفيده عون محمد بن سلام عن الركب العلمى للأسرة ولا أبو خليفة الفضل بن الحباب(١) ، ابن ابنته .

فهى أسرة انقادت لزعيمها ـــ سلام الأب ـــ وشربت من المنهل الأدبى الذى أراده لها .

يقول ابن سلام : وسمعت أبى يسأل عن ابن أبى اسحاق وعلمه قال : هو والنحو سواء : أى هو الغاية ، قال : فأين علمه من علم الناس اليوم ، قال : لو كان فى الناس اليوم من لايعلم إلا علمه يومئذ ، لَضُحِكَ به ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه كان أعلم الناس(٢) .

هذا سَلاَّم جليس يونس بن حبيب ، ويونس أستاذ سيبويه والكسائى والفراء(٣) يحكى لابنه أنه رأى ذا الرمة ورأى لُمَّتَهَ وهيئته(٤) وأنه دخل على خرقاء ، فقالت اخرجى يافاطمة تعنى ابنتها فخرجت امرأة جميلة وليست كأمها(٥) وخرقاء إحدى مَنْ شَبَّبَ بهن ذو الرمة ، فتشوق الرواة أن يروا التى سلبت عقل الشاعر ، وقد زارها المفضل الضبى فيمن زارها من الرواة(٦) .

(١) المسعودى : مروج الذهب ٣٦٤/٢ .
(٢) ابن سلام : الطبقات ١٥ .
(٣) السيوطى : المزهر ٤٤٩/٢ .
(٤) ابن سلام : الطبقات ٥٦٧ .
(٥) المصدر السابق ٥٦٤ .
(٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٥١٠/١ .

ويقص علينا أنه ذاكر مروان بن أبي حفصة جريرا والفرزدق وكثيرا[1] ثم يحدثه عبد الملك بن مروان ، أنه كان من أشد الناس حبا لعاتِكَةَ امرأته ، فغضبت على عبد الملك وكان بينهما باب فأغلقت ذلك الباب ، فشق غضبها على عبد الملك ، فشكا إلى رجل من خاصته ، يقال له عمر بن بلال الأسدى ، فقال له : مالى عندك إن رَضِيَتْ ؟ قال : حُكْمَكَ ... ، إلى آخر أحداث تلك القصة الطريفة التى انتهت بصلح عاتكة لعبد الملك بن مروان ومكافأة رسول السلام بينهما بأجزل عطاء[2] .

ثم يحكى سلام ، أن بعض الخلفاء قال للفرزدق وجرير : حتى متى لا تنزعان ؟ قال جرير : ياأمير المؤمنين إنَّهُ والله يظلمنى ، قال : صدق ، أنا أظلمه ووجدت أبى يظلم أباه[3] ، وعن مَسْلَمَةَ بن عبد الملك حين قال ليزيد بن عبد الملك : ياأمير المؤمنين ، ببابك وفود الناس ويقف ببابك أشراف العرب فلا تجلس لهم وأنت قريب العهد بعمر بن عبد العزيز[4] ، وعن المُكَّاءِ ومضيفِهِ أحد بنى حية ـــ الذى ذبح له شاة وسقاه الخمر ففاخره مفاخرة ذميمة[5] ، وعن يزيد بن المهلب حين كتب إلى الحجاج إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عُرْعُرَة الجَبَل[6] .

حكى له عن هذا وعن غيره من الأخبار[7] التى تعطينا صورة واضحة عن مدى الكفاءة الثقافية التى كانت تحيط بابن سلام وتوجهه منذ نشأته الاولى .

عبدالرحمن بن سَلَّام : الأخ :

وأبو حرب ، عبدالرحمن بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحى مولى قدامة بن مظعون[8] ارتوى من نفس المنهل الذى ارتوت منه اسرة ابن سلام . وقد قال

---

(١) المرزبانى : الموشح ٢٢٨ .
(٢) الأغانى : ط الورارة ٣٨٣/٢ .
(٣) ابن سلام : الطبقات ٣٧٠ .
(٤) المصدر السابق ٦٦٣ .
(٥) المصدر السابق ٦٠٣ .
(٦) المصدر السابق ١٣ .
(٧) انظر الطبقات لابن سلام ١٤ و ٤٠٧ و ٦٥٥ و ٦٨٢ و ٦٩٦ و ٧٠٠ و ٧٤٥ و ٧٥١ و ٧٩١ والأغانى ١٥٣/١٥ .
(٨) ابن منجوبة : رجال صحيح مسلم · مخطوط بالمكتبة العامة ـــ الإسكندرية تحت رقم ١٢٤٥ ب ورقة

عبد الرحمن بن سلام إلى أن يكون محدثا فروى عن إبراهيم ابن طهمان والربيع بن مسلم ، وحماد بن سلمة وفضل بن عياض ومبارك ابن فضالة والدَّارَوَرْدِى وغيرهم ، وروى عنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم السجستانى وموسى بن هارون وإبراهيم بن التغدى وغيرهم .

و ـــ عون بن محمد بن سلام ـــ الابن :

هل كان لابن سلام أولاد ؟ يجيب أبو خليفة انه سمع ابن سلام يقول : أفنيت ثلاثة أهلين (أى زوجات) ، تزوجت وأطفلت ، ثم ماتوا ، ثم فعلت مثل ذلك فماتوا ، ثم فعلت التالتة فماتوا ، وهأنذا فى الرابعة (أى الزيجة الرابعة) (ولا أولاد)، وكان أبو خليفة إذا حدث هذا الحديث أنشد شعر النابغة الجعدى :

ثَلاثَـــةَ أهْـــلين أفْنيتهُـــمُ ∴ وكان الإله هو المُسْتَآسَى

ومن هذا الخبر نعلم أن ابن سلام تزوج ثلاث مرات ، أما مَنْ تزوج ؟ ومتى ؟ لاندرى ، والرابعة أعتقد أنها أنجبت وعاش أطفالها ، وأَنَّ أداة النفى فى الخبر الذى أورده ، البغدادى (٣٣٤هـ)[١] تحريف لأداة الملكية وأصلها (هأنذا فى الرابعة ولى أولاد) وكذا وردت عند القفطى (٦٤٦هـ) فى نفس الخبر والرواية[٢] ، والواقع يؤيده حين يروى عون لأبيه خبرا ورد فى الأغانى .

يقول أبو الفرج ، أخبرنى أبو خليفة الفضل بن الحباب قال : حدثنا عون بن محمد بن سلام ، قال حدثنى أبى عَمَّنْ حدثه عن الزهرى : قال[٣] .

ـــ ١٠٢ ، الذهبى : الكاشف ـــ وهو مختصر كتاب تهذيب الكمال ـــ مخطوط بنفس المكتبة تحت رقم ٥٨١٦ ج ورقة ٦٢ ، العسقلانى : تقريب التهذيب مخطوط بنفس المكتبة تحت رقم ١٠٤٦ ب ورقة ٤٥ ـــ انظر المطبوع ص ١٢١ ـــ وللعسقلانى أيضا : تهذيب التهذيب ١٩٢/٦ ، وللخزرجى : خلاصة تهذيب الكمال ط المطبعة الخيرية ـــ الطبعة الأولى ـــ القاهرة ١٣٢٢ ، ١٩٣ ، ولابن القيسرانى : الجمع بين رجال الصحيحين ٢٩٧/١ ، ومن تهذيب التهذيب انظر المطبوع ١٢١ .

(١) المرزبانى-المقتبس ١٨٥ ، المسمى « نور القبس المختصر من المقتبس » اختصار .

(٢) البغدادى : تاريخ بغداد ٣٢٩/٥ .

(٣) القفطى : إنباه الرواة ١٤٤/٣ .

ز ـــ أبو خليفة الفضل بن الحباب « ابن الأخت » :

هو أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شُعَيْب بن صخر[1] بن عبد الرحمن الجمحى[2] الإمام الثقة محدِّث البصرة[3] من رواة الأخبار والأدب والأشعار والأنساب[4] مسند وقته[5] الذى رُحل إليه من الأقطار[6] وسمع إبراهيم بن مسلم وسليمان بن حرب ومُسَدَّدًا وأبا الوليد الطيالسى وحفص بن عمر الحوضى[7] ومحمد بن كثير ومحمد بن سلام وحكى عن أحمد بن حنبل أشياء[8] وحدَّث عنه أبو بكر الجعَّانى والطبرانى والإسماعيلى وابن عدى وأبو الشيخ وأبو أحمد الغطريفى[9] وولى قضاة البصرة[10] .

ورصيد أبى خليفة الفضل بن الحباب يكاد يقترب من رصيد خاله ابن سلام من حيث تعداد الأخبار الواردة عنه ، وهذا قد جاء له من ناحيتين ، أحدهما أنه روى معظم كتب خاله وعن طريقه عرفها المؤرخون وعرفناها معهم ، والأخرى أنه له مؤلفات وعمرَّ كثيرا ، عاش لسنة ٣٠٥ هـ فكثر تلاميذه والمحدثون عنه .

---

(١) التنوخى : نشوار المحاضرة تحقيق عبود الشالجى ـــ بيروت ١٩٧١ م . انظر ٢٧/٢ ، ٢٨/٢ .

(٢) الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ـــ ط السعادة سنة ١٩٣٣م ٨/٢ .

(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ـــ ط حيدراباد ـــ بدون تاريخ ٢٤٢/٢ .

(٤) الحموى : معجم الأدباء ٢٠٤/١٦ .

(٥) الذهبى : دول الإسلام ـــ ط حيدر آباد ـــ الطبعة الثانية ١٣٦٤هـ ١٣٥/١ .

(٦) الذهبى : ميزان الاعتدال ٣٢٦/١ .

(٧) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٢٤٢/٢ .

(٨) ابن أبى يعلى : طبقات الحنابلة ٢٤٩/١ .

(٩) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٢٤٢/١ .

(١٠) وانظر فى أخبار خليفة الفضل بن الحباب : ابن النديم : الفهرست ١٧١ ، الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين ١٨٢ ، السيوطى : بغية الوعاة ٣٧٣ ، الحنبلى : شذرات الذهب ٢٤/٣ ، العسقلانى : لسان الميزان : ٣٥٤/٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٩٢/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ١٢٨/١١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٤/٨ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٤٦/٢ ، أبو الطيب اللغوى : مراتب النحويين : ١٠٨ ، القفطى : إنباه الرواة ٥/٣ ، الحموى : معجم الأدباء : ٢٠٤/١٦ .

وكان أبو خليفة شيعيا[١] وأورد له ابن النديم من الكتب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب الفُرْسان[٢] .

ويحدثنا التنوخى أن أبا خليفة القاضى ، كان صديقا لأبيه وعمه أيام وفدا إلى دور الأهواز ، فى فتنة الزَّنْج ، يقول : فلما قدمت إلى البصرة ، قدمتها مع أبى فأنزلنا أبو خليفة داره وأكرمنا ، وأمكننى من كتبه ، فكنت أقرأ عليه كل ماأريد وأسمع كيف شئت وكنت أنسخ لنفسى وأصوله مبذولة لى ، فإذا جاء الليل جلسنا وتحادثنا فربما أحببت القراءة عليه فيجيبنى ، فإذا أضجرته يقول : رَوِّحْنى ، فأقطع القراءة[١] .

ولما تهاجى أبو بكر بن دريد والباهلى بالبصرة وتفاقم الأمر بينهما تنافروا إليه وارتضوه حكما لهما[٢] .

أما عن الحديث ، فقد حَدَّث عن أبى الوليد ومحمد بن كثير عن شعبة عن أبى اسحاق عن البَرَّاء بن عازب الأنصارى .

وحكى عن نفسه ، أنه كان يذاكر أحمد بن حنبل بالليل كثيرا ، حينما جاء إلى إلبصرة ليسمع من أبى الوليد الطيالسى[٣] .

وهذه اللقطات السريعة وغيرها تضع لنا أبعادا واضحة لأبى خليفة ، فهو أديب محدِّث شاعر كريم خطيب ورئيس القوم حين تشتد الشدائد ، ليس هذا فحسب بل كانت روحه خفيفة ، فدار المزاح بينه وبين الناس سجالا ، حتى وهو قاض[٤] ويحكى لنا عنه المسعودى قصة طريفة حدثت له حين كان مع أصدقائه يتناقشون العلم فى حديقة عامة وبجوارهم بعض الأَكَرَةِ الذين لم يفهموا حديثهم ، وظنوهم يعبثون بقراءة القرآن ، فانهالوا عليهم ضربا فلم يخلص أبو

---

(١) الصفدى : نكت الهميان : ٢٢٧ ، الحموى : معجم البلدان ١٦/١٠٤ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ١٧١ .

(٣) التنوخى — نشوار المحاضرة — ط . بيروت ٢/٢٧ و ٢٨ .

(٤) الزبيدى :طبقات النحويين ١٩٩ .

(٥) ابن ابن يعلى : طبقات الحنابلة ١/٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٦) الصفدى : نكت الهميان ٢٢٦ .

خليفة نفسه منهم إلا بعد كَدٍّ طويل(١) ويحكى الحموى عنه أنه دخل بيته كلب وهو جالس فى منزله مُحْدِثاً ضوضاء،فظنه لصا،فقال له أيها اللص مَالَك ومَالَنا ؟ أنْ أردت المال فعليك بفلان وبفلان ، إنما عندنا قِمَطْرَان ، قِمَطْر فيه أحاديث ، وقمطر فيه أخبار ، وإن أردت الحديث حدثناك عن أبى الوليد الطيالسى ، وأبى عمر الجرمى وابن كثير وهو محمد ، وإن أردت الأخبار أخبرناك عن الرياشى عن الأصمعى ومحمد بن سلام ، فصاح ابنه إنما كان كلبا ، فقال : الحمد لله الذى مسخه كلبا وَرَدَّ عَنَّا حَرَبًا(٢) .

هذا راوى طبقات الشعراء لصاحبه ابن سلام وأحد تلاميذه المقربين ونستطيع أن نلمس أثر ابن سلام فى مواضع عديدة من تكوينه العلمى والشخصى ، وقد نبسط فيه قولا فى مكان آخر حين نتكلم عنه تلميذا من تلاميذ ابن سلام .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٢/٣٦٤ ، ٣٦٥

(٢) الحموى : معجم الأدباء ١٦/٢٠٨ .

ثالثا : نشاطه العلمي

أ ـــ شيوخه .

ب ـــ تلاميذه .

ج ـــ كتبه .

د ـــ مصادر رواياته .

هـ ـــ اتجاهه .

ثالثا : نشاطه العلمى

أ ــ شيوخه

وأقصد بهم أولئك العلماء الذين لازمهم ابن سلام فأطال ، وأخذ عنهم فأكثر ، فظهر فيه أثر واضح من آثارهم من السهل الإشارة اليه .

ولا أستطيع أن ألتزم بالوقوف عند كل من أخذ عنهم ابن سلام ، فقد أخذ عن عدد غفير ، وكثرة عددهم تحول دون الهدف ، وكيف لى أن أعرف مدى صلته بهم.؟ وهل هى صلة تأثير وتأثر أم هى علاقة عابرة استغرقت رواية خبر أو خبرين ؟ ولكنى أستطيع أن أشير عن قرب الى أفراد معينين توافرت فيهم بعض معالم الأستاذية ، وقد أحصيت كل الأسانيد التى وجدته يأخذ بها عن شيوخه ، ووضعت أمام كل شيخ نقطة تمثل خبرا أعطاه لابن سلام ، وحينما انتهيت وحاولت أن أطبق الفكرة على تلاميذه ووجدت أن العدد يختل ، إذ أخذ هو عن شيوخه كثيرا ، وتفرد بأخبار عديدة من غير سند ، ولذا حصرت نفسى فى ٢٩٠ خبرا(١) ، تشكل حالين إحداهما أخبار أخذها ابن سلام عن أساتذته ونلقها عنه تلاميذه ،والأخرى أخبار منه فقط ونقلها عنه تلاميذه ، فالمائتان وتسعون خبرا توافر فيها وجود الشيوخ وابن سلام والتلاميذ ، فأصبحت نموذجا صالحا للأخذ به لمعرفة عدد الأخبار التى أخذها عن كل شيخ ، ومقدار أهمية هذا الشيخ له من الناحية التعليمية وفى الوقت نفسه نستطيع أن نعرف عن طريقها تلاميذه فكانت النتيجة :

---

(١) هذه الأخبار استقيتها أولا من كتاب الطبقات لابن سلام ثم استعنت بكتاب الأغانى فوجدت خمسة وأربعين ومائتين (٢٤٥) خبرا منها مائة وخمسة وثلاثون خبرا (١٣٥) فى كتاب الطبقات ، فحذفتها وتبقى اثنان وعشرون ومائة خبرا (١٢٢) غير موجودة فى الطبقات منها خبر مكرر وهو الخبر الذى ورد فى ٣٩/١ و ١٢٧/٩ والأجزاء الستة عشر الاولى من الاغانى ــ طبعة وزارة الأرشاد القومى والاجزاء ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، طبعة ساسى .

وهذه أرقام الأخبار التى فى الاغانى وفى غيره من الكتب ولاتوجد فى الطبقات الأعانى : ط وزارة الثقافة والإرشاد :

الجزء الأول : ٤٠ ــ ٦٦ ــ ٧١ ــ ٨٢ ــ ٢٦٥ ــ ٢٩٤ ــ خبران ٣١٠ ــ ٣١٤ =

١ ـــ يونس بن حبيب   عدد الأخبار التى رواها عنه ابن سلام ٣٥ خبرا
٢ ـــ أبو الغراف « عمرو بن مرثد   ٣٤ خبرا
٣ ـــ سلام بن عبيد الله الجمحى   ١٤ خبرا

= الجزء الثانى : ٣٥ ـــ ٣٨ ـــ ٢٠٣ ـــ ٢٠٤ ـــ ٢١٥ ـــ ٢٢٦ ـــ ٢٢٨ ـــ ٢٣٥ ـــ ٢٦٢ ـــ ٣٣١ ـــ ٣٣٢ ـــ ٣٥٧ ـــ ٣٦٠ ـــ ٣٦٥ ـــ ٣٧٠ ـــ ٣٧٨ ـــ ٣٨٣ ـــ ٤٠١ ـــ.

الجزء الثالث : ٢٧ ـــ ١٤٠ ـــ ١٤١ ـــ ١٥٣ ـــ ١٦٧ ـــ ١٦٨ ـــ ١٩١ ـــ ٢٠٣ ـــ ٢١١ ـــ ٢٧٨ ـــ ٣١٣ ـــ ٣٢٥ ـــ ٣٤٢ ـــ ٣٥٢ ـــ ٣٥٦ ـــ.

الجزء الرابع : ٣ ـــ ١٦٩ ـــ ٢٣٧ ـــ ٢٤٦ ـــ ٢٧٤ ـــ ٢٨٢ ـــ ٢٨٥ ـــ ٣٠٢ ـــ

الجزء الخامس : ١٢ .

الجزء السادس : ٨٥ .

الجزء السابع : ٢٦ ـــ ٢٨ ـــ ٣٠ ـــ ١١٠ ـــ

الجزء الثامن : ١٨٨ ـــ ٢٠٤ ـــ ٢٧٧ ـــ ٣٤٧ ـــ ٣٤٨ ـــ ٤١٨ ـــ ٤١٢ ـــ

الجزء التاسع : ١٠٨ ـــ ١٢٧ ـــ ٢٤١ ـــ ٣١٢ ـــ ٣٢٤ ـــ

الجزء العاشر : ٣ ـــ ٢١ ـــ ٨٢ ـــ ٢٣٩ ـــ ٨٨٢ ـــ ٣٢٥ ـــ

الجزء الحادى عشر : ١٨٨ ـــ ١٩١ ـــ ٢٥٣ ـــ ٢٥٦ ـــ

الجزء الثانى عشر : ٦٩ ـــ ٢٣٩ ـــ ٢٦٠ ـــ ٣٠١ ـــ ٣٠٧ ـــ

الجزء الثالث عشر : ٢٧٠ ـــ ٢٧٢

الجزء الثالث عشر : ٢٧٠ ـــ ٢٧٢ .

الجزء الرابع عشر : ١٢١ ـــ ١٦٤ ـــ ١٦٥ ـــ ١٦٨ ـــ

الجزء الخامس عشر : ٢ ـــ ٦٧ ـــ ٧٦ ـــ ١٢٥ ـــ ٢٠٨ ـــ ٢٢٢ ـــ خبران ٢٢٥

الجزء السادس عشر : ٥٥ ـــ ٨٥ ـــ ٨٦ ـــ ١٤٤ ـــ ١٥١ ـــ ١٦١ ـــ ٣٠٧ ـــ

الجزء السابع عشر : ط ساسى : ١٦٤ .

الجزء الثامن عشر : ط ساسى : ٦٦

الجزء التاسع عشر : ط ساسى : ١٣ ـــ ١٤

الجزء العشرون : ط ساسى : ٢ ـــ ٣

الجزء الحادى والعشرون : ط ساسى ٥٨ ـــ ١٢١ ـــ ١٢٨

البيان والتبيين : الجاحظ : لجنة التاليف والترجمة ـــ القاهرة ١٩٦١ م ـــ تحقيق عبد السلام هارون ٣٩/١ ، ٢٤١/١ ، ١٨/٢

الحيوان : الجاحظ : ط الحلبى ـــ القاهرة ١٩٣٨ م ـــ تحقيق عبد السلام هارون (١٠٤/١ ـــ ونفس الخبر مكرر فى ٢٥٢/٣ ، ١٦٦/٥) و ٣٦٣/٢ ونفس الخبر موجود فى عيون الأخبار لابن قتيبة : ط دار الكتاب ـــ القاهرة ١٩٢٥ م ـــ ١٥٤/٢ ، وفى العقد الفريد : لابن عبد ربه ـــ لجنة التأليف والترجمة ـــ القاهرة ١٩٤٦ م ـــ ٧٩/١ ، ٣٦٧/٢ ، ١١٩/٣ ، ٥٩٠/٥ =

٤ ـــ شعيب بن صخر « جد أبى خليفة الجمحى » ١٢ خبرا
٥ ـــ أبو عبيدة « معمر بن المثنى » ١١ خبرا
٦ ـــ أبو يحيى الضبى ١١ خبرا
٧ ـــ جرير المدينى ٩ أخبار

= القول فى البغال : الجاحظ : ط الحلبى ـــ القاهرة ١٩٥٥ م ـــ تحقيق شارل بلا ـــ ١٣٥ .
معجم الشعراء : المرزبانى ـــ ط دار احياء الكتب العربية ـــ القاهرة ١٩٦٠م تحقيق عبد الستار فراج : ١٧٩ و ٢٤٦ .
الموشح : المرزبانى : ط دار نهضة مصر ـــ القاهرة ١٩٦٥م تحقيق على البجاوى ، (٩٩ ـــ ١٦٨ ـــ ١٧٢ ـــ ١٧٨ ـــ ١٨٥ ـــ ١٨٦ ـــ ١٩١ ـــ ٢٢٥ ـــ ٢٧٥ ـــ ٢٧٧ ـــ ٢٦٩ ـــ ٣٠٧ ـــ ٣١٨ ـــ ٣٢٧ ـــ ٣٣١ ـــ ٣٤٣ ـــ ٥٥٨ ـــ ٥٦٠ ـــ
الشعر والشعراء : ابن قتيبة دار المعارف ـــ القاهرة ـــ تحقيق محمد أحمد شاكر ١٣٦٤هـ ٧٠/١
عيون الأخبار : ابن قتيبة ـــ ط دار الكتب القاهرة ١٩٢٥م ١٧١/٢
المزهر ـــ السيوطى ، ط الحلبى ـــ القاهرة ـــ بدون تاريخ ـــ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ٣٦٠/٢ ، ٤٠١/٢
طبقات النحويين واللغويين : الزبيدى : ط الخانجى ـــ القاهرة ١٩٥٤م تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ـــ ٤٨ ـــ ٤٩ ـــ ٥٠ ـــ ٦٧ ـــ ١٩٥ ـــ ١٩٦
الورقة : ابن الجراح : ط دار المعارف القاهرة ١٩٥٣م ـــ ٤٥ ـــ ٤٦ ـــ ٤٨ ـــ ٦٥
الأمالى : القالى ـــ ط بولاق ـــ القاهرة ١٣٢٤هـ ـــ ٦٥/١ ، ١٥٦/٢
ذيل الامالى : نفس الطبعة ونفس السنة ـــ ٢/٣ ، ١٩/٣ ، ٣٩/٣ ، ١٠٦/٣
مجالس ثعلب : ثعلب : ط دار المعارف ـــ القاهرة ١٩٤٨م ـــ تحقيق عبد السلام هارون :
مجالس ثعلب : ٩/١ ، وهو مكرر ٣٢/١ ، ٣٦/١ ، ٣٨/١ ، ٣٠٩/١ ، ٥٠٠/٢ ، ٥١١/٢ ، ٥١٢/٢ ، ٥١٩/٢ ، ٦٦٣/٢

وهذه الأخبار عدتها اثنان وستون خبرا (٦٢) واذا أضفنا إليها الأخبار التى فى كتاب الأغانى يكون (١٨٤) واذا علمنا أن كتب الطبقات لابن سلام يحتوى على سبعة وأربعين ومائة خبرا (١٤٧) مسبوقة (حدثنى ـــ حدثنا ـــ أخبرنى ـــ أخبرنا ـــ عن فلان ...) وقد تركنا سمعت ، وقال فلان ....
يكون المجموع بهذا (٣٣١) اقتصرنا منهم على الأخبار التى تميزت باحتاج تلاميذ ابن سلام مع شيوخه ـــ وأصبح هو أداة توصيل من شيخه الى تلميذه ، وأصبحت هذه الأخبار صالحة لأن يعرف عن طريقها أهم شيوخ ابن سلام وأكثر تلاميذه تلقيا عنه وتأثرا به .

٨ ــ أبو الخطاب الزرارى « حاجب بن يزيد »	٧ أخبار
٩ ــ أبان بن عثمان البجلى	٧ أخبار
١٠ ــ ابن جعدبة (يزيد بن عياض بن جعدبة)	٥ أخبار
١١ ــ ٣ رواة لكل منهم ثلاثة أخبار	٩ أخبار
١٢ ــ ١٢ راويا لكل منهم خبران	٢٤ خبرا
١٣ ــ ٤٨ راويا لكل منهم خبرا	٤٨ خبرا
١٤ ــ الأخبار الموقوفة على ابن سلام وتتعداه إلى تلاميذه	٧٤ خبرا

المجموع : ٧٣ راويا « أخذ عنهم ابن سلام فى هذه الإحصائية » ومجموع الأخبار ٢٩٠ خبرا .

ملحوظة : بدئت هذه الأخبار بأخبرنى وأخبرنا وأنبانى وأنبأنا والعنعنة وثلاثة الرواة هم : « الأصمعى ، عامر بن مسمع ، جابر بن جندل »

ومن الصعب أن نعتبر أصحاب الآحاد من الأخبار شيوخا له ولا أصحاب الاثنين ولا من شابهما ، أما يونس بن حبيب وأبو الغراف وسلام الأب ، وشعيب بن صخر ، وأبو عبيدة ، وأبو يحيى الضبى ، فعدد أخبارهم تجعلهم فى منزلة الأساتذة المباشرين المؤثرين فى ابن سلام ، ويأتى بعدهم الطائفة الثانية من الشيوخ المكونة من جرير المدينى وحاجب بن يزيد وأبان بن عثمان وابن جُعْدبة وهكذا .

وأعترف بأن براءة أرقام الإحصائية تحمل فى طياتها جانبا خادعا للبصر ، فقد يلازم التلميذ أستاذه سنين ويأخذ عنه العلم بقدرٍ أكثرَ وأعقد مما نتصور ، ولا تكتسب خبراته شيئا جديدا ، أى لايظهر للملازمة أى أثر فى سلوك التلميذ العلمى الثقافى ، بشكل مادى ملموس ، يدل على أن التلميذ استجاب لتأثير الأستاذ ، ومن الممكن أن يحدث عكس الشيء .

ولكننا هنا نأخذ الشكل العام ، ونقول : إن طول المجالسة مع الاستعداد والاستجابة يؤديان الى إلتأثر واكتساب الخبرات المتعددة .

فيونس بن حبيب ، ظهرت ظلاله على شخصية ابن سلام واضحة ملموسة وكذا أبو عبيدة ، وكذا أبو سلام ، ويتذبذب الأثر صعودا وهبوطا قوة وضعفا بالنسبة لكل راو روى عنه ابن سلام البالغ عددهم اثنين وتسعين راويا ، مابين شاعر واخبارى وعالم وأعرابى[1] .

ونفس الظاهرة تظهر بالنسبة لتلاميذه ، سنجد ظلال ابن سلام عليهم ، فى صورة نقدية مَرَّةً ، ولغوية مرة وتاريخية ثالثة وفكاهية رابعة وهكذا بل قلدوه فى مؤلفاته كما قلد هو أساتذته من قبل .

وسأقتصر فى حديثى عن الشيوخ على يونس بن حبيب ، وألحظ أن أبا عبيدة جاراه فى أبواب تخصصه بالنسبة لابن سلام ، أما أبو الغَرّاف فقد شابهه أبو يحيى الضبى فى ميدان تخصصه وهو الأخبار عن شعراء الدولة الأموية خاصة والشعراء عامة ، وتنوعت مجهودات شعيب بن صخر الثقافية بالنسبة لابن سلام ، مابين أخبار للشعراء ونَسَبٍ ونقد ولغة ومُلَحٍ .

يونس بن حبيب :

ويونس هذا أستاذ العلماء ، أخذ الأدب عن أبى عمرو بن العلاء ، وحماد بن سلمة[2] وسمع منه الكسائى والفراء[3] وروى عنه سيبويه كثيرا[4] واختلف إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى أربعين سنة[5] أما حلقته بالبصرة فكان ينتابها أهل العلم

(١) أورد الأستاذ شاكر فى مقدمته ص ١٢ ، ١٣ « تبتا بواحد وسبعين شيحا لابن سلام » وجمعنا له واحدا وعشرين فأصبح عددهم اثنين وتسعين شخصا والعدد السابق لهم ٧٣ هو مجموع الشيوخ الذين لهم أخبار أداها عنهم ابن سلام الى تلاميذه .

(٢) اليافعى : مرآة الجنان ٣٨٨/١

(٣) السيرافى : أخبار النحويين البصريين ــ ط الحلبى ــ القاهرة ١٩٥٥م ــ الطبعة الأولى تحقيق الزينى وخفاجى ٢٧

(٤) اليافعى : مرآة الجنان ٣٨٨/١

(٥) أبو الطيب اللغوى : مراتب النحويين ط نهضة مصر ــ القاهرة ١٩٥٥م تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ٢١

وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية[(١)] .

فأستاذية يونس لابن سلام أمر له شأنه ــ وإجازة من عالم خَرَّجَ على يديه علماء لهم المنزلة السامقة والمكانة المرموقة .

قيل ليونس لما مات سيبويه أن سيبويه قد ألّف كتابا من ألْفِ ورقة فى علم الخليل ، فقال : ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كُلَّه ؟ جيئونى بكتابه . فلما نظر فى كتابه ورأى ماحكى ، قال : يجب أن يكون هذا الرجل فد صدق عن الخليل ، فيما حكاه ، كما صدق فيما حَكَىَ عنى[(٢)] .

ويخيل إلى أن يونس ليس بحاجة لكل هذه الجلبة ، والأحسن أن أدع ابن سلام يقص علينا بعض جوانب استفادته من أستاذه العظيم .

يقول : كان يونس يزورنيفأطلب له النبيذَ الحُلْوَ ، فيتهافت فيه الذباب فيشرب منه القدح ثم يقول : قاتله الله إنه لَيَشْحُنُهُنَّ شَحْناً ، وربما أتى بالنبيذ الحازر فيشرب منه قدحا ، ثم يقول : قاتله الله : إنه ليقصعهن قصعا[(٣)] .

فالصلة بينهما وثيقة ، تتعدى المجالس واللقاءات الخاطفة إلى الصداقة الوطيدة والأستاذية المؤثرة الموجِّهة ، يسمع ابن سلام أستاذه يفسر ألفاظ القرآن فى قوله جل وعلا « فاليوم نُنَجِّيكَ بِبَدنِكَ » (يونس ــ ٩٢) يقول يونس : ننجيك نجعلك على نجوة فى الأرض ، وهى المكان المرتفع ، ببدنك: بِدِرْعِكَ، وينشد لأوس بن حجر :

دانٍ مُسِفٌ فويق الأرض هَيْدَبُهُ ∴ يكاد يدفعه من قام بالرَّاح
فمَنْ بنجوته كمن بعقوته ∴ والمستكن كمن يمشى بقرواح[(٤)]

ويسأله عن قوله تعالى « إنما أنتَ من المُسَحَّرِينَ » (الشعراء ــ ١٥٣) فيقول يونس : من المعَلّلين ، وينشد لامرئ القيس :

---

(١) السيرافى : أخبار النحويين ٢٧ ــ وانظر فى ترجمته أبا الطيب اللغوى : مراتب النحويين ٢١ ، والزبيدى : طبقات النحويين ٤٨

(٢) الزبيدى : طبقات النحويين ٤٨

(٣) المرجع السابق : الحازر : أى الحامض التشديد .

(٤) القالى : ذيل الأمالى ١٩/٣

عصافير ذُبَّانٌ ودُودُ ∴ ونُسَحَّرُ بالطعام وبالشراب

وللبيد :

وإنْ تَسْألينا فِيم نَحْنُ فَإنَّنا ∴ عَصَافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّر

نَحِلُّ بلاداً كلها حَلَّ قَبْلَنَا ∴ ونَرْجُو الفَلَاح بعد عادٍ وحِمْيَرِ

والسحر أيضا : الاستهواء وذهاب العقل(١) .

ويُرْوى أيضا عنه شيئا عن سير الرجال ، وكيف أن عبيد بن أبى وجزة السعدى كان عبدا ، بِيعَ بسوق ذى المجاز فى الجاهلية ، فابتاعه وهيب بن خالد بن عامر بن عميران قصبة بن نصر بن سعد بن بكر بن حوزان . فأقام عنده زمانا يرعى أبله ثم إن عبيدا ضرب ناقة لمولاه فأدماه ، فلطم وجهه ، فخرج عبيد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مستعديا فلما قدم عليه قال : ياأمير المؤمنين أنا رجل من بنى سليم ثم من بنى ظفر أصابنى سباء فى الجاهلية ، كما يصيب العرب من بعض وأنا معروف النسب وقد كان رجل من بنى سعد ابتاعنى ، فأساء إلى وضرب وجهى ، وقد بلغنى أن لاسباء فى الإسلام ، ولا رق على عربى فى الإسلام ، فلما فرغ من كلامه حتى أتى مولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أثره ــ فقال ياأمير المؤمنين ، هذا غلام ابتعته بذى المجاز وقد كان يقوم فى مالى فأساء ، فضربته ضربة والله ماأعلمنى ضربته غيرها قط ، وإن الرجل ليضرب ابنه أشَدَّ منها فكيف بِعَبْدِه ، وأنا أشهدك أنه حر لوجه الله تعالى فقال عمر لعبيد ، قد امتن هذا الرجل ، وقطع عنك مؤنةَ البينة ، فان أحببت فأقم معه فله عليك مِنَّةٌ ، وإنْ أحببت فالحق بقومك ، فأقام مع السعدى وانتسب إلى بنى سعد بن بكر بن هوازن ..... وهكذا إلى آخر القصة(٢) .

فيونس قد أحاط بابن سلام ، وابن سلام قد استوعب يونس الذى عاش ثمانيةً وثمانين عاما لم يتزوج ولم يَتَسَرَّ ولم يكن له هِمَّةٌ إلا طلب العلم ومحادثة الرجال ، وله

---

(١) أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ــ الفاخر ــ ط وزارة الثقافة ١٩٦٠م ــ ١٦٤ تحقيق عبد العليم الطحاوى .

(٢) الأغانى : ط الوزارة ٢٣٩/١٢

من الكتب كتاب « معانى القرآن » وكتاب « اللغات » « وكتاب « النوادر » الكبير وكتاب الأمثال وكتاب « النوادر الصغير »[1] وقد روى ابن سلام أحد كتابى النوادر كما يذكر السيوطى[2] وأعتقد أن كتاب « الفاضل فى مُلَح الأخبار والأشعار » لابن سلام قد اقتدى فيه نهج كتابىْ « النوادر » ليونس كذلك يمكن أن يكون الأمر بالنسبة لكتب « غريب القرآن » لابن سلام فأغلب الظن أن ابن سلام قد استرشد فيه بكتاب « معانى القرآن » ليونس .

وهكذا يحاول ابن سلام جاهدا أن يكمل الطريق التى اختطها أستاذه ، ولكن دون أن يفقد شخصيته .

وحديثنا عن يونس وأخباره التى رواها عنه ابن سلام ـــ على الرغم من كثرتها وتعدد ميادينها ، يجب ألا تنسينا أستاذا آخر ، له فضل الأسبقية ، وفضل التربية وفضل الإرشاد والتوجيه وهو (سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحى ـــ الأب ـــ) صحيح أنه جليس يونس فى حلقته[3] ولكنه لم يصل لدرجة التفرغ والانقطاع للعلم، فوَجَّه ابنه فأحسن توجيهه ، ودفعه دفعا إلى يونس ، وأضرابه من العلماء ، أو بمعنى أصح إلى يونس وتلاميذه من العلماء فكان له أكبر الأثر فى نفس ابن سلام فسَجَّل عنه كُلَّ ماأخبره به ، وأعتقد أن إعجاب ابن سلام الأب بيونس هو الذى دفعه أن يشجع ابنه على سلوك نفس المسلك ليصل إلى الهدف الذى قَصَّر هو عنه . وقد كان ماتمنى وفوق ماتمنى .

فيونس أكثر عددا من ناحية الأخبار فى الإحصائية ، وسَلاَّم الأب أقل أخبارا منه ولكنه يسبقه ويأتى فى المرتبة الأولى أثرا وتأثيرا وتربية وتعليما بالنسبة لابن سلام .

وابن سلام يروى أخبارا عديدة عن أبى الغَرَّاف السُّلَمِى ، وهو عمرو بن مَرْثَد شاعر معروف سندى[4] وَعَىٰ كثيرا من أخبار الشعراء ، فأمدَّ ابن سلام بكل ما رواه لنا عن الثلاثى الهجاء الفرزدق وجرير والأخطل .

---

(١) ابن النديم . الفهرست ٦٩

(٢) السيوطى : المزهر ٢/٢٨٩

(٣) ابن سلام : الطبقات ١٥

(٤) المرزبانى : معجم الشعراء ٣٠

ففى كتاب الطبقات لأبى الغرّاف واحد وثلاثون خبرا[1] رواها عنه ابن سلام ذهب عشرون منها فى جرير والفرزدق والأخطل ، وخمسة فى ذى الرمة ، وما بقى دار حول الراعى وابن لجأ وأبى يزيد والعمير السلولى وعبد الله بن همام وأخيرا يزيد ابن الطَّثْرِيَّة .

فأبو الغراف من بُناةِ الجانب الروائى فى شخصية ابن سَلَّام ، فلولا ماسجله التلميذ لأستاذه لما سمعنا عنه إلا النذّر القليل ، وأخباره لاتدور فقط حول أحداث الشعراء ولكنها تحتوى اللفتات النقدية اللماحة أيضا .

فقد روى ابن سلام عن أبى الغَراف ، أن النابغة هاجى أَوْسَ بن مِغْراء ، قال أبو الغراف : ولم يكن أوس مثله ولا قريبا منه فى الشعراء — فقال النابغة — إنى وإياه لَنبتدِرُ بيتا أينا سبق إليه غلب صاحبه ، فلما بلغه قول أوس :

لَعَمْرُكَ ما تَبْلَى سَرَابيل عامر ∴ من اللؤْمِ مادامت عليها جُلُودُها

قال النابغة : هذا البيت الذى كنا نبتدر إليه ، فغلب أوس عليه[2]

فإذا كان يونس قد كَوَّنَ ابن سَلَّام لغةً ونحواً ونقدا وشعرا وسير رجال ، فأبو الغراف ، قد كَوَّنَ معه الجانب الروائى الخاص بالشعر والشعراء ، شعراء الدولة الأموية عامة ، الشعراء الثلاثة الهجَّائين بخاصة .

والميادين التى قاد يونس ابن سلام لها ، هى نفس الميادين التى قاده لها أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ميادين اللغة والنحو والأنساب والشعر والنقد وسِيَرِ الرجال ثم التفسير .

والميادين الروائية الشعرية والنقدية التى فتحها أبو الغراف لابن سلام هى أيضا التى سار فيه أمامه أبو يَحْيَى الضبى ، وأما شعيب بن صخر بن عبد الرحمن الجمحى ، فقد كان يمده بأصول اللغة كما تعود أن يَدْرُسَهَا على يد يونس وأبى

(١) ذكرنا فيما سبق : فى الإحصائية أن لأبى الغراف أربعة وعشرين خبرا وهذه الثلاثون هى الأخبار السابقة التى اشترطنا فيها توافر وجود أستاذ ابن سلام وهو تلميذ له ، بالأضافة إلى سبعة أخبار لم يتوافر فيها الشروط فيكون المجموع واحدا وثلاثين خبرا . وهذه الظاهرة تتكرر مع غيره .

(٢) الأغانى : ط الوزارة ١٢/٥ ، المرزبانى : الموشح ٩٢

عبيدة ثم تارة يَمُدُّه بأخبار الشعراء كما تعود أن يستقيها من أبى الغراف وأبى يحيى الضبى .

وكلهم مع غيرهم ساروا متساندين متكاتفين ليُخَرِّجُوا على أيديهم ، ناقدنا الروائى العظيم أبا عبد الله محمد بن سلام الجمحى .

وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى ، التيمى من تيم قريش ، وهو مولى لهم ويقال هو مولى لبنى عبد الله التيمى ، أبو عبيدة هذا كان من أعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم[١] وبالشعر والغريب والأخبار[٢] قد اجتمع له علمُ الإسلام والجاهلية وكان ديوان العرب فى بيته[٣] يقول عن نفسه ، إنه ما التقى فارسان فى جاهلية ولا إسلام إلا عرفهما وعرف فرسَيْهما[٤] ويشهد له ابن سلام فى طبقاته بأنه والأصمعى كانا من أهل العلم[٥] .

وأبو عبيدة أخبر ابن سلام بذلك الخبر المشهور المتصل بقضية انتحال الشعر والذى يقول له : إن ابن داود بن متمم بن نويرة قَدِمَ البصرة فى بعض مايقْدُمُ له البدوى فى الجَلَب والميرة ، فنزل النحيت،فأتيته أنا وابن نوح العطاردى ، فسألناه عن شعر أبيه وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته،فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد فى الأشعار ويضعها لنا ، وإذا كلام دون كلام مُتَمِّم ، وإذا هو يحتذى على كلامه ، فيذكر المواضع التى ذكرها متمم والوقائع التى شهدها ، ولما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله[٦]

ولمثل هذه الحادثة وشبيهاتها نَبَّهَ العلماء ، وسجل ابن سلام ، وظهر كتاب الطبقات مثقلا بكل الجهود التى بُذِلَت لتلافى الوقوع فى مأزق الشعر الموضوع ومشكلاته .

---

(١) الزبيدى : طبقات النحويين ـــ ١٩٥

(٢) السيرافى : أخبار النحويين ٥٣

(٣) الزبيدى : طبقات النحويين ١٩٥

(٤) أبو الطيب اللغوى : مراتب النحويين ٤٥

(٥) ابن سلام : الطبقات ٢٣

(٦) المصدر السابق ٤٧ و ٤٨ .

ب ـ تلاميذه :

إن عظمة الأستاذ العالم لاتتوقف عليه ، بل تتعداه إلى كل تلميذ تتلمذ على يديه ، فتكون هذه العظمة سبباً فى شُهْرة التلميذ ، وأيضا تمنح التلميذ من الصيت والسمعة الطيبة مايُحَمِّلانِه مسئولية الظهور بالمظهر اللائق أمام الناس .

وهذا ابن سلام قد تتلمذ على يد يونس بن حبيب أستاذ العلماء : سيبويه والكسائى والفراء وأبى عبيدة وغيرهم ، فاكتسب من عظمة أستاذه رفعة ، ومن شهرته ثقة ، ومن علمه إجازة ، تمنحه قدرة الوقوف منفردا فى ميدان العلم والعلماء .

ويأتى دور التلاميذ، والحق ، أنه قد خَرَّج تلاميذَ علماءَ، فأصبح ابن سلام تلميذا لأُستاذ العلماء ، وأستاذا للتلاميذ العلماء ، وكفاه هذا فخرا .

وعندما نذكر أبا خليفة الفضل بن الحباب ،وإسحاق بن إبراهيم الموصلى ، والرياشى ، وأبا أيوب المدينى ، وأبا يحيى النحوى ، وعُمَر بن شَبَّة ، وأحمد بن أبى خيثمة ، وعيسى بن إسماعيل ، وعندما نقف على عظمتهم ومؤلفاتهم الغزيرة ويملؤنا الإِعجاب ، فلا بد ألا نغفل عن صانع هذه العظمات .

ومافعلناه فى مبحث شيوخ ابن سلام كررناه فى الأخبار التى وردت لتلاميذه عنه ، وكانت الإِحصائية تدور على نفس الأخبار السابقة ، لاحتوائها على الشيوخ والتلاميذ وهمزة الوصل بينهما ابن سلام الجمحى ، فكانت النتيجة :

اسم الـــــــــــــــراوى				عدد أخباره عن ابن سلام
١ ـ الفضل بن الحباب الجمحى « أبو خليفة »	»	»	»	١٧١ خبرا
٢ ـ إسحاق ابن ابراهيم الموصلى	»	»	»	٢٦ خبرا

٣ ـــ عمر بن شبه	»	»	»	١٥ خبرا
٤ ـــ الرياشى	»	»	»	١٤ خبرا
٥ ـــ أبو أيوب المدينى	»	»	»	١٠ أخبار
٦ ـــ أبو يحيى النحوى	»	»	»	٦ أخبار
٧ ـــ أحمد بن أبى خيثمة	»	»	»	٧ أخبار
٨ ـــ عيسى بن إسماعيل	»	»	»	٦ أخبار
٩ ـــ راويان روى كل منهما ثلاثة أخبار	»	»	»	٦ أخبار
١٠ ـــ ٥ رواة روى كل منهم خبرين	»	»	»	١٠ أخبار
١١ ـــ ١٦ راويا روى كل منهما خبرا	»	»	»	١٦ أخبار

مجموع الرواة ٣١ راويا (أخذوا عن ابن سلام فى هذه الاحصائية)

مجموع الأخبار = ٢٩٠ خبرا

وماقلناه عن الأستاذية والتأثير والتأثر ، نديره على وجهه الأخر بالنسبة لتلاميذ ابن سلام ، فقد يروى عنه تلميذ العديدَ من الأخبار ولا يتأثر به ، ويروى تلميذ آخر قليلا من الأخبار ، ولكنه يحاول تقليد أستاذه فى كافة أموره .

ومن المشُاَهَد أمامنا ، أن **للفضل بن الحباب** أكثر من نصف الأخبار ، وأنه ترك لثلاثين راويا مائة وتسعة عشر خبرا يتقاسمونها فيما بينهم ، وهذا يرجع لاستعداده الأدبى الفقهى ثم لعامل القرابة .

أما التلميذ الآخر فهو العالم ، أبو محمد اسحاق بن ابراهيم بن بهمن بن نسك (الموصلى) أحد علماء اللغة والغريب وأخبار الشعراء وأيام الناس ، وكان شاعرا مجيدا(١) كتب الحديث عن سفيان بن عيينة وهشيم بن بشر ، وقد برع فى الغناء وغلب عليه فنسب اليه ، وكان إلى جانب ذلك ـــ حسن المعرفة حلو النادرة مليح المحاضرة جيد الشعر معروفا بالسخاء مُعَظّما عند الخلفاء .

(١) القفطى ـــ انباه الرواه ـــ ١/٢١٥

يحكى عن برنامجه اليومى التعليمى ، بقيت دهرا من دهرى أغلَسُ فى كل يوم إلى هشيم أو غيره من المحدثين فأسمع منه ، ثم أصير الى إلكسائى أو الفراء وابن غزالة فاقرأ عليه جزءا من القرآن ، ثم آتى المنصور زلزل فيضاربنى على طريقين أو ثلاثة ، ثم آتى إلى عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتا أو صوتين ، ثم آتى الأصمعى وأبا عبيدة فأنشدهما وأحدثهما وأستفيد منهما ، ثم أصبو الى أبى فَأَعْلِمُه ماصنعت ، ومَنْ لقيت ، وما أخذت ، وأتغذى معه ، فاذا كان العشى رُحْتُ الى أمير المؤمنين الرشيد(١) .

وقال أحمد بن يَحْيَىَ النحوى ، رأيت لإسحاق الموصلى ألف جزء من لغات العرب سَمَاعَةً ، وسأله عمر بن شبه عما عنده من الكتب فقال عندى مائة قِمَطْر (٢) .

فهذا تلميذ عالم أقل أدواته الغناء ، بالرغم من أنه أُشْتُهر به وانتسب إليه وقد عَدَّدَ له ابن النديم ثلاثةً وثلاثين كتابا معظمها يدور حول الغناء والمغنين .

وماتحت أيدينا من أخبار ــ رواها أسحاق عن ابن سلام ــ رواها عنه ابنه حماد ورواها عنهم جميعا أبو الفرج الأصفهانى ، هذه الأخبار تشير إلى أن إسحاق وجد عنده ابن سلام حصيلة إخبارية عن المغنين لمْ تتوافر عند غيره ممن يتردد عليهم كأبى عبيدة والأصمعى .

والأخبار التى رواها عنه ستة وعشرون خبرا ، يدور اثنان وعشرون خبراً منها حول ابن سريج وابن عائشة والغريض وطُويس والدَّلال ومعبد وغيرهم ، ثم نجد له من بين كتبه كتاب « أغانى معبد » وكتاب « أخبار طويس » وكتاب « أخبار محمد بن عائشة » وكتاب « أخبار الدلال » وكتاب « أخبار معبد وابن سريج وأغانيهما » (٣) .

ولو وصلت إلينا هذه الكتب لاستطعنا أن نرى كيف أثَّر ابن سلام فى اسحاق الموصلى الذى توفى بعد ابن سلام بأربع سنين .

(١) البغدادى ــ تاريخ بغداد ٣٤٠/٦

(٢) القفطى ــ انباه الرواة ٢١٧/١

(٣) ابن النديم ــ الفهرست ٢٠٨

ومن أمثلة أخباره عن ابن سلام ، ماذكره أبو الفرج قال : أخبرنى الحسين ابن يحيى قال : قال : قال حماد : قرأت على أبى عن محمد بن سلام عن جرير بن أبى الحصين قال : كان ابن عائشة إذا غَنَّى فى صوت له من شعر الحطيئة وهو :

∴ عَفَا من سُلَيْمى مُسْحُلَانُ فَحَامِرُه ∴

نظر إلى أعطافه فى كل رنة ، فَسُئِلَ يوما — وقد دَبَّ فيه الشراب — عن ذلك فقال : أنا عاشق لهذا الصوت ، وعاشق لحديثه ، وعاشق لغريبه ، وعاشق لقول الحطيئة ، إن الغناء رُقْيَةٌ من رُقَى ال ...(١) ، ويعجبنى فهم الحطيئة بالغناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غناء ، وكيف لاأعجب به ومحله منى هذا المحل ، وكان لايسأله أحد أياه إلا غناه ، فَمَن فطن له أَكْثَرَ سؤاله إياه وكان جرير يقول : إنه أحسن صوت له وأرقه وأجوده(٢) .

ويقول أبو الفرج أيضا ، أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال : حدثنا حماد ابن اسحاق عن أبيه عن الجمحى ، قال ابن أبى الأزهر — وهو « محمد بن سلام » غَنَّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوما بحضرة الوليد بن يزيد » :

اِمْدَحِ الكَأْسَ ومن أَعْمَلها ∴ واهْجُ قوما قَتَلُونَا بالعطش

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل : نابغة بنى شيبان ، فأمر بإحضاره فأُحضر ، فاستنشده القصيدة فأنشده إياها ، وظن أن فيها مدحا له ، فإذا هو يتفاخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد ، لو سعد جَدُّك لكانت مديحا فينا ، لا فى بنى شيبان ، ولسنا نُخْلِيك على ذلك من حظ ، ووصله ، وانصرف(٣) .

هذا اسحاق الذى كان يملأ أسماع تلاميذه علما وأَكْمامَهُم دنانيرَ يجالس الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق ، وبقى إلى صدر أيام المتوكل ومدحه ، وعَمِىَ إسحاق قبل أن يموت بسنتين(٤) .

---

(١) لفظ تركته لفحشه

(٢) الأغانى : ط الوزارة ٢/٢٣٥

(٣) الأغانى : ط الوزارة ٧/١١٠

(٤) القفطى — انباه الرواة — ٢/٣٦٧

عمر بن شبة :

والأمر يختلف بالنسبة لعمر بن شبة ، وهو ابن عبيدة بن زيد بن رائطة النميرى ، أبو زيد بن أبى مُعَاذ البصرى النحوى الأخبارى(١) وكان عالما بالآثار أديباً فقهيا صَدُوقا وَثّقَهُ الدَّارَقُطْنى(٤) روى عن أبى عاصم النبيل وهارون بن عبد الله وإبراهيم بن المنذر ومحمد بن سلام(٣) .
والأخبار الخمسة عشر التى رواها عن ابن سلام ـــ تنقسم إلى ستة أخبار فى المغنين ، وخبرين فى اللغة ، وخبرين فى النقد ، وخمسة أخبار فى الشعر والشعراء .

ولو وصل إلينا شيء مِنْ كتبه لاستطعنا أن نحصل على عدد أكبر من الأخبار التى استقاها عمر بن شبه من ابن سلام ، ولكن قد أورد له السيوطى نصا وذكر أنه من كتابه « طبقات الشعراء » ، وهذا الكتاب يُذْكَر له فى الفهرست باسم « الشعر والشعراء »(٤) ولا أريد أن آخذ من النص سوى مدى تأثير ابن سلام فى تلاميذه ومدى تشبعهم بروحه فى كتبه .

يقول عمر بن شبة (للشعر والشعراء أول لا يُوقَفُ عليه ، وقد اختلف فى ذلك العلماء وادَّعت القبائل ، كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ، ولم يَدَّعُوا ذلك لقائل البيتين والثلاثة ، لأنهم لا يُسَمُّون ذلك شعرا ، فادعت اليمانية لامرئ القيس ، وبنو أسد لعَبيد بن الأبرص ، وتغلب لمهلهل ، وبكر لعمرو بن قميئة ، والمرقش الأكبر ، وإياد ، لَأبى دُؤاد قال : وهؤلاء النفر المدَّعَى لهم التقدم فى الشعر متقاربون ، لعل أقدمهم لايسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها(٥) .

وهذا النص ينقلنا بسرعة إلى مقدمة طبقات ابن سلام حين يقول : وقد اختلف الناس والرواة فيهم (أى فى الشعراء) فنظر قوم من أهل العلم بالشعر

(١) العسقلانى : تهذيب التهذيب : ٤٠٦/٧ . الذهبى : تذكرة الحفاظ ٩٨/٢
(٢) السيوطى : بغية الوعاة ٢٦١
(٣) ابن النديم : الفهرست ١٦٩
(٤) ابن النديم : الفهرست ١٦٩
(٥) السيوطى : المزهر ٤٧٧/٢

والنفاذ فى كلام العرب والعلم بالعربية ، إذا اختلفت الرواة ، فقالوا بآرائهم وقالت العشائر بأهوائها [١] وحين يقول « ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته وإنما قصِّدَتْ القصائد ، وطُوِّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف .... [٢] وحين يقول « وكان أول من قَصَّدَ القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب وائل .... [٣] وحين يقول « وكان شعر الجاهلية فى ربيعة : أولهم المهلهل والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حِلِّزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسَيَّب بن عَلَس ... [٤] .

ومن أمثلة مارواه عمر بن شبه ، عن ابن سلام قوله : حدثنى محمد بن يحيى أبو غسان قال : تفاخر مولًى لعمر بن أبى ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشعريهما ، فقال مولى عمر ، دعنى منك فإن مولاك والله لايعرف المنازل إذا قلبت ــ يعنى قول الحارث :

إنى وما نَحَرُوا غَدَاة ِمنىً ∴ عند الجِمَار تؤودُها العُقّلَ
لو بُدِّلَتْ أعلى مساكِنها ∴ سُفْلًا وأَصبح سُفْلهَا يَعْلُو
فيكاد يعرفها الخبير بها ∴ فَيَرُدُّه الإِقْواءُ والمحْلُ
لعرفت مغناها بما احتملت ∴ ِمنِّى الضُّلُوع لأهلها قَبْلُ

قال عمر بن شبة :

« وحدثنى محمد بن سلام بهذا الخبر على نحو مما ذكره أبو غسان وزاد فيه فقال مولى ابن أبى ربيعة لمولى الحارث : والله مايُحسْنِ مولاك فى شعر إلا نُسِبَ إلى مولاى [٥] .

مثله ماذكره المرزبانى قال : كتب إلَيَّ أحمد بن عبد العزيز : أخبرنا عمر بن

(١) ابن سلام : الطبقات ٢٤
(٢) ابن سلام : الطبقات ٢٦
(٣) المصدر السابق ٣٩
(٤) المصدر السابق ٤٠
(٥) الاغانى : ط الوزارة ٢١٣/٣

شَبَّة حدثنى محمد بن سلام ، قال : قلت لعباد بن الحجاج أبى الخطاب ــ وكان يميل إلى الشعوبية ، وكان عالما بالشعر مائلا إلى الأخطل متعصبا بالربعية ، أترى الأخطل مجيدا فى مديحه لعبد الملك حيث يقول :

وقد جَعَلَ اللهُ الخِلافَةَ فيكم ∴ لِأَزْهَرَ لا عَارِى الخِوانِ ولا جَدْبِ

فقال : نتف ابن النصرانية إبطيه[1] .

وإذا كان ماأخذه اسحاق الموصلى من ابن سلام يغلب عليه الطابع الغنائى ، فإن الذى يقف فى نهاية طريقه ــ العباس بن الفرج أبو الفضل الرياشى .

والرياشى :

مولى محمد بن سليمان بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب من أهل البصرة[2] قرأ على المازنى النحو وقرأ عليه المازنى اللغة[3] وكان راويا للأصمعى[4] وكان يحفظ كتب أبى زيد والأصمعى كلها وقرأ على أبى عثمان المازنى « كتاب سيبويه »[5] .

وعن صلته بابن سلام يقول أبو خليفة الجمحى ، كان الرياشى يختلف إلى أبى عبد الله يستعير منه كتابه فى « الطبقات » ، فكنت أخرج إليه جزءاً جزءاً ، فقيل للرياشى فى ذلك فقال : لو عاش يومين لسمعه منى[6] فالرياشى أتى لابن سلام من جانب غير الجانب الذى أتى منه إسحاق ، وجد إسحاق بغيته فى أخبار الغناء والمغنين ، بينما نشد الرياشى فى ابن سلام اللغة والنقد وأخبار الشعر والشعراء والمُلَحِ وسير الرجال ، ولاغَرْوَ قد كان يستعير كتاب الطبقات ، ولو بقى ابن سلام يومين لسمع كتابه من حفظ الرياشى ــ وكُتُبُهُ التى ألفها تلقى الضوء على تخصصه وعلى مدى استفادته من ابن سلام وزملائه العلماء .

(١) الموشح : المرزبانى ٢٢٥

(٢) القفطى : إنباه الرواة ٣٦٧/٢ ، وانظر الزبيدى : طبقات النحوين ١٠٣

(٣) السيوطى . بغية الوعاة ٢٧٥

(٤) العسقلانى : تهذيب التهذيب ١٢٤/٥

(٥) القفطى : إنباه الرواة ٣٦٨/٢

(٦) أبو الطيب اللغوى : مراتب النحويين ٦٧

فقد صنف « كتاب الخيل » و« كتاب الإبل » وماختلف أسماؤه من كلام العربِ[1] قال أبو بكر بن دريد ، رأيت رجلا من الوراقين بالبصرة يفضل كتاب المنطق ليعقوب بن السِّكِّيت ويقدم الكوفيين ، فقيل للرياشي وكان قاعدا فى الوراقين ، فقال : إنما أخذنا اللغة عن حَرَشَة الضِّبَابِ ، وأَكَلَةِ اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السَّواد ، وأصحاب الكواميخ ، وأَكَلَةِ الشواريز ، أو كلام يشبه هذا[2] .

وماحكاه أبو الفرج قال : أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعَى ، قال حدثنا الرياشى عن ابن سلام ، قال : كان أبو الأسود الدّؤلى قد أَسَنَّ وكَبُرَ ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد ، والسوق ، ويزور أصدقاءه فقال له رجل : ياأبا الأسود ، أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ، ولو لزمت منزلك كان أودع لك . فقال له أبو الأسود : صدقت ولكن الركوب يشد أعضائى ، وأسمع من أخبار الناس مالا أسمعه فى بيتى ، وأستنشى الريح ، وألقَى إخوانى ، ولو جلست فى بيتى لاغْتَمَّ بى أهلى ، وأنِسَ بى الصبى ، واجترأ علىَّ الخادم ، وكلمنى مِن أهلى مَنْ يهاب كلامى ، لإلْفِهم إياى ، وجلوسهم عندى حتى لعل العنز أن تبول علىَّ فلا يقول لها أحد هُسْ[3] .

وقال أبو سعيد ، مات الرياشى ، فيما حدثنى به أبو بكر بن دريد سنة ٢٥٧هـ بالبصرة ، قتلته الزَّنْج[4] .

وفى هذا المجال وشبيهِهِ ـــ يسير تلاميذ ابن سلام ـــ علماء اللغة والأدب والنقد ، يجدون مايشبعهم ويكمل النقص لديهم ، وأصحاب الغناء والمغنين والمُلح والنوادر ، يجدون أيضا مايبحثون عنه عند ابن سلام .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٢

(٢) السيرافى : أخبار النحويين ٦٨ ، الكامخ : أدم يؤكل لتشهى الطعام ، والشواريز : جمع شيراز وهو اللبن الرائب .

(٣) الأغانى : ط الوزارة ٣٠١/١٢ ، وهس : زجر للغنم

(٤) القفطى : إنباه الرواة ٣٦٩/٢

ثالثا ـــ كتبه :

يذكر ابن النديم أن لابن سلام من الكتب ، كتاب « الفاصل فى ملح الأخبار والأشعار » و« كتاب بيوتات العرب » وكتاب طبقات الشعراء الجاهليين » و« كتاب الحلاب وأجر الخيل » و« وكتاب غريب القرآن »(١) .

والأستاذ شاكر يعتقد أن الكتاب الأول اسمه (الفاضل) فى مُلَحَ الأخبار والأشعار لا الفاصل ، وكذا الكتاب الخامس ، يعتقد أن اسمه الحلاب وإجراء الخيل(٢) . وهما اقتراحان وجيهان .

ويجمل بنا أن ندع الحديث عن كتاب أو كتابىْ طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين إلى القسم الثانى من البحث .

أما مابقى من كُتُبٍ فقد عَجَزْتُ عن التماسها ، فلم يصل إلينا منها شىء يُعَوَّل عليه ، وليس أمامنا إلا كتاب الأغانى ـــ فيممت شطره ـــ وجمعت مافيه من أخبار مصدرها ابن سلام فوجدتها قد بلغت ٢٤٥ خبرا موزعة على الكتاب من جزئه الأول إلى الجزء الحادى والعشرين ، ومن ثَمَّ حذفت الأخبار الموجودة منها فى الطبقات، فَتَبَقَّى (١٢٢) خبرا لاوجود لها فى كتب الطبقات فواصلت البحث فى أمهات كتب الأدب فتجمع لدى بعد حذف الأخبار المكررة أو الموجودة بنصها فى الطبقات (٦٢) خبرا وأصبح المجموع ١٨٤ خبرا ، وتوقفت ، ولو واصلت البحث لوجدت المزيد ، ولكننى اكتفيت من الغنيمة بالإياب،ولم أطمع فى جمع أحد أصول كتبه ، لأننى حتى لو جمعت كل مادته فلا يصح أن أدعى أنى عثرت على كتاب من كتب ابن سلام المفقودة ـــ لذا توقفت .

وأغلب الظن أن هذه الأخبار ، نماذج لهذه الكتب ونُقُول ، وأستطيع أن اقترح نسبة بعضها إلى كتاب بعينه من هذه الكتب ، فَثَمَّ هذا الخبر :

قال ابن سلام : إذا كُنْتَ من تَمِيم فَفَاخِرْ بحنظلة ، وكَاثِرْ بسعد ، وحارِبْ

---

(١) ابن النديم : الفهرست ١٧١ ، ٥٨

(٢) محمود شاكر : مقدمة الطبقات ١٤

بعمرو ، وإذا كنت من قيس ففاخر بغطفان وكاثر بهوازن ، وحارب بسليم ، وإذا كنت من بكر ، ففاخِرْ بشيبان وكاثِرْ بشيبان وحَارِبْ بشيبان(١) .

وهذا الخبر : قال ابن سلام : فارس اليمن فى بنى زيد ، عمرو بن معد يكرب وشاعرها امرؤ القيس وبيتها فى كِنْدةَ الأشعث بنُ قيس ، لايُخْتَلَف فى هذا ، وإنما اخْتَلَفَتْ فى نزار — وأما الشرف ، ما كان للنبى ﷺ واتصل بالاسلام ، وقال أبو إياس البصرى — كان بيت قيس فى آل عمرو بن الظرب العدوانى ثم فى آل عمرو بن يربوع ثم تحول إلى بنى بدر فجاء الإسلام وهو فيهم(٢) .

أعتقد أن هذين الخبرين إذا وجدنا كتاب "بيوتات العرب" لابن سلام لعثرنا عليهما فيه .

وكذلك الشأن فى كتاب « الحِلاب وإجراء الخيل » فهناك بعض الأخبار التى يسهل أن تنتمى له بدون تعسف أو افتعال .

فمثلا ماحكاه الجاحظ حين قال فى كتابه الحيوان:وكل ضعف دخل على الخلقة ، وكل رقة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه وعلى وزن مقداره وتمكنه يظهر العجز والعيب ، وزعم الأصمعى أنه لم يسبق الحلبة فرس أهضم قط ، وقال ابن سلام : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بلقاء(٣) .

وأيضا ماذكره الجاحظ عن ابن سلام عن شعيب بن صخر أنه قال : أرسل مسلم بن عمرو ابنَ عَمٍّ له إلى الشام ومصر يشترى له خيلا فقال له : لاعِلمْ لى بالخيل ، وكان صاحب قَنْص ، وقال : ألست صاحب كلاب ؟ قال : بلى ، قال فانظر كل شيء تستحسنه فى الكلب فاستعمله فى الفرس ، فَقَدِمَ بخيل لم يكن فى العرب مثلها(٤) .

وهذا الخبر أيضا : ذكر ابن سلام عن يحيى بن النضر عن أبى أمية عبد الكريم

---

(١) ابن رشيق : العمدة ٢/ ١٩٥

(٢) الألوسى : نهاية الأرب : المطبعة الرحمانية — القاهرة ١٩٣٤م — الطبعة الثانية ١٩٠/٢

(٣) الجاحظ : الحيوان ١٠٤/١ ، ١٦٦/٥

(٤) الجاحظ : الحيوان ٣٦٣/٢

المعلم : قال : كان الحسن بن أهيم يكره صيد الكلب الأسود البهيم[١] .

وحدث شعيب بن صخر ابن سلام : قال جاء رجل على فرس بماء من مياه العرب فقال : عندكم الريح التى تكب البعير ؟ قالوا : لا ، قال : فتذرى الفارس ؟ قالوا : لا ، قال : فكما تكون يكون مطركم[٢] .

وذكر الجاحظ فى كتابه (القول فى البغال) خبرا لابن سلام يقول فيه : قلت ليونس بن حبيب : ماالبرْذَوْن من الخيل ؟ فأنشدنى :

وإنى امرؤ للخيل عندى مزية .·. على فارس البرذَوْن أو فارس البغل

وقالوا : إنما ذهب الشاعر من اسم الخيل إلى العتاق[٣] .

فهذه الأخبار من الممكن أن تدخل فى نطاق كتاب يدور موضوعه حول « الحلاب وإجراء الخيل » وأعتقد أن ابن سلام لم يذهب بعيدا فى كتابه هذا المفقود ، وأن هذه الأخبار من السهل نسبتها لذلك الكتاب ، وإلى أن يظهر عكس ماأقول مؤيّدا بالبراهين القاطعة ،فاقتراحى قائم .

وأما من ناحية كتابه "ملح الأخبار والأشعار". فهناك أخبار كثيرة تدخل فى نطاقه عن طريق الظن فقط والتشابه بين عنوان الكتاب ومضمون الأخبار ومثل هذا يقال فى غيره من الكتب .

فعن الزبيدى ، قال : وجدت فى كتابى عن العباس : قال : حدثنا ابن سلام ، قال : قال أبو عبيدة :« كيسان » ، يسمع من الناس ، فيعى غير ما يسمع ، ويكتب فى الألواح غير ماوعى ، ثم ينقله من الألواح فى الدفتر بغير ماكتب ، ثم يقرأ فى الدفتر غير مافيه[٤] .

وعن أبى الفرج ، أخبرنى على بن سليمان الأخفش فقال : حدثنا محمد بن يزيد النحوى المبرد ، ولما يتجاوزه ، وذكر ابن النطاح ، هذا الخبر عن ابن سلام

---

(١) المصدر السابق ٣٦٧/٢

(٢) المصدر السابق ١١٩/٣

(٣) الجاحظ : القول فى البغال ـــ ط الحلبى القاهرة ١٩٥٥م ـــ تحقيق الدكتور شارل بلا (١٣٥)

(٤) الزبيدى · طبقات النحويين ١٩٦

وخبر المبرد أتم قال : « كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار ويتحدثون ويتذاكرون أيام الناس ، فوقف عمرو (عمرو بن معد يكرب) إلى جانب خالد بن الصقعب النهدى ، فأقبل عليه يحدثه ويقول : أغرتُ على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم ، فطعنته طعنة فوقع وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه ، فقال له الرجل : ياأبا ثور ، إن مقتولك الذى تحدثه . فقال : اللهم غفرا إنما أنت محدَّث فاسمع ؟ إنما يُتحدث بمثل هذا واشباهه لنرهب هذه المعدية(١) .

وعن الجاحظ : ذكر محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال : قال رجل من أهل الكوفه لهشام بن عبد الحكم(٢) أترى الله عز وجل فى عدله وفضله كلفنا مالانطيق ثم يعذبنا ؟ قال : قد والله فعل ولكنا لانستطيع أن نتكلم به(٣) .

وعن ثعلب : أخبرنا محمد قال : وثَنا أبو العباس قال : قال ابن سلام حدثنى أبان بن عثمان ، أراد رجل بالمدينة أن يسوء عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ويضاربه فجعل يأتى وجوه أهل المدينة فيقول : قال لكم عبيد الله بن العباس تَغَدَّوا عندى ، فجاء الناس حتى مَلَئُوا عليه الدار ، وعبيد الله غافل ، فقال : ماشأنَ الناس ؟ قال : جاءهم رسولك أن يتغدوا عندك . فعلم ماأريد به . فأمر بالباب ـــ فأغلق وأرسل إلى السوق فى أنواع الفاكهة والأُتْرُجّ والعنب والموز فشغلهم وأمر بالأطعمة فطبخت وشويت فلم يفرغوا من الفاكهة حتى أُتُوا بالطعام ، حتى صدروا عنه فقال عبيد الله : أموجود هذا كلما شئت ؟ فقالوا : نعم ، فقلت : لاأبالى من أتانى(٤) .

وإذا نظرنا إلى الأخبار التى جمعناها من كتاب الأغانى ولم نجدها فى طبقات ابن سلام سيلفت نظرنا بعض الملاحظات التى يجدر بنا أن نشير إليها :

(١) الأغانى : ط الوزارة ٢٢٢/١٥ ، ٢٢٣ ، والاسترعاف : السبق والتقدم/محدث : ملهم بالقول

(٢) هشام بن الحكم صاحب المقالة فى التشبيه : وكان من متكلمى الشيعة وجرت بينه وبين أبى الهذيل مناظرات فى علم الكلام منها فى التشبية ومنها فى تعلق علم البارى تعالى (الشهرستانى : الملل والنحل) ١٨٥/١ .

(٣) الجاحظ ـــ الحيوان ١١/٣

(٤) ثعلب : مجالس ثعلب ٣٨/١

فمثلا نلاحظ : أن عمر بن أبى ربيعة له خمسة أخبار تقع فى (٦٦/١ ، ٧١/١ ، ٨٢/١ ، ٣٥٧/٢ ، ٢٧٢/١٣) ، ابن سريج المغنى له خمسة أخبار تقع فى (٢٦٥/١ ، ٢٩٤/١ ، ٢٩٤/١ ، ٣١٠/١ ، ٣١٤/١) ، والعنبرى الشاعر له خبر يقع فى (٣٥/٢) ، ومجنون ليلى له خبر واحد فى (٣٨/٢) وللحطيئة خبر فى (١٥٨/٢) ، ولابن عائشة المغنى سبعة أخبار تقع فى (٢٠٣/١ ، ٢٠٤/٢ ، ٢١٧/٢ ، ٢٢٦/٢ ، ٢٢٨/٢ ، ٢٣٥/٢) وابن ميادة الشاء ـ وله ثلاثة أخبار تقع فى (٢٦٢/٢ ، ٢٣١/٢ ، ٣٣٢/٢) وكذا بشار بن برد وله تسعة أخبار ، وموسى شَهَوات الشاعر وله ثلاثة أخبار وأبو العتاهية وله خبر والأقيشر خبران ، وكذا جرير بن عبد المسيح ، والسّرىّ بن عبد الرحمن ، وبكر بن النطاح ، وعمرو بن شفيق ، وابن قنبر ، وأبو الزوائد ، وعبيد بن أبى وخزة السعدى ، والسيد الحميرى ، ومروان بن أبى حفصة ، ودريد بن الصمة ، وأوس بن مغراء .

ونلحظ أن أخبار المغنين كثيرة ، فابن عائشة المغنى له سبعة أخبار وابن سريج له خمسة أخبار ، والغريض له خمسة أيضا ، وبقية المغنين وعددهم تسعة تتراوح الأخبار عنهم بين خبر وأربعة ، أما المغنيات وعددهن خمس : حُبَابَة والملا وبصبص وسلامة وجميلة فأخبارهن بين خبر واثنين لكل منهن .

ونلحظ أن هناك شعراء لهم ذكر فى كتاب الطبقات ولهم أخبار ليست موجودة فى الطبقات كالفرزدق الذى له ثمانية أخبار ، وكُثَيِّر وله خبران وكذا النابغة الجعدى وأبو النجم العجلى وذو الرمة والأخطل ورؤبة وزهير وعدى بن الرقاع وعبد بنى الحسحاس وأبو الأسود الدّؤَلى وجرير والأحوص ، والأخبار عنهم بين خبر وخبرين .

ونلحظ أيضا أن الأخبار التى تدور حول بشار وعمر بن أبى ربيعة وابن عائشة والغريض تكوِّن فى مجموعها وتسلسلها شيئا يكاد يكون مستقلا فى حد ذاته وكأنه جزء من كتاب .

وهذه الأخبار يبدو أنها واقع مادى لكتب وُجدت لابن سلام وتداولها الناس ووجدها أبو الفرج الأصفهانى كاملة فنقل عنها وأكثر النقل ، وهذه الأخبار ،

توسع دائرة الشك التى حول كتاب الطبقات ومدى تمثيله لما كتب ابن سلام فِعْلاً ، فاذا حذفنا من الأغانى الأخبار التى لَمَ يَرِدْ ذكر لأصحابها فى كتاب الطبقات ، فماذا فى الأُخرى التى لأُصحابها أخبار فى كتاب الطبقات ؟ هل هى بقية لكتاب الطبقات ؟ وهل أخبار ابن ميادة هى التى سقطت من كتاب الطبقات ؟ هل هذه الأخبار مكان الخرم العديد الموجود فى الطبقات ؟ لاندرى ولا نستطيع أن ندرى ..

واخيرا نقدم كتابا آخر لابن سلام لم يذكره ابن النديم له صراحة ولكن ذكره ليونس بن حبيب[1] وعنه يقول السيوطى « وفى « النوادر » ليونس رواية محمد بن سلام الجمحى عنه ، وهذا الكتاب لم أقف عليه إلا أنى وقفت على منتقى منه بخط الشيخ تاج الدين بن مكتوم النحوى ، وقال : إنه كتاب كثير الفائدة قليل الوجود ـــ قال يونس ، فى قوله تعالى : (ويُهيئ لكُم من أمركم مرْفَقًا) (الكهف ـــ ١٦) الذى أختارُ المَرْفِقُ فى الأمر ، والمِرْفَقُ فى اليد ، وقال فى قوله تعالى (فَرُهُن مَقْبُوضة) (البقرة ـــ ٢٨٣) قال أبو عمرو بن العلاء : الرُّهُن والرِّهَان عربيتان والرُّهْن فى الرَّهن أكثر ، والرِّهان فى الخيل أكثر[2] .

هذه صورة غير مكتملة لمؤلفات ابن سلام ، ولعلنا فى مقتبل الأيام نعثر على شيء منها لنعطى الرجل حقه وننقذه من تهويماتنا والظنون .

ج ـــ مصادر رواياته

لقد تعددت المصادر التى استقى منها ابن سلام معلوماته الخصبة ، وكانت طبيعة الوضع الثقافى فى عصره تضطره إلى مثل هذا ، فاللغة العربية وألفاظها وأشعارها وأحداث أهلها الجاهليين ومن عاشوا فى صدر الإسلام والدولة الأموية لم تكن موجودة بنسب متساوية عند هيئة مترابطة يسهل على الإنسان أن يجالسها ويتلقى على يديها العلم ، ولكنها كانت أشتاتا متفرقة ، والحصول على قدر كاف منها يتطلب الرحلة والجهد والمال والعناء .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٦٩

(٢) السيوطى : المزهر ٢/٢٨٩

والأخبار التى لدينا لابن سلام تحدد لنا مصادر أربعة ، استقى منها وارتوى ما بها من ثقافات متباينة ، ولا أستطيع أن أرتبها حسب أهميتها ، لأنى أعتقد أنها جميعا سارت فى خط متساوٍ ولم يترتب أحدها على الآخر ، والمصادر هى العلماء ، والأعراب الفصحاء ، والشعراء ، والكتب والمكتبات .

وأما العلماء فمنهم مَنْ تخصص فى رواية الشعر وفنونه كحماد الراوية ،الأصمعى وأبى عبيدة وغيرهم ومنهم علماء اللغة الذين تخصصوا فى فقه اللغة وأسرارها كيونس بن حبيب وسيبويه وغيرهما .

وأما أهل البادية ، فهم الذين يحملون القدر الكبير من تراث اللغة العربية لأنها لغتهم وحياتهم ـــ وكان الأمر فى بدايته لايلفت النظر أن يسأل حضرى بدويا فى كلمة فصيحة أو بيت شعر غريب ، وعندما استفحل الأمر وانتشر اللحن على الألسن فزع العلماء والرواة والشعراء إلى البادية يستنجدون بأعرابها ، وبدأ الأعراب يرحلون إليهم فى المربد بالبصرة ليسألهم السائلون عما يريدون بعد أن يدفعوا الثمن كأبى البيداء الرياحى وأبى مالك عمرو بن كركرة . والوحش أبى ثروان العكلى وأبى ضمضم الكَلاَبى وأبى العميثل[1] إمَّا أن يَرْحل إليهم ، وإمَّا أن يلتقى بهم فى المجالس والأسواق .

والمصدر الثالث هم الشعراء أنفسهم ورواتهم ، ولابد من لقائهم والسماع منهم ومناقشتهم الشِّعْرَ وفُنونَه ، فهم الطبقة التى جمعت مع لغة العلماء وأهل البادية موسيقية اللغة ، ورهافة الحس ، وفنية اللفتات ، والكتب هى المصدر الرابع .

وقد تمرس ابن سلام بهذه المصادر وعاناها معاناة متواصلة ، إلى إن وصل إلى درجة العلماء الأوائل الملمين بجوانب اللغة والنحو والشعر والنقد .

وأمثلة قليلة من الأخبار ستوضح مانذهب إليه من أثر هذه المصادر فى تكوين ابن سلام العقلى .

أما العلماء فكان ابن سلام يجالسهم ويسألهم ويسمع منهم .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٧١ ـــ ٨٠

قال : كان سيبويه النحوى جالسا فى حلقته بالبصرة ، فتذاكر أشياء من حديث قتادة ، فذكر حديثا غريبا ، وقال : لم يَرْوِ هذا إلا سعيد بن أبى العَرُوبَة ، فقال له بعض ولد جعفر بن سليمان ، ماهاتان الزائدتان يا أبا بشر ؟ فقال : هكذا يقال : لأنّ العَروبة هى الجمعة ، ومن قال عُروبة فقد أخطأ ، قال ابن سلام فذكرت ذلك ليونس ، فقال : أصاب لله دره(١) .

وسأل يونس بن حبيب : إياك زيدا أتُجَوِّزُها ؟ قال : وهو من الإغراء قال ابن أبى إسحاق الفضل بن عبد الرحمن :

إيـاك إيـاك المِـرَاءَ فإنــــه ∴ إلى الشر دَعَّاءٌ ولِلّغَىِّ غَالِبُ(٢)

ثم يسمعه مشايخه يقولون :

لم يكن للعرب بعد الصحابة ، أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع ولا كان فى العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع(٣) .

وهكذا يمده العلماء بما لديهم ويكمل هو نفسه وثقافته بما يسمع من الأعراب وبما يجيبون به عن أسئلته ، وما يلاحظ ممن طريقة نطقهم وكل ما يمكن أن يَعِيَهُ منهم .

ويقول : رأيت أعرابيا من بنى أسد أعجبنى ظَرْفُه وروايته ، فقلت له : أيهما عندكم أشعر ؟ قال : بيوت الشعر أربعة ، فخر ومدح وهجاء ونسيب ، وفى كلها غلب جرير :

قال فى الفخر :

إذا غَضِبَتْ عليك بنو تميم ∴ حَسِبْتَ النَّاس كُلَّهُمُ غِضَابَا

وفى المديح :

أَلَسْتُم خَيْرَ من رَكِبَ الَمطَايَا ∴ وأَنْدَى العـالمين بُطُـونَ راح

(١) الزبيدى : طبقات النحويين ٦٧ والزائدتان هما ، ادخال الألف واللام وفتح العين .

(٢) المرزبانى : معجم الشعراء ١٧٩

(٣) عبد الواحد اللغوى : مراتب النحويين ٢٨ ، السيوطى : المزهر ٤٠١/٢

والهجاء :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ ∴ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلَابَا

والنسيب :

إنّ العُيونَ التى فى طَرْفِهَا حَوَرٌ ∴ قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلَانَا[1]

ويحدثه شيخ من ضبيعة أن جريرا خرج إلى الشام ، فنزل منزلا ببنى تغلب ، فخرج متلثما عليه ثياب سفره ، فلقيه رجل لايعرفه ، فقال : ممن الرجل ! فقال من بنى تميم ، قال : أما سمعت ما قلتُ لغاوى بنى تميم ، فأنشده مما قال لجرير ، فقال : أما سمعت ما قال لك غاوى بنى تميم فأنشده ، ثم عاد الأخطل ، وعاد جرير فى نقضه حتى كثر ذلك بينهما — فقال التغلبى : من أنت ؟ لا حياك الله ، والله لكأنك جرير ، قال : فأنا جرير ، قال : وأنا الأخطل[2] .

أما عن الشعراء فينشده ابن قَنْبُر الشاعر لنفسه :

صَرَمْتِنِى ثم لَا كَلَّمْتِنِى أبَداً ∴ إن كُنْتُ خُنْتُكِ فى حال من الحال

ولا اجترمت الذى فيه خِيانَتُكُمْ ∴ ولاجَرَتْ خَطْرَة منه على بالى

قال ابن سلام : فقلت له وأنا أضحك : ياهذا ، لقد بالغت فى اليمين ، فقال : هى عندى كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هى عندى[3] .

ثم هو يسأل بشارا المرعث ، أى الثلاثة أشعر ؟ فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له فأفرطت فبه ، فيقول له ابن سلام : فهذان ؟ فيقول بشار : كان لجرير ضروب من الشعر لايحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير ، فيقول ابن سلام ، وأى شعر لجرير فى المراثى ، إلا التى رثى بها امرأته ، فأنشده بشار لجرير يرثى ابنه سواده وقد مات بالشام :

قالوا نَصيبُك مِن أجْر فقلت لهم ∴ كيف العَزَاءُ وقد فارقت أشبالى

فارقتنى حَين كَفَّ الدهْرُ من بَصَرِى ∴ وحين صرت كعظم الرمة البالى

الأبيات (٤)

---

(١) الأغانى : ط الوزارة ٦/٨

(٢) الأغانى : ط الوزارة ٣١٧/٨

(٣) الأغانى : ط الوزارة ١٦٥/١٤

(٤) الأغانى : ط الوزارة ١٠/٨ ، ٦٠

وهو يذاكر مروان بن أبى حفصة جريرا والفرزدق فيقول : أحكُمْ فى الثلاثة بشعر فإن الكلام يرويه كل قوم بأهوائهم ، فقال :

ذَهَبَ الفرزدق بالفخار وإنما ∴ حُلْوُ الكلام ومُرُّه لجرير
ولقد هجا فَأمضَّ أخطل تَغْلب ∴ وحوى اللّهى بمديحه المشهور
كُلُّ الثلاثة قد أجاد فمدحه ∴ وهجاؤه قد سار كل مسير

الأبيات ((١))

وأما عن الكتب ــ فقد كان عصر ابن سلام عصر الكتب وتأليفها ونقلها من لغاتها والتنافس فى نسخها ، كيف لا ، وقد انتشرت المكتبات الخاصة فى بيوت الناس وقرأنا عن كثرتها الأخبار المبثوثة فى الأغانى والبيان وغيرهما وكفانا دليلا وجود « بيت الحكمة » ، والقائمين فيه على النسخ والتأليف والنقل واشتداد نشاطهم فى عهد المأمون وغيره ممن خلفه ، وقد تعجب حين نسمع أن الكتب التى أحبها الجاحظ وكدسها فى بيته كانت سببا فى قتله ، حين سقطت عليه وهو جالس وكان عليلا ، كما يحكى لنا أبو الفدا(٢) وندهش حين نعلم أن استعارة الكتب كانت موجودة بل وعادة الاستهانة بالكتب المستعارة أو عدم ردها كانت موجودة أيضا(٣) .

وكان ذلك سببا فى أن كره بعض الأدباء والعلماء إعارة كتبهم خوفا عليها قال رجل لأبى العتاهية : أعرنى كتابك ، فقال : إنِّى أكره ذلك . فقال الرجل : أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره ، فأعاره الكتاب(٤) وطلب الشافعى من محمد ابن الحسن كتبا فمنعها فكتب الشافعى شعرا(٥) .

---

(١) ابن سلام : الطبقات ٣٧٨ أمضَّ : أحرق وآلم وأوجع ــ واللهى جمع لُهْوة وهى العطية تكون أفضل العطاء وأجزله .

(٢) ابو الفدا : المختصر فى أخبار البشر : ٤٧/١ ، الطبعة الأولى ــ المطبعة الحسينية ١٢٢٣هـ ، وانظر ابن الاثير ــ الكامل : ٣٨/١١ .

(٣) المقريزى « الخطط » ٣/ ٣٦٦

(٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم : ط القرى ١٣٥٨هـ الباب الرابع ٥٢

(٥) المصدر السابق : ص ٥٣ قال :

ياذا الذى لم تر عين منظرا مثله ∴ العلم يأبى أهْلُه أن يمنعوه أهْلَهُ

وبعد فهذه أمثلة عن المصادر التى أرى أنها كانت المصدر الرئيسى فى تكوين ابن سلام ، أعراب وعلماء وشعراء ورواة ثم كتب ومكتبات . وأستطيع أن أضيف لهم المجالس الأدبية التى كانت تقام للمناقشة والمدارسة والمنافسة ، وقد كانت تتناول بطبيعة الحال ، الأدب واللغة والنقد والتاريخ والسير والمُلَح والنوادر بجانب مااستحدثه الشعراء من أشعار ومااستجد من أفكار فى ميدان اللغة والنحو والنقد[1] .

٥ ــ اتجاهه

الاتجاهات هى النزعات الأساسية فى العالِم أو المفكر، أى الجانب الذى يدل على بقية جوانب التخصص ، الذى يعمل فيه ، مع الإحاطة التامة بمختلف الجوانب المكونة لميدان هذا التخصص .

فالعالم لاينال تقدير العلماء والمؤرخين ، إلا حين يصل لدرجة عليا من الاتقان التام لمادته المعروف بها . وعادة ماتكون هذه المادة محتوية على فروع تتشعب ولكنها تصب فى مجرى واحد مستهدفة غرضا واحدا . وعن طريق تراث العالِم أو المفكر يمكن أن نحدد الميدان الذى برع فيه داخل حدود تخصصه .

وابن سلام ــ مثلا ــ يرى أبو الطيب اللغوى أنه ثقة جليل[2] ويرى ابن الأثير أنه عالم بالأخبار وأيام الناس[3] ويرى الخطيب أنه من أهل الأدب[4] والعسقلانى يرى أنه من أئمة الأدب[5] وتدور آراء العلماء فى هذه الدائرة ، فهو ثقة جليل[6] وهو من أعيان أهل الأدب[7] وهو راوية عالم بالأخبار[8] وهو من

---

(١) المرزبانى : الموشح ١٨٥

(٢) أبوالطيب : مراتب النحويين : ٦٧

(٣) ابن الاثير · الكامل ١٠/٧

(٤) البغدادى : تاريخ بغداد : ٣٢٧/٥

(٥) العسقلانى : لسان الميزان ٦٦/٣

(٦) السيوطى : المزهر ٤٠٥/٢

(٧) الحموى : معجم الأدباء ٢٠٤/١٨

(٨) خير الدين الزركلى : الأعلام ــ ط القاهرة ١٩٢٨ م ٩٠١/٣

جملة أهل الأدب(١) وهو أخبارى حافظ(٢) وهو من أهل العلم والفضل والأدب (٣) وهو أخبارى حافظ (٧) وهو أحد الإخباريين الرواة(٨) وهكذا ، ولم يذهب غير هؤلاء بعيدا عما قالوا حين ترجموا لابن سلام .

وهذه آراء تحدد ميدان التخصص ولكنها لم تَخْطُ خطوة تحدد الاتجاهات التى برز فيها ابن لاسلام أكثر من غيرها .

وعن طريق تراث ابن سلام فى ميدان تخصصه أقول : إن اتجاهاته تنحصر فى :

أولا ـــ النقد

ثانيا ـــ الرواية (أخبار الأدب واللغة والنسب) .

أولا ـــ اتجاهه إلى النقد :

وفى الباب الثانى متسع لمناقشة هذا الجانب .

ثانيا ـــ اتجاهه إلى الرواية (أخبار الأدب والأدباء والشعر والشعراء واللغة وغريبها والنَّسَبِ والغناء والمغنين) .

وهو اتجاه يكاد يغلب على علماء وأدباء القرن الأول والثانى ، ويرجع إلى تأخر تدوين العلوم والفنون ، ومنها الأدب واللغة اللذان كانا أخبارا وآراء يتناقلها الرواة ويزيدون فيها من نتاج حصيلتهم الشخصية ، هذا بالإضافة إلى أن اللغة والأدب ماكانا قد اتخذا الصورة النهائية التى تُبْرِزُ حدود ميدان كل منهما . فمرحلة تزويد الأدب مع الحفاظ عليه من الضياع جعلت للجانب الإخبارى أهمية عظمى ، وهذا الجانب بدوره حصيلة مجالس العلماء والأدباء وحصيلة مناقشاتهم وآرائهم ، فتسجيلها والسعى لجمعها والاهتمام بها ماكان موضع اهتمام العلماء والأدباء ، ولذا انتشرت ظاهرة الأخبار فى مؤلفاتهم وكستها وميزتها . فخرجت فى مجموعها سجلا

---

(١) الأنبارى : نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ٢١٦

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٦٠/٢

(٦) القفطى : انباء الرواة ١٤٣/٣

(٤) الحنبلى : شذرات الذهب ٧١/٢

(٥) ابن النديم : الفهرست ١٧١ .

واضحا ضخما لكافة الأخبار التى تخدم كافة العلوم والفنون وبخاصة الأدب واللغة وفى خِضَمِّ الأخبار قد تجد شخصية المؤلف أو ظلالها أو قد لاتجدها على الإطلاق .

والأخبار التى أكثر ابن سلام منها فى طبقاته وغيره ، تنقسم إلى أخبار حول الشعر والشعراء ، وحول المغنين والغناء ، وحول النوادر والمُلَح بجانب اهتمامها بغريب اللغة والنسب .

وقد استقيت هذه النتيجة من الأخبار التى انفرد بها ابن سَلَّام ونَقَلهَا عنه تلاميذه ، لا تلك التى أخذها عن شيوخه واستخدمناها فى الإحصائية ، لأن التى انفرد بروايتها تمثل طابعه وميوله واتجاهاته فى صورة أقرب وأوضح من التى كان دوره فيها مجرد نقل ماحكاه له شيوخه .

ذكر أبو الفرج أن عمه ويحيى بن على قالا ، حدثنا أبو أيوب المدينى قال حدثنى محمد بن سلام قال : بشار المرعث ـــ وهو بشار بن برد ـــ وإنما سمى المرعث بقوله :

قال ريـــم مُرَعَّث ∴ ساحـر الطَّـرْف والنظـرْ
لَسْتَ ، والله نائلى ∴ قلت أَوْ يَغْـلِبُ القَـدَرْ
أنت إِنْ رُمْتَ وَصْلَنَـا ∴ فانْـج هل يُدْرِكُ القَمَـرْ

قال أبو أيوب : وقال لنا ابن سلام مرة أخرى : إنما سمى بشار بالمرعث لأنه كان لقميصه جيبان : جيب عن يمينه وجيب عن شماله ، فإذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه ، وإذا نزعه حَلّ إزاره وخرج منه . فشبهت تلك الجيوب بالرِّعَاث لاسترسالها وتدلِّيها وسمى من أجلها بالمَرَعَّث(١) .

هذا عن الشعراء ، وأما عن الغناء ، فقد حكى أبو الفرج أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال أخبرنا أبو أيوب المدينى عن ابن سلام ، قال : وأخبرنى حماد بن اسحاق عن أبيه عن ابن سلام :

---

(١) الأغانى : ط الوزارة ١٤٠/٣ ، و « أو » فى البيت الثانى بمعنى « بل » .

سألت عمر بن أبي خليفة العنبري ، وكان عابدا ، وكان يعجبه الغناء ، أي القوم أحسن غناء ؟ قال : ابن سريج إذا تمعبد يريد إذا غنى في مذهب معبد من الثقيل ، قلت: مثل ماذا ؟ قال : مثل صوته :

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها ∴ مساكنَ مابَيْنَ الوتائر والنَّقع[١]

وأما الأخبار المليحة فهي كثيرة ، تحررت بعضها فجاءت ألفاظها مكشوفة ، وتَحَرَّجَ أكثرها ، فجاءت مقبولة . كالذي ذكره المرزباني : قال : حدثني أحمد بن عيسى الكرخي : قال حدثنا أبو العيناء ، قال : حدثنا محمد بن سلام قال :

كان المهدي يقعد للشعراء ، فدخل عليه شاعر ضعيف الشعر ، طويل اللحية فأنشده مديحا له ، فقال فيه : وجَوارٍ زَفِرات « فقال المهدي : أي شيء زفرات ؟ فقال : ولاتعلمه أنت ياأمير المؤمنين ؟ قال : لاءقال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المسلمين ، وابن عم رسول رب العالمين ﷺ ، لاتعرفه ، أعرفه أنا ؟ كلاً والله ، فقال له المهدي : ينبغي أن تكون هذه الكلمة من لغة لحيتك[٢] .

واتجاه ابن سلام إلى النسب ظاهر وكثير ، ففي كتابه الطبقات أتى على نسب سبعة وستين شاعرا من الذين أوردهم ، وفي كتاب « الأغاني » يذكر له أبو الفرج تسعة أنساب لشعراء مغنين ، لم يأت لهم ذكر في كتابه « الطبقات »[٣] كما ذكر له المرزباني في كتابه « معجم الشعراء » نسب للشاعر كنانة بن عبد ياليل[٤] .

وهو لايقتصر على ذكر النسب بل أحيانا يأتي بشيء مما يعرفه عن حياة فرد أو أكثر من عائلة صاحب النسب مغنيا كان أو شاعرا .

---

(١) الأغاني ــ ط الوزارة ــ ٩/٢٤٠ .

(٢) المرزباني : الموشح ٥٦٠

(٣) نسب عمر بن أبي ربيعة ٦٦/١ ونسب الحطيئة ١٥٨/٢ نسب محمد بن عائشة ٢٠٣/٢ ونسب موسى شهوات ٣٥٢/٣ ونسب أبي العتاهية ٣/٤ ، ونسب طريح ٣٠٢/٤ ونسب جرير ٤٢/٨ ، ونسب معد بكر ٢٠٨/٥ ونسب بكر بن الطناح ١٦٤/١٧ والجزء ١٧ ط ساسي .

(٤) يقول المرزباني : وفي ثقيف أيضا كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف عقدة بن غيره بن ثقيف ، وهو شاعر معروف ذكره ابن سلام وغيره . معجم الشعراء ص ٢٤٦

يقول الأصفهانى : وأم عمر بن أبى ربيعة ، أم ولد ، يقال لها (مَجْدُ) سُبِيَتْ فى حضرموت ، ويقال من حمير ، قال أبو مُحَلِّم ومحمد بن سلام : هى من حِمير ومن هناك أتاه الغَزل ، يقال غَزَلٌ يَمَانٍ وَدلٌّ حِجَازِى(١) .

وفى نسب آخر يقول أبو الفرج : محمد بن عائشة ـــ ويكنى أبا جعفر ـــ لم يكن يعرف له أب فكان ينسب إلى أمه ويلقبه من عاداه وأراد سبه (ابن عاهة الدار) وكان هو يزعم أن اسم أبيه جعفر وليس يعرف ذلك ، وعائشة أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندى حليف قريش ـــ وقيل إنها مولاة لآل المطلب ابن أبى وداعة السهمى ، وذكر ذلك اسحاق عن محمد بن سلام(٢) .

فابن سلام ينظر إلى النسب على أنه جانب من جوانب التأثير على نفسية الشاعر ، فكما يؤثر الزمن والبيئة فى شاعريته ، قوة وضعفا ، يؤثر وجود الأفراد العاديين أو الممتازين فى شاعريته أيضا بشكل من الأشكال وبِنِسْبَةٍ من النسب ، بفعل عامل القدوة ومحاولة الشاعر الوصول إلى عظمة شخص معين فى سلسلة نسبه أو قبيلته وقد يكون هذا منه بشكل ظاهر نلمسه نحن أو بشكل خفى نرى بصماته من خلال المنظار . لذا فإنَّ ذكر ابن سلام لنسب معظم من ترجم لهم من الشعراء ، أو من أورد خبرا له من المغنين والشعراء ، يعطينا منتهى أبعاد التأثيرات المختلفة على شاعرية الشاعر وفنه حين يُقَصِّد القصيد .

وهو يفسر كثيرا من الألفاظ التى يختلف الرأى فيها أو تحتاج الإشارة إلى موقف الشاعر منها حين يكون مختلفا لما تعارف عليه الناس ، وينظر ابن سلام إلى اللغة على أنها الأداة السلسة التى تنقل مشاعر الشاعر إلى المستمع ، فلا بد أن تكون مُوَصِّلا جيدا بعيدا عن الإغراب والإقحام والنشاز واللبس ، كيلا يفسد البيت ويضيع مجهود الشاعر لذا يثابر ابن سلام فى هذا الميدان ويجنح دائما إلى تفسير مشكل الالفاظ ، إما سماعا عن شيخوخة ، وإما اجتهادا منه .

والأمثلة عديدة ومنتشرة بكثرة فى كتابه الطبقات ولنأخذ مثلا منها أو مثلين يوضحان مانذهب إليه :

(١) الأغانى ـــ ٦٦/١

(٢) المصدر السابق ٢٠٣/٢

يقول ابن سلام : في الحديث عن الحطيئة ، وكيف أنه طلب من كعب بن زهير أن يذكره في شعره لأنَّ الناس أروى لشعره — في حديث طويل — ثم يقول : فاعترضه مُزَرِّدُ أخو الشماخ — وكان عِرِّيضاً — أي شديد العارضة كثيرها — فقال :

وأنت امرؤ من أهْل قُدْسٍ أُوارة ∴ أحَلَّتْكَ عَبْدُ الله أكْنافَ مُبْهِلِ

ثم يشرح :
مُبْهِلٌ : جبل لعبد الله بن غطفان ، وقُدسُ أُورَاة : جبل لمزينة ، فَعزَّاه إلى مزينة ، وكان أبو سلمى وأهل بيته في بنى عبد الله بن غطفان ، بهم يُعْرفون ، وإليهم يُنْسَبُون فقال كعب بن زهيرُ يُثْبِتُ أنه من مزينة :
ألَا أبْلغَا هذا الْمعَرِّضَ آيةً ∴ أيَقَظَان قال القول إذ قال أو حَلَمْ

ثم يشرح :

يقال : حَلَمَ في المنام : وحَلُمَ (من الحِلْمِ) إلى قوله :
أعَيَّرْتَنِي عِزًّا عزيزا ومعشرا ∴ كِراما بَنَوْا لى المجد في بِاذخ أشَمِّ
هم الأصل منى حيث كنت وإننى ∴ من المزنيِّين المصَفَّيْنَ بالكَرمِ

ثم يشرح :

وقد كانت العرب تفعل ذلك . لايُعْزَى الرَّجل إلى قبيلة غير التى هو منها ، إلا قال : أنا من الذى عِبْتَ[1] .

هذا إلى العديد من الأمثلة اللُّغوية المنتشرة في كتابه « الطبقات » وفي الأخبار التى وردت عنه في « الأغانى » وغيره وقد يكون في الباب الثانى متسع للقول في هذه الجوانب إذا اقتضى الأمر الرجوع إليها .

---

(١) ابن سلام : الطبقات ١٠٤ — ١٠٧

الفصل الثانى

كتاب « طبقات الشعراء »

تمهيد : مفهوم الطبقة .

أولا : « طبقات الشعراء » أم « طبقات فحول الشعراء » .

ثانيا : طبعات الكتاب .

ثالثا : قضايا فى المقدمة .

رابعا : منهج ابن سلام فى « الطبقات » .

تمهيد :

مفهوم الطبقة

أ ـــ بين كتب « الحديث » وكتب « النقد » .

ب ـــ عند الأستاذ شاكر فى كتاب ابن سلام .

أ ــ بين كتب « الحديث » وكتب « النقد »

اقتبس ابن سلام لكتابه اسما جامعا للرواية بطرفيها ، دينية وأدبية ، لرواية الحديث من اسم الكتاب نصيب ، وهو لفظ « الطبقات » ولرواية الشعر أيضا نصيب وهو لفظ « الشعراء » .

وإذا كان علم الحديث ، وفن الشعر قد عاشا شبه متلازمين فى صدور العرب ، فإن الحديث وعِلْمه قد نال القسط الأكبر من عناية المسلمين ورعايتهم ، فانصرفوا له مولينه اهتماماتهم الشديدة مجندين له كل طاقاتهم ومعارفهم حتى نضج واحترق ، كما يقول الزركشى[1] واستوى عملاقا ذا تاريخ عريق عميق .

ودراسة الطريق الذى سلكه حديث رسول الله ﷺ ، ستُسْلِمُنا إلى الضرورة التى أرغمت العلماء أن يضعوا رواة الحديث فى طبقات ، ويبحثوا عنهم ، ويدققوا فى البحث والمعرفة ، وذلك عن طريق الإسناد وفحصه والحكم له أو عليه ، حتى جعلوا الإسنادَ عالِيَهُ ونازِلَهُ ، كأنه علم الأخلاق التاريخى[2]

لكن ما صلة الشعر العربى بهذا التيار ؟ الشعر كان جُلُّه فى الصدور ، وانتشر فى الأمصار وعاصر مشكلات العرب السياسية والاجتماعية والنفسية ، وظهر فيه الوضع والانتحال ، وزَيَّفَهُ الرواة والمغرضون ، وقام العلماء الرواة يصدون عنه ويلات الوضع والانتحال والتزييف ، فنظروا فى الإسناد واهتموا به ونظروا فى الرواة وحياتهم ، حتى انتهى الأمر بابن سلام الجمحى وزملائه إلى التأليف فى طبقات الشعراء .

وكثير من الأدباء درسوا الحديث ، وكثير من المحَدِّثين تذوقوا الشعر وَرَوَوْه[3] .

---

(١) السيوطى : الأشباه والنظائر : ط حيدر أباد الدكن ــ ١٣١٦هـ (٥/١)

(٢) انظر فى ذلك : العسقلانى : فى فتح البارى ١٩٥/١ ، ط الحلبى ١٩٥٩م وابن خلاد الرامهرمزى : أبو القاسم البلحى ــ قبول الأخبار ومعرفة الرجال ص ٩ مخطوط بدار الكتب ــ البخارى : الصحيح بحاشية السندى : ٥٢/٤ ، وكتاب الأستاذ محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين : وماورد فيه من مصادر ، وكتاب الأستاذ الرافعى : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩٧/١

(٣) قال مطرف : خرجت مع عمران بن الحصين (صحابى توفى ٥٢هـ) من الكوفة إلى البصرة فما أتى علينا يوم إلا ينشدنا فيه بشعر ويقول : إن لكم فى المعاريض لمندوحة عن الكذب (ابن سعد

وإذا قلنا إن الأدباء اقتفَوْا أثر الفقهاء فى الاهتمام بالإسْناد ، وأشخاص النَّقَلة للشعر ، لما ذهبنا بعيدا ، والإسناد فى الأدب ، لايراد منه إلا توثيق الرواية وإثبات صحتها وضمان عهدتها(١) ، وعلماء اللغة قد رتبوا درجة الأخذ والتحمل كما فعل المحدثون فقالوا (أملى علينا) أرفع ممن (سمعت) و (سمعت) أعلى من (حدثنى) و (حدثنى) خير من (أخبرنى) ، كما يفعل المحدِّثون كذلك رتبوا ألفاظ اللغة إلى فصيح وأفصح ، وجيد وأجود ، وضعيف ومنكر ومتروك ، كما فعلوا فى الحديث من صحيح وحسن وضعيف ، بل اتبعوا نمط المحدثين في تجريح الرجال وتعديلهم فعدَّلوا الخليل بن أحمد وأبا عمرو بن العلاء مثلا ، وجَرَّحُوا قطربا المتوفى سنة ٢٠٦هـ وهو الذى قال فيه ابن السِّكِّيت : كتبت عنه قمطرا ، ثم تبينت أنه يكذب فى اللغة فلم أذكر عنه شيئا ، ولكن لم يبلغوا فى ذلك — كما يقول الأستاذ أحمد أمين — مبلغ المحدِّثين فى دقة التحرى والتقصى(٢) لأن الأمر لايصل فى الأدب إلى حساسيته فى الحديث .

كذلك نجد فكرة تأليف كتب الطبقات موجودة فى الميدان الفقهى ، مبكرة عنها فى الميدان الأدبى . فالمعروف أن « طبقات ابن سعد » (ت ٢٣٠هـ) هى أقيَمُ كتب « الطبقات » وأهمها ، ولكنها ليست أقدمها فأبو عبد الله بن عمر الواقدى ، قد ذكر له ابن النديم كتابا فى الطبقات(٣) ولم يحدد مضمونه وأغلب الظن أن طبقاته هى قريبة من طبقات الواقدى ، وأن التلميذ قد احتذى الأستاذ فيما كتب ، وكذا معاصر الواقدى الهيثم بن عدي له أيضا كتاب « طبقات

الطبقات ٢٦/٢/٤) وقال روح بن عبادة : كنت مع شعبة ، فضجر من الحديث ، فرمى بطرفه ، فرأى أبا زيد سعيد بن أوس فى أخريات الناس ، فقال يا أبا زيد :

واستعجمت دار مى ما تكلمنا ∴ والدار لو كلمتنا ذات أخبار

إلىَّ يا أبا زيد ، فجعلا يتناشدان الأشعار (ابن سعد : الطبقات ٣٨/٢/٧) ، رواة الأدب هم الذين جعلوا غريب الحديث علما ، وخصُّوه بالتدوين ، فعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى ، والنضر بن شميل ، وقطرب ، وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة وغيرهم .

(١) الرافعى : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩٧/١

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ٣٥٨/٢ ، ٢٥٩

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٥

الفقهاء والمحدثين » ، وله كتاب طبقات من روى عن النبى ﷺ ، وأصحابه[١] والاثنان من وفيات سنة ٢٠٧ هـ .

ونجد أن واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ) قد سبقهما فى التأليف فى الطبقات فله كتاب « طبقات أهل العلم والجهل »[٢] وقد قصد بأهل العلم المعتزلة ، وبأهل الجهل أعداءهم فيما أعتقد ، بينما كان أقدم ما وصل إلينا من كتب طبقات الشعراء هو « طبقات ابن سلام » .

ومن طبيعة الأمور أن يقلد الأدباء الفقهاء فيما ذهبوا لتشابه الأغراض فى كلا الميدانين ، فحدث فى الشعر وَضْع ، وانتحال وأدى إلى الحيطة والحذر وتقصى الأسباب ، وحدث أن الأدباء كانوا جُلهم من المهتمين بالحديث فاستساغوا الفكرة وحدث التقليد ، وقد يكون هناك تدوين للشعر الجاهلى وإسناد فى بعض رواياته ، جعل الدكتور ناصر الدين الأسد يقول « إن الرواية الأدبية أصل قائم بذاته »[٣] ، ولكن لاينفى إطلاقا أن الإسناد للحديث ، والجرح والتعديل لرجال الحديث ، والطبقات لكتب الحديث ، والأمر كله يلازم الحديث لأنه من ضرورياته ، وعندما ينتقل إلى الأدب ، تكون مُهمَّته الإقناع وإثبات الرأى لا القطع والحسم . وإذا كان الفقهاء قد سبقوا الأدباء فى وضع رجالهم فى طبقات ، فلأن أنظمة السياسة والاجتماع قد شَكَّلَت الناس وضبتهم فى طبقات مقفلة ، انقسم الناس فى إلى العصر العباسى طبقتين ، طبقة الخاصة وطبقة العامة ، تفرع من كل طبقة طبقات وأتباع وفروع تتشعب وتنتهى إلى الدائرة الكبيرة ، خاصة أو عامة - انقسمت الطبقة الخاصة إلى خمس طبقات ، الخليفة ثم أهْلِهِ ثم رجال الدولة ثم أرباب البيوتات ثم توابع الخاصة - وأهل الخليفة هم بنو هاشم ، وكانوا أرفع الناس قدرا أما العامة فكانوا ينقسمون إلى طبقات حسب ثقافتهم وقدراتهم المالية وأنسابهم ومناصبهم فى الدولة[٤] .

---

(١) المصدر السابق ١٥٢

(٢) المصدر السابق ٢٥١

(٣) الدكتور ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ٢٥٥ ، ط دار المعارف سنة ١٩٦٢م

(٤) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ٢٦/٥ - ٥١ ط دار الهلال

وأول من رتّب المراتب في الدخول على الخليفة زياد بن أبيه في العراق(١) فجعل الإذن للناس على البيوتات ثم على الأنساب ثم على الأقدار (٢) وصار بالأمر سنة فى الاستئذان على الخلفاء ثم فى عصر الأمويين ثم حدث هذا في مختلف العصور الإسلامية .

وواقع الحياة الاقتصادية قَسَّمَ الناس طبقاتٍ ، فنظام الإقطاع جعل طبقة للملاك وطبقة للمستأجرين ، ونظام الفتوحات الإسلامية — والرقيق الذى جلب منها ، جعل طبقة للعرب وطبقة للموالى ، ونظام الخلافة جعل طبقة حاكمة أبدا وطبقة محكومة أبدا ، وهكذا عاش الناس فى طبقات ومنازل ومراتب مختلفة فى أغلب الأحيان ، ودخلوا على خلفائهم وهم فى أردية طبقتهم ، وأصبح الأمر عاديا ، حتى الندماء والمغنون والسُّمَّار كانوا فى طبقات (٣) فليس عجيبا أن يرى المؤلفون فى الصحابة طبقاتٍ تختلف صعودا ونزولا بالنسبة للرسول ، ثم يروا المحدِّثين طبقات من حيث صدقهم وكذبهم ، وورعهم وخبثهم ، ثم يرى ابن سلام الشعراء طبقات من حيث كثرة شعرهم وجودته .

قلنا : إن طبقات المحدِّثين والفقهاء ، سبقت طبقات الشعراء والأدباء وكان دليلنا الواقع المادى لظهور المؤلفات فى الطبقات ، ونستطيع الآن أيضا أن نقدم دليلا فنيا آخر يثبت ذلك ويثبت أن فكرة الطبقات لاتنجح فى إعطاء الشعراء حقوقهم فى الإنصاف ، بالإضافة إلى اضطراب الأمر فى يد من يتعرض لوضع الشعراء فى طبقات .

ولن نذهب بعيدا فهذه طبقات الشعراء لابن سلام .

عَلَامَ قامت فكرته فى الطبقات ؟

---

(١) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ١٥٢/٥

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٧٩/١ ، ١٣/٥

(٣) الجاحظ : التاج فى أخلاق الملوك : تحقيق ونشر دار الفكر ودار البحار ببيروت ١٩٥٥م ، يقول عن الرشيد « ومن بين خلفاء بنى العباس من جعل للمغنين مراتب وطبقات على نحو ماوضعهم أردشير بن بابك أبو شروان فكان إبراهيم الموصلى وإسماعيل أبو القاسم ابن جامع ، وزلزل « منصور الضارب » فى الطبقة الأولى ، وكان زلزل يضربُ ويغنى ، هذان طبقة ، والطبقة الثانية سلم بن سلام (أبو عبيد الله الكوفى) وعمرو بن الغزال ومن أشبههما والطبقة الثالثة .... (ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٦) .

يقول فى ص ٢١ (ففصلنا الشعراء ، من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين — فَنَزَّلْنَاهم منازلهم — واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة — وقال فيه العلماء) .

ويقول فى ص ٢٢ (فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا ، فَأَلَّفنا من تشابه شعره إلى نظرائه — فوجدناهم عشر طبقات — أربعة رهط متكافئين معتدلين) .

ثم يقول فى ص ٤٢ (ثم إنا اقتصرنا — بعد الفحص — والنظر إلى الرواية — عمن مضى من أهل العلم ، إلى رهط أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقة — ثم اختلفوا فيهم بعد — وسنسوق فى اختلافهم واتفاقهم ، ونسمى الأربعة ، ونذكر الحجة لكل واحد منهم — وليس تبدئتنا واحدا فى الكِتَابِ نحكم له ، ولا بد من مبتدأ) .

ولقد حدد ابن سلام نفسه فى أربعين شاعرا — لكل من الجاهليين والإسلاميين — وأخذ يقرن كل من تشابه من الشعراء فى الصفات أو فى الأسلوب أو فى المستوى الفنى إلى قرينه فأصبحوا عشر طبقات ، كل طبقة أربعة رهط ، وهناك اختلاف واتفاق فى الآراء حول بعض الشعراء فهو سيظهره ويوضح أسبابه ، إن إقتضى الأمر ثم يجد نفسه مُرْغَماً على تبدئة شاعر على إخوانه الثلاثة ، فينوه أن هذه ضرورة وليست تعمدا ولن يترتب عليه شيء .

فهل استطاع ابن سلام أن يطبق هذا المبدأ بدقته المعهودة ؟ لا نظن ، فقد حصر نفسه حين جعل كل طبقة أربعة رهط ، فوجد أن المعروف من الشعراء لدى العلماء كونوا عشر طبقات ، ونحن لانلومه فى جعلهم عشر طبقات ، ولكن نتساءل لماذا جعل الطبقة أربعة لا أقل ولا أكثر ؟ وعلى أى أساس اختار أشعارهم ؟

إنها قاعدة جافة وتزمت ضيق كَلَّفَ ابن سلام به نَفْسَه ، ووقع فى مقتضيات الأمر الطبيعى حيث تكمل الطبقة ويجد أنه ترك شاعرا جديرا بأهل تلك الطبقة التى أغلقت عليه ، (فأوس نظير الأربعة المتقدمين ، إلا أنّا اقتصرنا فى الطبقات على أربعة رهط) ، كما يقول — والطبقة المتقدمة هى الطبقة الأولى وشعراؤها امرؤ

القيس ، والنابغة الذبياني وزهير بن أبى سلمى والأعشى ، بينما وضع فى الطبقة الثانية أوسا هذا الذى يعتذر لوضعه فى غير طبقته ، وبشْر بن أبى خازم ، وكعب ابن زهير ، والحطيئة .

وفى الطبقة الثانية نَفسِها نجده قد وضع كعبا ، ولا نكاد نعرف لكعب إلا رائعته (بانت سعاد) ، وهى من غرر الشعر العربى ، مافى ذلك جدال — بينما نجد فى الطبقة الرابعة طرفة بن العبد وطويلته أجود المطولات وهو أشعر الناس واحدةً — كما يعترف ابن سلام ، ويقول : وله أخرى مثلها ومن بعد له قصائد حِسَان جِيَاد[1] ونعتقد أنه من الانصاف أن يكون طَرَفَةُ فى الطبقة الثانية مع كعب إن لم يكن طرفه فى الثانية وكعب فى أخرى .

ولو حاولنا أن نعرف لماذا وضع لبيد فى الطبقة الثالثة ، وطَرَفَة فى الرابعة ؟ لَمَا اهتدينا إلى سبب يريح ، وهذا مانلاحظه فى الطبقة السادسة ففيها عمرو بن كلثوم والحارث بن حِلِزة وعنترة بن شَدَّاد وسويد بن أبى كاهل اليشكرى ، بينما وضع فى الخامسة شعراء أقل منهم ذكرا ونباهة ، مع العلم بأن ابن كلثوم وابن حِلِزة وعنترة من أصحاب المطولات ، وابن أبى كاهل هو صاحب اليتمية[2] .

فلو ترك الأمر بلا طبقات وبلا أربعة شعراء لكل طبقة لَانفَسَحَ أمامه مجال القول وَلَأدْرَكَ مافاته من الحديث عن شاعر أو التنويه بشاعر .

فالنموذج الفنى ، والشكل العام — لاختيار ابن سلام — هو الذى ضيق عليه ، وأوقعه فى اضطرابات كان فى غنى عنها .

ونظام الطبقات أمر لانرضاه للأدب وللشعراء بأية حال ، فقد يؤدى مهمةً كبيرةً بين رجال الحديث والفقه والتفسير ولكنه لاينفع الأدب فى شىء ، فالمحدِّثون يجولون فى مجال محدود ، هو أحاديث رسول الله ، فهى مهما كثرت محـدودة بعدد وقدر ثابت . ومقاييس نقد الرجال التى اتَّفق عليها علماء الحديث ، نجدها ثابتة وتؤدى إلى جعل المحدِّثين طبقات من حيث العدل والتجريح ، والبدعة والنزاهة ، والدقة والمخالفة ، واتصال الرواية وانقطاعها ، كما قسموا الأحاديث إلى متواتر ومنقطع ومتصل .. الخ فنظام الطبقات لرجال الحديث أمر لصيق بهم لازم

١ — ابن سلام — طبقات الشعراء — ١٣٨
٢ — الأغانى — ط الوزارة — ١٠٢/١٣

لمعرفتهم ، والمدّلس سيصير مدلسا فى كتب الطبقات وعند الفقهاء إلى الأبد ، بينما الشاعر قد يضعه ابن سلام فى الطبقة الرابعة ، ويراه ابن قتيبة جديرا بالطبقة الثانية ، وابن المعتز يراه أهلا بالطبقة الأولى ، ويأتى ناقد آخر ولا يعتبره فى زمرة الشعراء ، أصلا وهكذا ... وكل منهم يبدى رأيه فيما يرى ، معتقدا صواب ماذهب إليه مُدَلّلا عليه .

وها نحن نلاحظ أن طبقات ابن سلام لم تخرج فى هيكلها عن طبقات ابن سعد وغيره من المؤرخين ، ولكنه لم يطرد فى الأدب والنقد ، وماظهر من طبقات للشعراء بعد ابن سلام إنما هو تقليد لتلاميذه له ، أو إعجاب من غير تلاميذه بالفكرة إلى أن اضمحلت وانتهت ، وإنك لتلحظ استطرادا طويلا من ابن سلام ، وخروجا عن صلب الموضوع إلى جوانب متعددة منه ، وهمزة الوصل بين الموضوع العام وسبب الاستطراد ، ورود كلمة ، أو بيت ، أو اسم شاعر ، أو شخصية معروفة ، أو حادثة معروفة وهكذا .. كما نلحظ تحكُّمَ نظام الطبقات فى بناء الكتاب ، فبينما الطبقة الأولى فى سبع وثلاثين صفحة ، تقع الطبقة الثانية فى عشرين صفحة والثالثة فى إحدى عشرة صفحة والتاسعة فى خمس عشرة صفحة وتكون السابعة فى صفحتين والرابعة فى أربع والثالثة فى ثلاث ...

وتطول الطبقة الأولى لأنه يريد أن يُعَرِّف بأشياء كثيرة ، حتى إذا وصل إلى الطبقة السابعة لم يجد مايقوله سوى أنه عَرَضَ أسماء الشعراء ، ولم يَزِدْ شيئا بعدهم سوى بيت سُمِّى به المتلمس متلمسا وبيتين له أيضا .

وإذا تركنا هذا قليلا ، ونظرنا إلى فكرة ابن سَلّام فى ترتيب الشعراء وجدناه لم يقتصر فى تكوين الطبقة على تشابه الشعراء فى شعرهم والاحتجاج لهم أو عليهم وذكرِ ماقاله العلماء فيهم ، فقط ، بل ، اشترط فيهم كى يكونوا فحولا أن يُجيدوا فى شعرهم ويُكثِروا فى جَيِّدهم . فأضاف مبدأ الجودة والكثرة إلى مبدأ التشابه وورود الحجة ورأى العلماء .

فيقول فى الطبقة السابعة : أربعة رهط مُحْكِمُون مُقِلُّون وفى أشعارهم قلة فذاك أخَّرَهُم(١) بينما وضع امرؤ القيس فى الطبقة الأولى لأنه « سبق العرب إلى أشياء

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ١٥٥

ابتدعها ، استحسنها العرب واتبعته فيها الشعراء ... وكان أحسن طبقته فى التشبيه » والنابغة « كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا ، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف ، « والأعشى » أكثرهم عَرُوضا وأذهبهم فى فنون الشعراء وأكثرهم طويلة جيدة وأكثرهم مدحا وهجاءً ونظراً ووصفا ، كل ذلك عنده و « زهير » كان أحصفهم شعرا وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق وأشدهم مبالغة فى المدح وأكثرهم أمثالا فى شعره « وأما الجعدى » فكان مختلف الشعر مغلبا[1] فوضعه فى الطبقة الثالثة ووضع معه الشَّمَّاخ لأنه كان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لبيد وفيه كزازة ولبيد أسهل منه منطقا[2] وطرفة وعَبيد بن الأبرص وعدى بن زيد ، أربعة رهط فحول شعراء ، فوضعهم مع الأوائل وإنما أَخَلَّ بهم قِلّةَ شعرهم بأيدى الرواة[3] والأسود بن يَعْفُر شاعر فحل وكان يكثر التنقل فى العرب يجاورهم ، فيذم ويحمد وله فى ذلك أشعار ، وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شَفَعَها بمثلها لقدمته — كما يقول ابن سلام — على مرتبه[4] والطبقة السادسة أربعة رهط لكل واحد منهم واحدة[5] وهم عمرو بن كلثوم والحارث ابن حِلِّزَة وعنترة وسويد بن أبى كاهل ، أما الطبقة العاشرة ففيها أمية بن حُرْثان بن الأسكر واكتفى ابن سلام بأن نوه بأن له شعرا فى الجاهلية وشعرا فى الإسلام[6] والثانى حُرَيْث بن مُحَفَّظ وهو أيضا جاهلى اسلامى له فى الجاهلية أشعار[7] والثالث وهو الكميت بن معروف اكتفى ابن سلام بأن وصفه بأنه شاعر[8] وأما الرابع فعمرو بن شأس ، وهو كثير الشعر فى الجاهلية والإسلام ، أكثر أهل طبقته شعراً ، وكان ذا قدر وشرف ومنزلة فى قومه[9]

---

(١) المصدر السابق ١٢٤

(٢) المصدر السابق : ١٣٢

(٣) المصدر السابق ١٣٧

(٤) المصدر السابق ١٤٧

(٥) المصدر السابق ١٥١

(٦) المصدر السابق ١٩٠

(٧) المصدر السابق ١٩٢

(٨) المصدر السابق ١٩٥

(٩) المصدر السابق ١٩٦

فابن سلام يطبق مبدأ التشابه والاحتجاج للشاعر أو عليه ، ورأى العلماء مع رأيه أن اقتضى الأمر ، ثم يشترط فيهم الجودة فى النتاج مع كثرته .

وهى قوانين فى النقد سليمة ، وآراء قيمة فى حد ذاتها ، بعيدا عن وضعها فى قالب طبقات ، وأهمها فى نظرنا مبدأ الجودة والكثرة .

ب ــ مفهوم الطبقة عند الأستاذ شاكر فى كتاب « الطبقات »

يقول الأستاذ شاكر « ولكن ههنا شيء ينبغى التنبيه له وهو لفظ (طبقة) و« طبقات » الذى استعمله ابن سلام فى ثنايا كلامه ــ ثم جعله عنوانا لكتابه ، والذى لاشك فيه أن هذا اللفظ من كلام العرب قد درج على ألسنتهم قديما للدلالة على معان مختلفة ، ولما جاء عصر التدوين صار له مجاز آخر عند المؤلفين ، والكاتبين حتى انتهى إلى زماننا هذا بمعنى مشهور مألوف ومن الخطأ البين تغافلنا عن هذه الحقيقة ونحن نقرأ نصا قديما ، بل أول مايجب أن نحاوله هو تتبع أطوار معانى اللفظ واختلاف هذه المعانى على تطاول السنين . وقد كنت أشرت من قبل إلى معنى من معانى (طبقة) يدل عليه كلام ابن سلام دلالة واضحة فقلت (٢٥ تعليق ١) إن ابن سلام عاد مرة رابعة فنظر فى شعر الأربعين من الفحول فانتهى فى تمييز شعرهم إلى عشرة ضروب أو مناهج سماها « طبقات »، وانما قلته استظهارا من فحوى نص ابن سلام ومن بيانه عن عمله فى تأليف كتابه . ومادة « طَبَق » تؤول أكثر معانيها فى لسان العرب إلى تماثل شيئين إذا وضعت احدهما إلى الآخر ساواه ــ وكانا على حذو واحد فقيل منه (تطابق الشيئين) إذا تساويا أو تماثلا، وسموا كل ماغطى شيئاً طبقا، لأنه يغطيه حتى يكون مساويا له ، لأنه لايغطيه حتى يكون فوقه فسموا مراتب الناس ومنازل بعضهم فوق بعض (طبقات) ، ولما كانت كل مرتبة من المراتب لها حال ومذهب، سموا الحال المميزة نفسها (طبقة) ، فقال : فلان من الدنيا على طبقات شتى أى على أحوال شتى . وهذا المعنى أشد وضوحا فى حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول ﷺ (مسند أحمد ١٩/٣ و ٦١): ألا إنّ بنى آدم خُلقوا على طبقات شتى منهم من يولد مؤمنا ، ويحيا مؤمنا ، ويموت مؤمنا ، ومنهم من يولد كافرا ، ويحيا كافرا ويموت كافرا ، ومنهم من يولد مؤمنا ، ويحيا مؤمنا ، ويموت كافرا ، ومنهم من يولد كافرا ، ويحيا كافرا ، ويموت مؤمنا » .

وهذا إن شاء الله بيان عن مذاهب الناس فى حياتهم لا عن مراتبهم ومنازلهم ، فلفظ (طبقة) فى هذا الحديث مجاز دال على مثل المعنى الذى ذهبتُ إليه فى تفسير نص ابن سلام . وقد وجدتُ هذا اللفظ فى خبر على مجاز آخر تعين عليه اللغة — فقد روى القاضى ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة (١/٢٣٨) بإسناده إلى العباس بن محمد حاتم الدورى (١٨٥ — ١٧١ هـ) أنه قال « انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى ستة نفر من الصحابة رضى الله عنهم : عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وأبىّ بن كعب ومعاذ بن جبل فهؤلاء طبقات الفقهاء ، أما طبقات الرواة فستة نفر ، أبو هريرة وأنس وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخُدْرى وعائشة ، وأما طبقات أصحاب الأخبار والقصص فستة نفر ... وأما طبقات التفسير فستة أيضا .... وأما طبقات خُزَّان العلم وأما طبقات الحفاظ فستة نفر ... وبَيِّنٌ جدا أنه سمى كل واحد من الستة طبقة ، وسمى كل ستة نفر جميعا ، إما « طبقات الفقهاء » ، وإما « طبقات الرواة » وإما « طبقات التفسير » إلى آخر ماسمى ، وبّين أنه يعنى بتسميةِ كل واحد منهم (طبقة) أنه رأس متميز فى الفقه أو الرواية أو التفسير أو الحفظ ، وصاحب هذا الخبر هو العباس بن محمد الدورى قريب العهد من محمد ابن سلام عاشا فى زمان متعانق ، وهو لم يجر هذا اللفظ على لسانه إلا ومعناه مألوف متداول فى زمانهما دال على التميز فى باب من الأبواب وعلى مذهب من المذاهب ، فى الفقه أو التفسير أو الرواية ، يعرف به صاحب ، وقد وقفت طويلا عند قول ابن سلام وهو من أغرب ماقرأت « ثم إنا اقتصرنا — بعد الفحص والنظر والرواية — إلى رهط أربعة على أنهم أشعر العرب طبقة ثم اختلفوا بعد ...» « ص ٤٩ » فوجدته صعبا أن يفسر قوله هنا « طبقة » بما يهجم على الخاطر مما ألفناه نحن من معنى « طبقة » ، ولم أجد له إلا معنى واحدا كأنه هو الذى فى الفقه أو التفسير أو الرواية يعرف به صاحبه،وقد وقفت طويلا عند قول يعنيه ابن سلام وهو أنهم أشعر العرب مذهبا من مذاهب الشعر قبل ذلك (ص ٢٤) : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا فألَّفنا من تَشابَه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين » ، فبدا لى أن معنى هذا أن « التشابه » هو أساس نظر ابن سلام ، ولايتشابه

شاعران إلا فى شىء واحد هو مذهبهما فى الشعر ، أو منهجهما الذى يتميز به كل واحد منهم ، ويكاد يكون رأسا فيه — فلما قال بعد ذلك « فوجدناهم عشر طبقات » رأيته لايكاد يكون له معنى ، حتى يكون معنى ذلك : فوجدناهم عشر مذاهب أو عشر مناهج من مذاهب الشعر ومناهجه ، من أجل ذلك جاء ابن سلام فى آخر كلامه عن تأليف كتابه فقال (١١ فقرة ٥) « وليس تبدئتنا أحدهم فى الكتاب نحكم له ولابد من مبتدأ » فاحترس ونبه قارئ كتابه على أن تقديم شاعر من الأربعة على صاحبه المشابه مذهبه لمذهبه ليس حكما منه على تقديم، بل الأربعة جميعا عنده متكافئون معتدلون ، لأن كل واحد منهم على رأس فى مذهبه ومنهجه ، وإنما جمعهن فيما سماه (طبقة) لما انتهى هو إليه بعد الفحص والنظر وقد تشابه مناهج هؤلاء الأربعة النظراء ، والتشابه هنا عند ابن سلام لايعنى التطابق ، فهذا باطل لايعقله العقل ، وإنما يعنى وجوها من الشبه بعينها فى المناهج مع اختلاف ظاهر يتميز به واحد منهم عن صاحبه ، وبهذا الاختلاف يكون كل منهم رأسا فى هذا المذهب من مذاهب الشعر — ونعم — لم يفسر لنا ابن سلام هذه المذاهب ، ولم يَدُلَّنا على الأساس الذى بنى عليه ماذهب إليه من تشابه المناهج ، وترك لنا نحن استخراج أسلوبه فى النظر حتى انتهى إلى ما انتهى إليه من تشابه هؤلاء الأربعة النظراء من الفحول فى مناهجهم — وحَمَّلَنا نحن عِبْءَ النظر حتى نعرف ماهى هذه المناهج العشر ، من مناهج الشعر ، من خلال قراءة أشعار هؤلاء الفحول .

ولكن ماأقطع به هو أن ابن سلام لم يُرِدْ بقوله "طبقة" ما يهجم على الخاطر من معنى المرتبة ، أو المنزلة ولم يُرِدْ ماأراده غيره فى زمانه ، أو بعد زمانه فى كتب ألفوها وسموها (الطبقات) ، وجعلوا الطبقات فئات مرتبة على أصول القبائل ، أو فئات مرتبة على منازل العلماء فى المدن ، أو فئات مرتبة على السنين ، والنظر فى كتاب ابن سلام يَرُدُّ هذا ردا صريحا بتفريقه (المخضرمين) فى الطبقات وهم الذين توهم يوسف هِلّ أن ابن سلام أراد أن يجعلهم (طبقة) ثم عدل إلى آخر ماقال[1] .

---

(١) انظر المقدمة من ص ٦٥ الى ٦٩

ورأى الاستاذ شاكر فى نقاط :

أولا: أن لفظ (طبقة) له معان مختلفة .

ثانيا: هو عند ابن سلام يعنى المنهج أو المذهب .

ثالثا: أن كل طبقة مكونة من أربعة شعراء متشابهين فى مذهبهم أو منهجهم مع فروق فردية فيما بينهم .

رابعا: لم يفسر لنا ابن سلام هذه المذاهب ولم يدل على الأساس الذى بنى عليه ماذهب إليه من تشابه المناهج .

خامسا: ليس معنى (طبقة) عند ابن سلام مايتوارد إلى الذهن من مرتبة أو منزلة .

والحق فيما قال الأستاذ شاكر، فكل شاعر طبقة وهو مع قرنائه الثلاثة يكونون طبقة فامرؤ القيس ، ماقال مالم يقولوا ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، استحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء منها ... وكان أحسن طبقته تشبيها[1] ، والنابغة كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا كأن شعره كلام ليس فيه تكلف[2] وزهير كان لايعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولايمدح الرجل إلا بما فيه[3] والأعشى أكثرهم عروضا ، وأذهبهم فى فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة وأكثرهم مدحا وهجاء وفخراً ووصفا كل ذلك عنده[4] ، فهذه الميزات الخاصة بكل شاعر ، عن سائر الشعراء بالشعر الجيد الكثير . فالجودة والكثرة شرطان حدد بهما ابن سلام معنى الفحولة والشهرة والتقدمة ، يقول فى طرفه « ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعَبيد اللّذَيْن صح لهما قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن غيرهن فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة[5] والطبقة الرابعة من الجاهليين طرفة وعبيد وعلقمة وعدى « وهم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع

(١) الطبقات ـــ ٥٥

(٢) الطبقات ـــ ٥٦

(٣) الأغانى ـــ ٢٨٩/١٠

(٤) الطبقات ـــ ٦٥

(٥) الطبقات ـــ ٢٦

الأوائل وإنّما أخل بهم فلة ما بأيدى الرواة »[1] والأسود بن يعفر ويكنى أبا الجراح كانْ « شاعرا فحلا وكان يكثر التنقل فى العرب يحاورهم فيذم ويَحْمَدُ . وله فى ذلك أشعار وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر لو شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته[2] .

والطبقة السادسة عمرو بن كلثوم والحارث بن حِلِّزة وعنترة وسويد « أربعة رهط لكل واحد منهم واحدة [3] والسابعة أربعة رهط مُحكِمُون مقلون وفى أشعارهم قلة فذاك الذى أخرهم[4] وفى الطبقة الثامنة ينص على أنهم أربعة رهط[5] وكذا التاسعة أربعة رهط[6] وفى العاشرة يقول وهى آخر الطبقات وهم أربعة رهط[7] فمن الطبقات ماجمع شعراؤها إلى الجودة كثرة ومنها الجودة فقط ، كالطبقة الرابعة والسادسة والسابعة ، ومنها مالم يجمع شعراؤها جودة ولا كثرة فى انتاجهم وهؤلاء الذين اكتفى ابن سلام معهم بقوله « هم أربعة رهط » .

ونراه فى طبقات شعراء القرى يقول عن حسان بن ثابت « وهو كثير الشعر جيده »[8] بينما كعب بن مالك شاعر مجيد[9] وأُبو قيس بن الأسلت شاعر مجيد[10] وأبو طالب بن عبد المطلب من شعراء مكة شاعر مجيد[11] ، وعن شعراء البحرين يقول « وفى البحرين شعر كثير وفصاحة[12] . أما شعراء يهود « ففى يهود المدينة وأكنافها شعر جيد»

---

(١) طبقات الشعراء ١٣٧

(٢) طبقات الشعراء ١٤٧

(٣) طبقات الشعراء ١٥١

(٤) طبقات الشعراء ١٥٣ ــ محكمون : من إحكام القول .

(٥) طبقات الشعراء ١٥٩

(٦) طبقات الشعراء ١٧١

(٧) طبقات الشعراء ١٥٩

(٨) طبقات الشعراء ٢١٥

(٩) طبقات الشعراء ٢٢٠

(١٠) طبقات الشعراء ٢٢٦

(١١) طبقات الشعراء ٢٤٤

(١٢) طبقات الشعراء ٢٨٠

إذن دلّل ابن سلام على الأساس الذى بنى عليه ماذهب وهو المبدأ العام عنده (جودة وكثرة) أما طبقة كل شاعر أو مذهبه فقد أوضحها فى شرحه للخصائص المفردة لكل شاعر ، تلك التى ذكرناها آنفا .

ومن ثم نعود فنجد أنفسنا مازلنا فى نقطة البداية وهى أن لفظ (طبقة) بمعنى منزلة ومرتبة ، وطالما أن هناك مبدأً عاما لمفهوم الفحولة عند ابن سلام فمن الطبيعى ألاّ يتوافر الشرطان فى كل الشعراء ومن توافر فيهم شرْطَا ابن سلام ظهر بينهم خصائص الذاتية فجعلهم طبقة وأبان عن خصائصها ووضع الباقين فى طبقات تبعد نزولا عن المثل الأعلى للفحولة ، حتى يصل إلى الطبقة العاشرة (وهم أربعة رهط) لاجودة فى شعرهم ولا كثرة .

والذى نقوله فى هذا المقام هو مانأخذه على ابن سلام ، أنه لم يبين لنا سبب اختياره لنماذجه الشعرية الدالة على فحولة هؤلاء الشعراء المختارين ، فنراه مع امرئ القيس مثلا يأتى بما يدل على أنه أحسن طبقته تشبيها وذلك بعرض المشهور من تشبيهاته قائلا : « استحسن الناس من تشبيه امرئ القيس قوله ... »[1] فالاختيار جزء من شخصية الناقد ، وابن سلام التزم بماهو مشهور عن الشاعر ، أو الذى أرتضاه له أهل النظر ممن أساتذته المعروفين .

أولا : « طبقات الشعراء » أم « طبقات فحول الشعراء » ؟

إن أكبر مايثير انتباه الباحث أن كتاب ابن سلام فى ثوبه الجديد قد ظهر باسم جديد ، فهو معروف لدى جمهور الباحثين باسم (طبقات الشعراء) فماذا حدث ؟

قال الأستاذ شاكر فى (ص ٣٤ ، ص ٣٥) من مقدمة الكتاب :

« بقى أمر واحد ، لاأجد مناصا من الحديث عنه ، هو : اسم الكتاب : فان ابن النديم ذكره فى ترجمة ابن سلام كما مضى آنفا ص ١٤ باسم (طبقات الشعراء الجاهليين) و (طبقات الشعراء الإسلاميين) ، كتاب واحد ، وذُكِرَ فى أكثر الكتب والتراجم باسم (طبقات الشعراء) فعدلت أنا عنها إلى اسم (طبقات فحول الشعراء) لأسباب :

---
(١) طبقات الشعراء ٨١

أولها : إن اسم (طبقات الشعراء) لايطابق موضوع كتاب ابن سلام كل المطابقة فإنَّه لم يستوف فيه ذكر (الشعراء) ، بل اختار منهم عددا معلوما : أربعين شاعرا فى طبقات الشعراء الجاهليين ، وأربعين شاعرا فى طبقات الشعراء الإسلاميين ، وأربعة شعراء فى طبقة أصحاب المراثى ، واثنين وعشرين شاعرا فى طبقة شعراء القرى العربية ، وثمانية فى طبقة شعراء يهود ، فهم جميعا (١١٤) شاعرا وحسب .

والذى أغفله من كبار الشعراء أضعاف أضعاف ماذكر . وإذن فاسْم (طبقات الشعراء) ثوب فضفاض لايطابق ما فى كتابه .

ثانيهما : أنى رأيت ابن سلام نفسه قد أوجدنا اللفظ المطابق لمعنى ما أراد فى كتابه إذ قال فى ص ٢٢ « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا ... » وهذه كلمة دالة ، وهى مطابقة لما فعل ، فإنه وازن بين الشعراء « فألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه » (ص ٢٢) ونَزَّلهم منازلهم ، ثم اقتصر (بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم إلى رهط أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقة (ص ٤٢) فرأيت أن تسمية الكتاب باسم (طبقات فحول الشعراء) أولى وأدل ، من تسميته (طبقات الشعراء) .

ثالثها : أنى رأيت أبا الفرج الأصفهانى ، قد أوجدنا هذه الكلمة فى موضعين من كتابه أحدهما فى ترجمة المخبل السعدى (ج ١٢ : ٣٨ ساسى) إذ يقول : « وذكره ابن سلام فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء » والآخر فى ترجمة عَبيد بن الأبرص (١٩ : ٨٤ ساسى) إذ يقول : « وجعله ابن سلام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، فهاتان وكلمة ابن سلام ، تدل جميعا على كتاب ابن سلام دلالة أحسن من دلالة (طبقات الشعراء) .

وآخرها : أنى رأيت على نسختى التى نقلتها بيدى هذا العنوان (طبقات فحول الشعراء) فلست أدرى بعد هذا الزمن الطويل : أكانت هذه الكلمة فى الأم العتيقة ، ثم نقلتها كما هى ، أم ترانى كتبتها من عندى ؟ وأنا كنت يومئذ فى أول الطلب ، وأجْهَلَ من أن أنظر نظرا صحيحا فى مثل هذا الأمر الدقيق المحتاج إلى التمييز والبصر .

فمن أجل هذا لم أتردد فى جعل اسم الكتاب (طبقات فحول الشعراء) فإن كان هو الاسم القديم الذى سمى به ابن سلام كتابه ، فذاك ، وإلاّ فإنى أراه بعد ذلك كله أولى بأن يكون اسما للكتاب ، دون الاسم الذى عرف به ، واستغفر الله إن كنت قد أسأت .

فالأستاذ يغير اسم الكتاب وحججه هى :

أ ـ أن الاسم لايطابق موضوع الكتاب .

ب ـ أن ابن سلام ذكر لفظ (فحول) فى ص ٢٢ من كتابه .

ج ـ أن أبا الفرج الأصفهانى ذكر أن ابن سلام وضع المخُبَّل السَّعْدى فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وعَبِيد بن الأبرص فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية .

د ـ أن نسخته التى يطلق عليها (الأم العتيقة) وجد عليها عنوان (طبقات فحول الشعراء) ويستبعد أن يكون قد حَوَّرها وأضاف لفظ (فحول) عليها لأنه كان صغير السن آنذاك .

ولكى أناقش هذه الحجج لابد أن أقرر بوضوح أن المحقق للأثر القديم لاحَقَّ له مطلقا فى تعديل أو زيادة أو حذف أى لفظ من النص الذى يحققه ، وله فى الهامش متسع رحب يكفل له عرض مايَعَنُّ له من تعديلات ، أو زيادات ، أو حذف ، وهذه البديهية احترمها الأستاذ شاكر مرارا ونسيها فى أهم موضع وهو عنوان الكتاب .

وحينما ظهر الكتاب لفت نظر النقاد ، فسجل الأستاذ السيد أحمد صقر فى مجلة « الكتاب » المجلد الثانى عشر الصادر فى مارس ١٩٥٣م فى ص ٣٧٩ يقول ...« كما كنت أوثر أن لايغير اسم الكتاب الذى عرف به وذكر فى أكثر الكتب والتراجم وهو (طبقات الشعراء) لا (طبقات فحول الشعراء) . وليس فى قول ابن سلام (فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرًا) دلالة على الاسم الذى اختاره الشارح لأنه قال أيضا (ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة) وقول الشارح إن اسم (طبقات الشعراء) ثوب فضاض لايطابق مافى

كتاب ابن سلام لأنه لم يستوف فيه ذكر الشعراء يقال كذلك على الاسم الذى اختاره « طبقات فحول الشعراء » لأن ابن سلام لم يستوف فيه ذكر (فحول الشعراء) ، ولو اتخذنا فضفضة اسم الكتاب ذريعة إلى تغيير اسمه لبدَّلنا كثيرا من أسماء الكتب ، فإن أكثرها لايطابق اسمُه موضوعَه ، وهل يطابق اسم (الكامل) للمبرد موضوع كتابه ، كلا ، فما أبين انتفاء هذا الكتاب عن نَسَبِه ، وأشد منافاته لِلقَبِهِ » .

وإذا تركنا هذا الرأى الوجيه جانبا ، وتتبعنا المؤلفين الذين أوردوا اسم الكتاب منذ القرن الثالث الهجرى ، نجد ان ابن سلام قد توفى سنة ٢٣١ هـ وألقى بتراثه لأبى خليفة الفضل بن الحباب ابن اخته الذى تولى روايته لتلاميذه ـــ وأبو خليفة توفى سنة ٣٠٥ هـ وروى لنا أبو الطيب عبد الواحد اللغوى الحلبى (ت ٣٥١ هـ) نقلا عن الحسين بن أبى صالح قال :

« أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى ـــ ابن أخت أبى عبد الله محمد بن سلام ـــ قال : كان الرياشى (ت ٣٥٧ هـ) يختلف إلى أبى عبد الله يستعير منه كتابه فى « الطبقات » .... فقيل للرياشى فى ذلك ، فقال : لو عاش يومين لسمعه منى[1] والخطيب البغدادى المتوفى (٤٦٣ هـ) ذكر أن لابن سلام كتابا فى « طبقات الشعراء »[2] وابن رشيق القيروانى المتوفى (٤٦٣ هـ) يقول : ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى فى كتاب « **الطبقات** »[3] **وكذا أبو البركات عبد الرحمن محمد الأنبارى المتوفى (٧٧ هـ)[4] وذكر ياقوت الحموى المتوفى (٦٢٦ هـ) أن ابن سلام قد ألف كتابا فى « طبقات الشعراء** »[5] وكذا ذكره القفطى المتوفى (٦٤٦ هـ)[6] وذكره العسقلانى المتوفى (٨٥٢ هـ) فى ترجمته له بأنه كان من أئمة الأدب وألف « طبقات الشعراء »[7] والسخاوى المتوفى (٩٠٢ هـ) ذكر أيضا أن لأبى عبد الله محمد

---

(١) عبد الواحد اللغوى : مراتب النحويين ٦٧

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٣٢٧/٥

(٣) ابن رشيق : العمدة ٥٤/١

(٤) الأنبارى . نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ٢١٦

(٥) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٢٠٤/١٨

(٦) القفطى : إنباء الرواة ١٤٥/٣

(٧) العسقلانى : لسان الميزان ٦/٣

بن سلام الجمحى مولاهم ، البصرى الأخبارى ، « طبقات الشعراء »[1] ويقول السيوطى المتوفى (٩١١ هـ) عن الخليل ابن أحمد : من تلاميذه أبو عبد الله محمد بن سلام صاحب « طبقات الشعراء »[2] .

أريد من وراء هذا أن أؤكد بالدليل أن الكتاب لم يتغير اسمه إلا على يد الأستاذ محمود شاكر فى القرن الرابع عشر الهجرى بعد وفاة ابن سلام بأحد عشر قرنا . وإذا افترضنا أن كل هؤلاء نقلوا من بعضهم فلدينا كتاب "مراتب النحويين" لأبى الطيب النحوى (ت ٣٥١ هـ) أى بعد وفاة أبى خليفة بست وأربعين سنة ، وإذا حدث أن تغير اسم الكتاب ـــ تغير لسبب من الأسباب ـــ لأشار إلى ذلك مؤلف كابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ[3]

ودليل آخر ، فكل تلاميذ ابن سلام قلدوه فيما كتب وألَّفوا فى « طبقات الشعراء » ولم يفكروا فى التأليف فى « طبقات فحول الشعراء » ، فأبو خليفة له كتاب « طبقات الشعراء »[4] واسحق الموصلى كذلك[5] وعمر بن شبَّه[6] .

أما الحجة الثانية « أن أبا الفرج ذكر لفظ « الفحول » فى كتابه » .

فقد ولد أبو الفرج على بن الحسين الأموى بأصبهان سنة ٢٨٤ هـ فى خلافة المعتضد بالله أبى العباس أحمد الموفق وتوفى سنة ٣٥٦ [7] ، وأما عن كتابه الأغانى فقد قال أبو أحمد المهلبى ، سألت أبا الفرج فى كم سنة جمعت هذا الكتاب ، فقال فى خمسين سنة ، وأنه كتبه مرة واحدة من عمره[8] وهى النسخة التى أهداها إلى الحَكم المستنصر أحد خلفاء بنى أمية بالأندلس ، الذى بعث إليه

---

(١) السخاوى : الإعلان بالتوبيخ عن ذم التاريخ ١٠٤
(٢) السيوطى : المزهر ٢/٤٠٥ .
(٣) ابن النديم : مقدمة الفهرست ٤
(٤) المصدر السابق ـــ ١٧١
(٥) المصدر السابق ـــ ٢٠٧
(٦) المصدر السابق ـــ ١٦٩
(٧) الحموى ـــ معجم الأدباء ـــ ١٣/٩٥
(٨) المصدر السابق والصفحة

بألف دينار(١) وتوفى المستنصر فى اليوم الثانى من شهر صفر سنة ٣٦٦هـ بعد أن حكم ست عشرة سنة(٢) أى تولى الخلافة فى سنة ٣٠٥هـ قبل وفاة أبى الفرج الأصفهانى بست سنوات .

وإذا افترضنا أن الحكم طلب من أبى الفرج نسخته فى سنة توليه الخلافة سنة ٣٥٠هـ فيكون أبو الفرج بدأ كتابة أغانيه فى سنة ٣٠٠هـ ، ولكننا سنفترض أن أبا الفرج انتهى من كتابة الأغانى فى سنة وفاته سنة ٣٥٦هـ فيكون تاريخ البدء سنة ٣٠٦هـ أى بعد وفاة أبى خليفة الفضل ابن الحباب بسنة واحدة — وأبو خليفة رجل معروف فى البصرة ، وتولى قضاءها ، وابن أخت ابن سلام الناقد ، تلميذ الخليل بن أحمد ، وعمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب فكيف لايلقاه أو فى الأقل يسمع به ، أو يعرف كل منهما مالدى الآخر من التراث الأدبى ؟

هذا بالإضافة إلى الأسانيد التى أوردها أبو الفرج والتى تحمل طابع اللقاء أو المعرفة المؤكدة الأمر الذى يتنافى معه الوقوع فى الخطأ أو تعديل لاسم الكتاب فهو يقول :

أخبرنى الفضل بن الحباب الجمحى **أبو خليفة فى كتابه إلىَّ بأجازته لى** يذكر عن محمد بن سلام ..(٣) ويقول : أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب **مما أجازه** لنا روايته من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلام الجمحى(٤) ويقول :

---

(١) يقول ابن العماد الحنبلى صاحب الشذرات عن وفيات سنة ٣٥٦ هـ ، وفيها توفى « صاحب الأغانى » أبو الفرج على بن الحسين الأموى الأصبهانى الكاتب الأخبارى ... ، توفى فى ذى الحجة عن ثلاث وسبعين سنة ... ، وله المصنفات المستملحة منها كتاب « الأغانى » ، الذى وقع الاتفاق على أنه لم يعمل فى بابه مثله ، يقال أنه جمعه فى خمسين سنة ، وحمله إلى سيف الدولة ابن حمدان ، فأعطاه ألف دينار ، واعتذر إليه (١٩/٣) وفى ص ٢٠ جزء ١٩ ، أيضا ، يقول ، وفى السنة نفسها توفى سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدون التغلبى ... وهذه الرواية ، رواية إهداء أبى الفرج الكتاب لسيف الدولة الذى توفى سنة ٣٥٦ هـ ، تساير ماذهبنا إليه من افتراض أن أبا الفرج قد انتهى من كتابه فى سنة وفاته (ت ٣٥٦ هـ) ، وإلى هذا يذهب ياقوت الحموى فى معجمه (٩٨/١٣) وانظر تاريخ ابن كثير ٢٦٤/١١ .

(٢) ابن خلدون — المقدمة — ١٤٤/٤ والدكتور حسن إبراهيم — تاريخ الإسلام ١٧٩/٣ .

(٣) الأغانى — ط الوزارة — ١٥٨/٢

(٤) الأغانى — ط الوزارة — ١٢/٥

أخبرنى أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة[1] ويقول:أخبرنى أبو الفضل الحباب فى كتابه إلىَّ[2]

فكيف يكتب أبو خليفة إلى أبى الفرج ويجيز له روايه الأخبار عنه وهو لم يلقه أو لم يعرفه ؟

ومن ثَمَّ كيف يلقاه أو يعرفه ويقلب اسم الكتاب إلى (طبقات فحول الشعراء) ؟

وإذا قيل إن أبا الفرج ذكر في ترجمته للمخبل السعدى أن ابن سلام ذكره فى الطبعة الخامسة من فحول الشعراء[3] نقول إنه ذكر العجير السلولى وجعله في طبقة أبى زيد الطائى ، وهى الخامسة من طبقات شعراء الإسلام ، وهذا حدث فى نفس الجزء المذكور فيه ترجمة المخبل السعدى ، بل قبله بمائة وإحدى وثلاثين صفحة[4] وذكرها مرة ثانية فى ترجمة سويد بن كراع قال : « وذكر ابن سلام فى كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال ...[5] .

ولفظ (فحول) لفظ عابر أتى مع سياق الحديث ولا يقصد به شىء على الإطلاق ، لأنه لو قصد إلى اعتبار الشعراء فى طبقاته فحولا كلهم لرفضنا هذا منه وأخرجنا له طائفة لاتسْمُوا إلى درجة الفحولة . ولوضع نفسه فى دائرة ضيقة وهى ترتيب الفحول فقط فى طبقات . ولكنه آثر أن يكون مؤلفه فى الشعراء والمشهورين المعروفين منهم[6] وليس كل مشهور فحلا ولا كل فحل مشهورا .

ثانيا : طبعات الكتاب

فى دار الكتب بالقاهرة مخطوطة لكتاب طبقات الشعراء تحت رقم (٣٦ أدب) عدد ورقاتها (١٠٥) ورقة ، ذات خط حسن منمق ، فى كل سطر عشر

(١) الأغانى ـ ٣٠٥/٨ و ٥/٩ و ٣٠٧ و ١٢٧/١٢

(٢) الأغانى ـ ٨٢/١ و ١٦٥/١٦ و ١٢٤/١٨ و ١٢٥ ط ساسى ، و ١٥٧/١٩ ط ساسى .

(٣) الأغانى ـ ١٨/١٣

(٤) الأغانى ـ ٥٨/١٣

(٥) الأغانى ـ ٣٤٠/١٢

(٦) طبقات ابن سلام ـ ص ٣

كلمات وفى كل ورقة سبعة عشر سطرا ومكتوب فى نهايتها .

« وقع الفراغ من نسخ هذه النسخة الشريفة على يد أحقر عباد الله ، الصمد الراجى من فضله ، محمود الشكرى ، من قرة حصار شرقى ، فى اليوم الثانى من شهر ذى الحجة الشريفة لسنة ثلاث وثلثمائة وألف من هجرة سيد الكونين ﷺ على تعاقب المَلَوَيْن وكان نسخها من كُتُبْخَانة شيخ الإسلام الكائنة فى المدينة المنورة ، ومُعَنْوَنَة باسم (طبقات الشعراء للحمحى) » .

وفى الدار مخطوطة أخرى تحت رقم (٣٧ أدب ش) عدد ورقاتها (٩٧) ورقة بخط أقل جودة من السابقة والورقة بها (١٧) سطرا ومكتوب فى نهايتها .

« كان الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة يوم الثلاثاء فى واحد وعشرين من شوال سنة ١٣١٠ هـ ألف وثلثمائة وعشرة من هجرة النبى سيد البَرَرَة أفضل الصلاة وأكمل التحية ، على يد أحقر العباد محمد بن الشيخ عبد القادر السِّنْدى ثم المَدَنى ، غفر الله له ولوالديه ، وأحسن اليهما ، واليه ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيرا ، والحمد لله رب العالمين » .

وراوى المخطوطتين « أبو محمد عن أبى طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر ابن بجير القاضى عن أبى خليفة الفضل بن الحباب الجمحى عن أبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى »

« وأعتقد أن المخطوطة (٣٧ أدب ش) نسخة أخرى من مخطوطة (٣٦ أدب ش) .

وفى المكتبة العامة بالاسكندرية « البلدية سابقا » مخطوطة تحت رقم ١٧٧ تاريخ/٨١٦٧ ج باسم « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحى وفى نهايتها :

« وقد نقلها أضعف الكُتّاب ، راجى عفو ربه القدير ، محمد إبراهيم الخفير النساخ بدار الكتب السلطانية من نسخة مضبوطة طبق الأصل حرفا حرفا والحمد لله رب العالمين » .

وفى الهامش :

« وقع الفراغ من نسخ هذه النسخة الشريفة على يد أحقر عباد الله الصمد ، الراجى من فضله ، محمود الشكرى من قرة حصار فى (١٣٠٣هـ).

فالأصل نسخة كتبخانة شيخ الإسلام الكائنة فى المدينة المنورة ، نسخ منها الأستاذ محمود الشكرى نسخة لدار الكتب ، وأصبحت أصلا ، نسخ من هذا الأصل الأستاذ محمد إبراهيم الخفير نسخة للإسكندرية ، ونسخ الأستاذ محمد بن الشيخ عبد القادر السندى نسخة أيضا لدار الكتب وهى (٣٧ أدب ش).

فيكون لدينا أصل وصورتان . وتكون المخطوطة (٣٦ أدب ش) هى المخطوطة الأم .

ومن المخطوطتين الموجودتين فى الدار ، ظهرت أولى طبعات الكتاب وذلك سنة ١٩١٦ م عن طريق مجهود ضخم قام به المستشرق الألمانى يوسف هِلّ ، وطبعها فى مطبعة لَيْدن ، وقد اعتمد يوسف هِلّ على المخطوطتين اعتمادا كبيرا وأشار إلى ذلك فى المقدمة ، وسرعان ماأصبحت طبعة ليْدن للكتاب أصلا من الأصول اعتمد بعض الناشرين عليها ، والبعض الآخر كلف نفسه مشقة الرجوع إلى مارجع اليه يوسف هِلّ مع الاستعانة بما فعل فى نسخته المحققة .

فظهرت طبعة السعادة ، نشر حامد محمد عَجّان الحديد الكتبى بحلب وذلك سنة ١٩٢٠ م ، كما ظهرت طبعة المطبعة المحمودية التجارية نشر محمود على صبيح وهى بدون تاريخ ، ولكنها وصلت إلى دار الكتب سنة ١٩٢٣ م ، وظهرت أيضا طبعة أخرى للسعادة نشر محمود على صُبَيْح وأخيه محمد .

وقد حرص محمود صبيح على أن يبين فى نشرتيه للكتاب أنه طبع على نسخة خطية قديمة ، وقوبل على نسخة طبع أوربا وهو فى طبعة المحمودية للكتاب يصدِّرُها بترجمة لابن سلام نقلها عما قاله الأنبارى والسيوطى وجورجى زيدان .

والكتاب فى مخطوطاته وطبعاته ظهر باسم (طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين) .

فاذا أردنا أن نحقق الكتاب تحقيقا علميا استهدفنا مخطوطه (٣٦ أدب ش) مع النظر بعين الاعتبار لأى مخطوطة أخرى ـــ غير النسختين الأخريين لها (نسخة مكتبة الإسكندرية) و (نسخة ٣٧ أدب ش) .

طبعة لَيْدن : سنة ١٩١٦م :

إنّ قراء العربية ، ومتخصصى الأدب والنقد ، يدينون بالفضل الكبير للمستشرق العظيم يوسف هِلّ ، الذى تجشم صعابا جمة وتصدى للكتاب باصرار العلماء وصبر الباحثين ، فليست اللغة لغَتَهُ ، وليست هى بالسهلة ولكن الرجل صمم أن يضع فى يد قراء العربية كنزا من كنوز أجدادهم .

وطبعة ليدن للكتاب بها مقدمة بالألمانية ، ثم ثَبْت بالمراجع التى رجع إليها المحقق العظيم وفى مقدمتها مخطوطتا (٣٦ أدب ش) و (٣٧ أدب ش) ثم تحقيق فى الألفاظ التى وقع فيها خلاف ، ورأى المحقق مع شرحه لبعض الألفاظ الغريبة ويلي هذا فهرس أسماء الرجال والنساء والقبائل والمواضع وغير ذلك ويليه فهرس القوافى ثم فهرس الكتاب .

والكتاب نفسه يقع فى (١٥٤) صفحة والصفحة الكاملة بها اثنان وعشرون سطرا ، وقد حاول المؤلف أن يشكل كثيرا من الأعلام والألفاظ وأبيات الشعر والكتاب فى الحجم المتوسط .

ومن الطبيعى أن يقع المستشرق يوسف هِلّ فى أحطاء فنيه ، وهذا يرجع إلى طبيعة المخطوطة ، وعدم دقة الكتابة بها أحيانا ، كما يرجع أيضا إلى صعوبة اللغة وكثرة غريب ألفاظها على المحقق ، مما جعلنا نعدد له أخطاء بمعدل كل صفحة خطأ أو خطآن أو أكثر ، والذى وسع عليه رقعة الأحطاء أنه لجأ إلى شكل الأعلام وبعض الألفاظ فكان فيها معظم الخطأ .

وفى المقدمة الألمانية للكتاب استعرض المستشرق يوسف هِل هواجسه وأراءه فى الكتاب وصاحب الكتاب .

وكنت قد عَرَضْتُ مقدمة المستشرق يوسف هِلّ التى كتبها بالألمانية على الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف هاشم الأستاذ بكلية العلوم بجامعة

الإسكندرية فتفضل مشكورا وترجمها ، ثم وجدت الأستاذ شاكر قد عرض نفس المقدمة على الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى والأستاذ الدكتور أحمد بدوى وذلك فى الطبعة الجديدة لكتاب الطبقات[1] وأستطيع أن أستعرض أهم ماأثار انتباه المستشرق يوسف هِل وسجله فى المقدمة .

أولا : أبدى إعجابه بطريقة العنعنة التى اتبعها ابن سلام فى كتابه والتى رأى أنها إظهار براعة من ابن سلام ، واعتداد منه بكثرة معرفته لعدد كبير من الأسماء مسلسلة — تلك الطريقة التى لم يلحظها عند الأصمعى — وهى الرجوع إلى آراء السابقين فى حكمه ، وفى طريقة علمية[2] .

ثانيا : أشار إلى أن كتاب الفهرست قدم عملين لابن سَلّام ، ولكن فى النصوص التى عثر عليها وجد عملًا واحداً ، له مقدمة واحدة ، تشمل طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين وقد وضع بينهما فصل جديد عن المخضرمين على أنها مجموعة وسط بين الجاهليين والإسلاميين[3] .

ثالثا : لاحظ أن الفقرة التى وردت فى طبعة لَيْدن[4] وهى « ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عن مَنْ مضى مِنْ أهل العلم على رهط أربعة من فحول شعراء الإسلام ، اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقة » يقول : هذه الفقرة تدل على أنها جزء من مقدمته الخاصة بالشعراء الإسلاميين[5] .

ويلاحظ عدم الترابط ، مع وجود فقرات داخل المقدمة فى الغالب مأخوذة من مقدمة أخرى ، والمرجح — كما يقول يوسف هِل — أنها مقدمة لفصل عن الشعراء الإسلاميين ويبدو ذلك فى (ط لَيْدن)[6] .

رابعا : ذكر أن كتب الأدب نقلت عنه أخبارا لم يُجد لها ذكرا فى الطبقات منها مارواه أبو الفرج فى أغانيه (٩/٢ ط ساسى) حين ذكر دريد بن الصمة ،

(١) انظر ص ٥٢ من مقدمة المحقق لطبقات (فحول) الشعراء ط المدنى سنة ١٩٧٤م .

(٢) ص ١٥ ، ١٦ .

(٣) ص ١٦ .

(٤) ص ١٥ .

(٥) ص ١٨ .

(٦) ص ٩ ، ص ١٠ ، ص ١٥ س ٦ ، ١٢ .

فقال (وجعله محمد بن سلام ، أول شعراء الفرسان) ثم مارواه أيضا فى الأغانى (١٣٤/١٦ ساسى) إذْ ذكر خَفّاف بن نُدْبَة فقال (وجعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من الفَرسان مع مالك بن نُوَيْرة ، ومع ابنى عمه صخر ومعاوية ابنى عمرو بن الشريد ، ومالك بن حمار الشمخى) ، ثم قال (إن هذين النصين حملا بروكلمان إلى الظن بأن ابن سلام خليق بأن يكون قد ألف كتابا فى (فحول الشعراء) أو (فرسان الشعراء) ويعلق يوسف هِل بأنه لم يَرِدْ فى الفهرست ، ذِكْرُ كتاب بهذا الاسم ويقول : قد يكون هذا الخلط الذى وقع فيه أبو الفرج ناتجا عن وجود مؤلفات لآخرين بنفس الاسم مثل « طبقات الشعراء » لِدِعْبل ، « وكتاب الفُرسان » لأبى خليفة « وطبقات الشعراء » لأبى حسان الزيادى ، « وطبقات الشعراء » لأبى عبيدة مَعْمَر بن المثنى .

خامسا : يحار من وجود ابن سلام أصلا للكتاب وأبى خليفة محررا للكتاب وأبى طاهر محمد بن أحمد بن بجير القاضى راويا للكتاب ويتساءل عن نصيب كل منهما فيه ، مع إعجابه بدقة رواية أبى خليفة لكتاب خاله ابن سلام الجمحى .

سادسا : يقول فى (ص٢١) إنه اعتمد على المخطوطه (٣٧ أدب ش) أكثر من اعتماده على المخطوطة (٣٦ أدب ش) مع أنه يلاحظ تطابقا كبيرا لدرجة أنه يعتبر الحديثة منهما صورة للقديمة ، ولو لم تكن الحديثة أكثر إسهابا فى بعض المواضع ، وإنه قد اعتمد عليهما باعتبارهما يكملان بعضهما .

وأخيرا يرجو أن تظهر اكتشافات جديدة تكمل النواحى الناقصة فى الطبعة التى قام بها .

طبعة دار المعارف ١٩٥٢ بتحقيق العلامة الأستاذ محمود شاكر :

وإذا كان ابن سلام قد أحسن عندما ألف كتابا فى النقد ؛ فإن الله تعالى قد أكرمه ، حين قَيَّضَ له الأستاذ محمود محمد شاكر يحقق كتابه الطبقات ويقدمه فى ثوب جديد ، منمقا ، مزدانا بالإطلاع الغزير ، والثقافة المتنوعة ، تَرِفُ عليه رُوْح العلماء وتواضُعهم .

وأود أن أقول الكثير من الحسنات التى أسداها الأستاذ شاكر للأدب والنقد أولاً ثم لابن سلام ثانيا ، لأن هناك الذى أستطيع أن أشير إليه وبسهولة ولكن

سأقف هنيهة عند بعض الملحوظات التى عَنَّتْ لى ، ومهما كان شأنها فلن تقلل من روعة هذا العمل الضخم .

أقول إذا تركنا قصة العنوان التى أثرناها من قبل ، انتقل بصرنا نقلة إلى نهاية الكتاب نبحث عن المصادر التى اعتمد عليها المحقق وتاريخ ومكان طبعتها ، لنبحث عما يَعِنُّ لنا البحث عنه ــ لم نجد شيئا فى المقدمة،وتبرير الأستاذ شاكر لذلك قوله :

« وقد آثرت أن لاأذكر فى المراجع إلاّ مَالاً غِنًى عنه وكرهت أن أحشد عند كل مكان مراجع كثيرة لاينتفع بها (قارئ الكتاب) انتفاعا يذكر ، وأما أهل العلم والتحقيق فهم أقدر منى على استيعاب مايشاءون من المراجع ، وهم لذلك فى غِنًى عن الإدلال عليهم بكثرة مراجعى وتنوعها[1] .

والأمر ليس إدْلالاً بكثرة مراجع ، ولكنه بحث علمى له أدواته ووسائله .

وندع الآن قصة العنوان ، ونَقُصّ ثَبْت المراجع ، إلى موضوع شائك أثار شك الباحثين وتساؤلهم المتكرر كلما تعرضوا للكتاب ، « هل كتاب الطبقات كتاب أم كتابان ؟ » .

يشير المستشرق يوسف هِلّ إلى أن كتاب الفهرست قد ذكر عملين لابن سلام ، ولكن فى النصوص التى عثر عليها وجد عملا واحدا ، له مقدمة واحدة ، تشمل طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين ووضع بينهما فصل جديد عن المخضرمين على أنها مجموعة وسط بين الجاهليين والإسلاميين ص ١٦ـ مقدمة يوسف هِلّ .

ويرد الأستاذ شاكر أن ذِكْر صاحب الفهرست فى ترجمة ابن سلام كتابين باسم « طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات الشعراء الإسلاميين » لايدل على أنهما كتابان منفصلان ، فإن القدماء كانوا إذا اختلف الموضوع فى الكتاب الواحد ، سموا كل باب كبير منه (كتابا) فابن قتيبة مثلا (ولد سنة ٢١٣هـ وتوفى سنة ٢٧٦هـ) ألّف « أدب الكاتب » ، وكتاب « معانى الشعر

(١) المقدمة : ص ٣٣

الكبير » ، وكتاب « عيون الأخبار » وغيرها (وكلها مطبوع) فكتاب « أدب الكاتب » فيه أربعة كتب : كتاب المعرفة ، وكتاب تقويم اليد ، وكتاب تقويم اللسان ، وكتاب الأبنية ، وفى كل كتاب منها أبواب عدة — وكذلك « معانى الشعر الكبير » يحتوى على اثنى عشر كتابا ، فى كل كتاب أبواب كثيرة ، فعبارة ابن النديم لاتدل عن أنهما كتابان منفصلان — بل هما بابان كبيران من كتاب واحد . وسائر النقول عن كتاب (طبقات الشعراء لابن سلام) تدل على ذلك دلالة واضحة — ومن رجع إلى فهرست ابن النديم ، عرف صحة ماذهبنا إليه »

وقبل أن أناقش المشكلة أناقش كيفية وصولها إلى ابن النديم : قلنا إن لقاءً حدث بين أبى خليفة وأبى الفرج الأصفهانى ، ولكن ابن النديم توفى سنة ٣٨٥ هـ بينما توفى قبله أبو الفرج الأصفهانى سنة ٣٥٦ هـ ، وإذا ألف ابن النديم كتابه بعد هذه السنة فما قيمة اللقيا ؟ وبالرغم من ذلك . يقول ابن النديم فى كتابه (ص ٢٠٩) « وحدثنى أبو الفرج الأصفهانى قال : حدثنى أبو بكر محمد بن خلف ، وكيع ، قال : سمعت حماد بن إسحق يقول : ماألّف أبى هذا الكتاب قط يعنى (كتاب الأغانى الكبير) — ولا رآه —... الخ ثم يقول ابن النديم : وقال لى أبو الفرج : هذا سمعته من أبى بكر وكيع » .

فابن النديم التقى بأبى الفرج ، وأبو الفرج — فيما نرجح — التقى بأبى خليفة الفضل بن الحباب .

والسنوات التى مضت من وفاة أبى خليفة سنة ٣٠٥ هـ إلى وفاة ابن النديم سنة ٣٨٥ هـ ليست طويلة لدرجة الخطأ والخلط وضياع الكتاب ، ثمانون سنة ليست شيئا يفعل الأفاعيل فى كتاب ، ويشوهه ، وينقل اسمه إلى اسمين ، ويتصرف فيه مع العلم بأن تلاميذ ابن سلام وتلاميذ أبى خليفة ، قد نسخ كل منهم بدوره نسخة من الطبقات — فإلى سنة وفاة ابن النديم ، أى إلى سنة تأليف كتاب الفهرست — نقرر باطمئنان أن الكتاب كان سليما صحيحا ومنتشرا بين طبقة المثقفين ، بل قد سمع به المغرب العربى حين وصل إليهم كتاب « الأغانى » يحمل فى طياته مائتين وخمسة وأربعين خبرا عن طبقات ابن سلام .

والمتصفح لكتاب الفهرست يجد أدلة عديدة على تحري ابن النديم الدقة والتزامه النَّصَفة وبُعده عن التحيز ، فهو مثلاً يقول في ترجمة أبي عبد الله هارون بن علي ، وله كتاب « اختيار الشعراء » ولم يتمه(١) ثم أتمه ابنه أبو الحسن علي بن هارون له كتاب ابتدأ فيه بنسب أهله عمله للمهتدي ولم يتمه(٢) والطوسي كان عدوا لابن السِّكِّيت لأنهما أخذا عن نصران الخراساني ، واختلفا في كتبه بعد موته ولا مصنف له(٣) .

الشواهد كثيرة مبثوثة في كتاب الفهرست(٤) تدل على مدى دقته في نقل الأخبار ونقل أسماء الكتب — ومثلا — أنه ذكر كل كتب ابن سلام ، حتى كتابه « غريب القرآن » ذكره ابن النديم تحت عنوان الكتب المؤلفة في غريب القرآن مع كتاب أبي عبيدة ومؤرج السَّدُوسي وابن قتيبة وأبي عبد الرحمن اليزيدي ثم قال : وغريب القرآن لمحمد بن سلام الجمحي(٥)

وليس معنى دقته أنه سجل كل الكتب التي ظهرت إلى عصره ، ولكنه سجل ماوصل إلى علمه منها ، وماحاول جهده أن يعرفه ، فما أورده منها لاخلاف في حقيقته ، والدليل على ذلك بالإضافة إلى ماسبق مناقشته نسبة كتاب الأغاني لإسحق الموصلي(٦) .

ويسرد لنا قصة أخرى عن حكاية الأغاني المنسوب إلى إسحق ، وكعادته لايدلي برأيه في شيء كما فعل في أخبار آل المنجم(٧) وفي كتاب « العين » للخليل بن أحمد(٨) فهو مدقق يسجل مايراه ومايقرؤه ومايصل إليه ، والكتاب نفسه كفيل بتقديم مايثبت ذلك بوفرة .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٢١٢

(٢) ابن النديم : الفهرست ٢١٣ .

(٣) المصدر السابق : ١١٢ .

(٤) انظر على سبيل المثال — الفهرست ١١٩ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ٥٨ .

(٦) المصدر السابق : ٢٠٨ و ٢٠٩ .

(٧) المصدر السابق : ٢١١ .

(٨) المصدر السابق : ٦٩ — ٧١

وبقى الآن المثل الذى استشهد به الأستاذ شاكر على أن العرب كانوا إذا اختلف الموضوع فى الكتاب الواحد سموا كل باب كبيرا منه كتابا ، والدليل ابن قتيبة وكتابه المقسَّم إلى كتب صغيرة ، فنقول : إذا كان الأمر كذلك فماذا يمنع ابن النديم أن يقولها صراحة ؟ ولماذا نقول إن ابن النديم يقصد ، ويذهب إلى ، ويود أن ، وإذا دققنا النظر فى عبارته وجدنا الرجل واضحا فى كتابه ، جليا فى بيانه ، ولو لم يفعل مع ابن قتيبة وأضرابه مافعل فى توضيح مؤلفاتهم لقبلنا هذا الرأى ، ولكن بعد تصفح الكتاب مرارا نرفض هذا ونقرر أن « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحى كتاب حوى كتابين كاملين منفصلين بمقدمتين منفردتين ، وجَنَتْ عليهما الأحداث فأُدمِجَا فأصبحا كتابا واحدا .

وقد أورد الأستاذ شاكر نصا من طبعة يوسف هِلّ للكتاب تدل على أن الكتاب كتابان ، ورد عليه بأن هذا النص مقحم ، فما موقف النقاد المحدثين ؟

يقول الأستاذ طه إبراهيم « والظاهر أن الكتاب فى الأصل كتابان ، أحدهما فى طبقات فحول الشعراء الجاهليين والآخر فى فحول الشعراء الإسلاميين ، فاضطراب المقدمة ومافيها من الخلط يشعر بأنها كانت مقدمتين أدمجت إحداهما فى الأخرى[1] .

ويقول الدكتور بدوى طبانة « إن هذا الكتاب مُلَفَّقٌ من كتابين ، وضع كل منهما لفريق من الفريقين »[2] ولكن جورجى زيدان يشير إلى أنه كتاب فى طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين ، وقد ذكره ابن النديم فجعله كتابين أحدهما فى الشعراء الجاهليين والآخر فى الإسلاميين[3] وإلى هذا يذهب كاتب مقال ابن سلام فى دائرة « المعارف » للبستانى[4] والدكتور مندور فى مقالة له عن ابن سلام « بمجلة تراث الإنسانية »[5] .

---

(١) تاريخ النقد الأدبى ـــ الأستاذ طه إبراهيم ٨٣ ط لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٣٧ م .

(٢) دراسات فى نقد الأدب العربى : الدكتور بدوى طبانة ١٢٨ .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : جورجى زيدان ١٢٣/٢ .

(٤) ص ١٩٧ .

(٥) المجلد الأول ص ٦٥٩ ومابعدها .

فالنقاد ينقسمون إلى مؤيد لابن النديم ومؤيد للأستاذ شاكر ونتساءل على أى المصادر يعتمد الأستاذ شاكر ؟ نجده يعتمد على النسخة الأوربية ، ثم نسخة السعادة نشر حامد عَجَّان الحديد الكتبى ، ويقول فى المقدمة (ص ٧) (ثم نشر الكتاب نفسه عن النسخة الأوربية فيما أرجح وعن المخطوطتين المذكورتين [يقصد مخطوطتىْ (٣٦ أدب ش) و (٣٧ أدب ش)] حامد عَجَّان الحديد الكتبى وطبع بمطبعة السعادة سنة ١٩٢٠م ثم طبع الكتاب بعد ذلك طبعات لاخَيْرَ فيها والمعتمد عند أهل العلم هما هاتان الطبعتان) .

ولاندرى مَنْ مِنْ أهل العلم اعتمد طبعة السعادة أو طبعة ليدن ؟ فطبعة السعادة اعتمدت على طبعة ليدن والمخطوطتين ، وطبعة ليدن اعتمدت على المخطوطتين ، والمخطوطتان إحداهما اعتمدت على الأخرى فيجب هنا أن يكون مدار حديث الأستاذ شاكر مخطوطة (٣٦ أدب ش) التى هى الأصل والأساس الأول الذى ظهر عنها المخطوط والمطبوع من الكتاب .

والمخطوطة (٣٦ أدب ش) تقول (فاقتصرنا فى هذه على فحول الشعراء الإسلاميين للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين بطبقاتى المؤلفة فى ذلك)

يقابلها فى المطبوعة تحقيق الأستاذ شاكر ص ٢٢ (فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات ...)

والعبارتان توقعان فى الحيرة ، وليس أمامنا إلا أسلوب ابن سلام فى المقدمة ، فقد يمدنا بما نتوكأ عليه ـ يقول ابن سلام : ذكرنا العرب وأشعارهم والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامهما إذ كان لايحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها ، فاقتصرنا من ذلك على مالا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر فى أمر العرب فبدأنا بالشعر وفى الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لاخير فيه ...) (ص ٣٧) .

والمتصفح لكتاب ابن سلام يجد عديدا من أشراف العرب المشار إليهم فى الأدب والسياسة والحكم ، بالأضافة إلى شعرائهم الذين يفرد لهم كتابه ، وأما

الأيام ففى الكتاب واحد وأربعون يوما ، إذن ، فابن سلام فى أسلوبه يقدم أولا ما سيطرحه من قضايا جملة ثم يبدأ بشرحها قضية قضية . فهو يتبع تقديم القضية الكلية ثم يردفها بما تحوى من قضايا جزئية . وقد تكلم عن الشعراء والأشراف والأيام فى تصنيفه هذا فأين الشعراء الفُرسان وطبقاتهم ؟

هل من التعسف فى القول إذا قلت ان « كتاب طبقات الشعراء » كتاب وقع فى جزئين أحدهما فى طبقات الشعراء الجاهليين وألحق به طبقات الشعراء الفرسان، والثانى فى طبقات الشعراء الإسلاميين وألحق به شعراء القرى والمراثى والشعراء اليهود ، إن الشعراء الفُرسان أحراراً وصَعَاليك. كانت معظم أحداثهما ووجود مشاهيرهما فى الجاهلية ، وشعراء القرى واليهود وشعراء المراثى عاشوا معظمهم فى الجاهلية حتى مطلع الإسلام ، والرياشى ، ألم يأخذ الكتاب قبيل وفاة ابن سلام جزءا جزءا ؟ فهو يعتبر كتابا واحدا فى الموضوع ، لأن الفكرة واحدة ومطردة ، وكأنى بابن سلام بعد أن انتهى من كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وجد الموضوع يحتاج إلى تعميم وتطبيق فأكمل حديثه فى كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين .

وحين يعتبرهما ابن النديم كتابين فهو صادق لأنهما كتابان ، والذين يعتبرون الكتاب كتابا واحدا قد نظروا إليه من حيث موضوعه ومضمونه .لاشكّله ويجوز أنهم وجدوه مُغَلَّفاً بغلاف واحد . ولكن هذا لايمنع أن يكون ابن النديم صادقا فى حديثه عن كتابىْ ابن سلام .

بقيت مسألة فى طبعة دار المعارف ، وقبل أن نتعرض لها ، نذكر تعليقا للأستاذ شاكر على فقرة ابن سلام التى يقول فيها (ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها ، إذْ لايحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها ، فاقتصرنا من ذلك على مالايجهله عالم ولا يَسْتَغْنِي عن علمه ناظر فى أمر العرب ، فبدأنا بالشعْر) .

يقول الأستاذ شاكر (ولما كان كتاب الطبقات ، كما قال ابن سلام فى الشعر والشعراء وحدهم ، على ما بَيَّن بَعْدُ فى كتابه ، وقال أنه « بدأ بالشعر » فهذا

وحده مشعر بأنه سوف يتبع الشعر بالكلام على (فرسان العرب). ثم (أشراف العرب وساداتها) ثم (أيام العرب) ، وقد وجدنا كتاب (طبقات فحول الشعراء) ، وذكر ابن النديم كتاباً أسْمَاهُ (بيُوتات العرب) فهذا فيما نعتقد هو الذى فيه ذكر (أشراف العرب وسادتها) فجاء أبو الفرج فدلنا دلالة قاطعة على كتاب آخر لابن سلام هو (كتاب الفُرسان) (أو كتاب فرسان الشعراء) . وابن النديم لم يستوعب كتب كل مؤلف ، ولا هو ادعى ذلك وهو خليق أن يكون سقط ذكره عنه ، كما سقط عنه ذكر كتاب ابن سلام (غريب القرآن)(١) .

وبعد أن بينتُ أن ابن النديم لم يسقط عنه ذكر كتاب « غريب القرآن » وقد ذكره فى ص ٥٨ من كتابه ، أقول إن كل مافى الأمر أن المؤلف يعدد للقارئ ما ما سيقدمه له ؛ والدليل على ذلك أنه بعد أن قال (فبدأنا بالشعر) قال وفى الشعر مصنوع مفتعل موضع كثير لاخير فيه)(٢) ، وإذا كان هذا ثبتاً بكتبه فأين ذكر كتاب « غريب القرآن » ؟ وأين ذكر كتاب « مُلَح الأخبار والأشعار » ؟

يقول الأستاذ شاكر ، « وقد جمعت أيضا كل أسانيد أبى الفرج إلى ابن سلام على اختلاف صورها التى ذكرها فى كتابه ، فبلغت عدتها أربعة وخمسين إسنادا ، كنت أحب ذكرها مفصلة بين يدى هذا الكتاب ، ولكنى رأيته طال وامتلأ واكتظ .. ولكن يهمنى هنا أن أثبت منها مايتصل بأمر كتابنا هذا » وبعد أن ذكر ثلاثة عشر سندا قال : « وهذه النصوص تدل دلالة واضحة على أن أبا خليفة كان قد كتب إلى أبى الفرج كل مارواه عن ابن سلام ، لكتاب الطبقات وكتاب الفُرسان وغيرهما ، وأنه أجاز أبا الفرج بروايتهما عنه وأظن أن هذا الكتب لم تصل إلى أبى الفرج إلا بعد إعداد كثير من مادة كتابه الأغانى فأنه لم يذكر ابن سلام ولا طبقاته فى كثير ممن ترجم هو لهم ، ولهم فى الطبقات ذكر(٣) .

---

(١) المقدمة ٦٠ .

(٢) ابن سلام : طبقات الشعراء ٣ و ٤

(٣) المقدمة : ٢٨ ـــ ٣٠ .

وأقول : أما أسانيد ابن سلام فى كتاب الأغانى فقد جمعتُ الأخبار التى حواها الأغانى لابن سلام فكانت (٢٤٥) خبرا موزعين فى الكتاب من جزئه الأول إلى جزئه الحادى والعشرين ، أرجعت منها إلى كتاب الطبقات (١٢٣) خبرا ، وبقى (١٢٢) خبراً استقاها أبو الفرج من كتب ابن سلام الأخرى ، ومن ثَمَّ ، لماذا يظن الأستاذ شاكر تأخر وصول تراث ابن سلام إلى أبى الفرج وفى الجزء الأول من الأغانى اثنا عشر خبرا أرقام صفحاتها (٣٩ ــ ٤٠ ــ ٦١ ــ ٦٦ ــ ٧٩ ــ ٨٢ ــ ٢٦٥ ــ ٢٩٤ ــ (خبران) ــ ٣١٠ ــ ٣١٤ ــ ٣٣٨) ، وفى إسناد الخبر السادس يقول أبو الفرج (٨٢) (أخبرنى الفضل ابن الحباب الجمحى أبو خليفة فى كتابه إلىَّ قال حدثنا محمد بن سلام قال : أخبرنى شعيب بن صخر قال : كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر ابن عبد الله بن معمر كلام ... الخ) .

أما المسألة الأخرى فيشرحها الأستاذ شاكر فى المقدمة بقوله :

(ولما كانت المطبوعة ناقصة أو مختصرة كما قلنا ، استبحت لنفسى أن أنقل أخبار أبى الفرج التى أسندها عن أبى خليفة إلى ابن سلام فى مواضعها التى ظننت أنها أحق بها . ففعلت ذلك فى المواضع التى ضاع من مخطوطتنا مايقابلها وكذلك فعلت بالأخبار التى رواها المرزبانى فى « الموشح » عن إبراهيم بن شهاب عن أبى خليفة عن ابن سلام ، فإنى رأيت مانقله المرزبانى أيضا مطابقا لما فى النسخة المطبوعة أو النسخة المخطوطة فى أكثر رواياته ــ وهى كثيرة ــ وهناك أخبار أخرى نقلتها عن أبى القاسم الزجاجى فى أماليه فى موضوعين أو ثلاثة رأيت أنها شبيهة بأن تكون من كتاب ابن سلام ــ ولولا أن الأمر قد يطول لذكرتها واحدة واحدة حتى يطمئن القلب إلى صواب ماذهبت اليه من ذلك[1] .

ولقد تتبعت الزيادات فى طبعة دار المعارف فوجدتها كثيرة جدا . أخبار تشغل صفحات بُرمَّتها ــ وأبيات كاملة ، وأعجاز أبيات ، أو صدورها ، قد أشار إليها الأستاذ شاكر ، أما الزيادات التى وضعت بين قوسين فلا أدرى عنها شيئا .

(١) المقدمة ٣١ ــ ٣٢ .

وإذا تتبعنا الفقرات الكاملة المزيدة فى طبعة دار المعارف وبينا مصدر كل فقرة لكانت النتيجة : فى ص ٢٨٧ فقرة من **الأغانى** : فى ص ٢٨٩ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٣٠٨ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٣١٥ فقرتان من **الأغانى والموشح** ، فى ص ٣١٦ فقرة من **الموشح** ، فى ص ٣٢٠ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٣٥٥ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٣٥٩ ثلاث فقرات من **الأغانى** ، فى ص ٣٦٠ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٣٦١ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٣٩١ فقرة من **الأغانى** ، من ص ٤١٦ إلى ص ٤١٨ فقرة من **الأغانى** فى ص ٤١٩ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٤٢٠ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٤١٣ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٤٣٦ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٤٦٥ فقرة من **الأغانى** فى ص ٤٦٦ فقرة من **الأغانى والموشح** ، فى ص ٤٦٨ فقرة من **الموشح** ، **فى ص ٤٧٥ فقرة من الأغانى** ، فى ص ٤٧٩ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٤٨٠ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٥١٠ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٥١١ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٥٢٠ إلى ص ٥٢٢ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٦٤٢ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٥٤٣ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٥٤٥ فقرة من **أمالى الزجاجى** ، فى ص ٥٧٦ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٥٧٩ ثلاث فقرات من الأغانى ، فى ص ٥٨٠ فقرة من **الأغانى** فى ص ٥٨١ فقرة من **الأغانى** ، فى ص ٥٨٩ فقرة من الأغانى .

فيكون عدد الفقرات التى نقلها الأستاذ شاكر من مصادرها وأضافها الى كتاب الطبقات (٣٧ فقرة كاملة) .

أما الصفحات التى زاد فيها كلمة أو عبارة أو بقية نسب ، فأرقامها هى : (٣٣) كلمتان ، (٨٣) كلمة ، (٢٢٩) بقية نسب ، (٨٩) كلمتان ، (٢١٦) نسب كامل ، (٢٢٠) بقية نسب ، (٢٢٣) وضع جملة فى غير مكانها ، (٢٣٥) بقية نسب ، (٢٧٤) أربع كلمات ، (٢٧٨) كلمة ، (٢٧٦) كلمتان ، (٢٨٣) نسب وسبع كلمات ، (٢٨٦) بقية نسب ، (٢٨٨) بقية نسب ، (٢٩٤) كلمة وبقية نسب ، (٣٠٨) بقية نسب ، (٣٢٢) كلمة وبقين نسبين ، (٢٣٤) سبع كلمات ، (٣٣٦) ست كلمات ، (٣٣٧) سبع كلمات ، (٣٤٦) كلمتان ، (٣٤٧) كلمة ، (٣٦٢) كلمة ، (٣٦٨)

كلمة ، (٣٧٠) عشر كلمات ، (٣٧١) كلمة ، (٣٧٢) أربع كلمات ، (٣٧٥) اثنتا عشرة كلمة وبقية نسب ، (٤٠٦) كلمتان ، (٤٠٨) ثلاث كلمات ، (٤١٨) بقية نسب ، (٤٢٢) بقية نسب وكلمة ، (٤٣٤) ثمانى عشرة كلمة ، (٤٥١) بقية نسب ، (٤٦٩) خمس كلمات ، (٤٧٦) كلمة ، (٣٥٨) كلمة ، (٥٥٤) تسع كلمات . وعددها (٤٠) موضعا وهذه ماأشار اليها الأستاذ شاكر بأنها زيادة لضرورة تمام المعنى أو لسياق الكلام أو ماشابه ، وتركنا الزيادات التى بين الاقواس ولم يوضح الأستاذ شاكر مصدرها وسبب مجيئها ، وهى كثيرة .

أما زيادات الأبيات الكاملة أو شطرى البيت فصفحاتها :

(٣١) ٦ أبيات ، (٦٤) شطرتان ، (٨٨) بيت ، (٨٩) بيت ، (٩٠) سطر ، (٩٣) سطر ، (١٠٤) بيت ، (١٧٦) شطرا ، (١٣٦) بيت ، (٢٤٦) بيت ، (٢٥٨) بيت ، (٢٩٠) بيت ، (٣٠٣) بيتان ، (٣٠٧) بيتان ، (٣٣٦) بيت ، (٣٦٥) بيت ، (٣٦٦) بيت ، (٣٦٧) ٥ أبيات ، (٣٦٨) ٣ أبيات ، (٤٠٠) بيت ، (٤٢٧) بيت (٤٦٣) بيت ، (٤٦٥) بيتان ، (٤٦٦) بيت ، (٥٣٤) بيت ، (٥٥) بيت ، (٥٧٢) بيت ، (٥٧٤) شطرا .

فيكون المجموع سبعة وثلاثين بيتا وستة أشطر .

وهذه الزيادات سبب تضخم الكتاب ولا سيما إذا علمنا أن السطر به عشر كلمات والصفحة الكاملة — بلا هوامش — بها اثنان وعشرون سطرا ، وتلك صفحات المقدمة ، أما صفحات الكتاب نفسه فأقصى ماوصلت اليه خمسة عشر سطرا وأدنى ماوصلت اليه ثلاثة أسطر . وأن الفهارس من (ص ٦٠١ إلى ٧١٣) والمقدمة التى كتبها الأستاذ شاكر وقعت فى (٣٦) صفحة .

وأخيرا ، هذا شأن طبعة دار المعارف ، ونعلم أننا قد تركنا الرد على بعض ماجاء فى طبعة يوسف هِلّ — ونظن أننا رددنا على بعضه فى أثناء حديثنا عن طبعة المعارف ، ونقرر للرجل صدق نظرته حين شك فى المقدمة ، وحين تصور وجود كتاب « الفرسان » لابن سلام ونتقبل خطأه فى فهم شكل الكتب القديمة لأنه بذوقه الغربى يدرس تراثنا العربى .

والأستاذ يوسف هِلّ رجل مستشرق ، وله أن يشك كما يشاء فى بعض جوانب حياتنا الأدبية التى تغمض عليه ، وعلينا أن نقدر للرجل مجهوده ولاسيما حين يقرر أنه اعتمد على المخطوطة (٣٧ أدب ش) أكثر من اعتماده على المخطوطة (٣٦ أدب ش) ، مع أنه يلاحظ تطابقا بينهما لدرجة أنه يعتبر الحديثة منهما صورة للقديمة (ص ٢١ من المقدمة الألمانية) وهذا ماأغفله الأستاذ شاكر .

وبعد ، فقد كان من الطبيعى حينما تصدر هذه الطبعة من الكتاب أن يتلقفها النقاد بالبشر ويتفرغون لقراءاتها ودراستها ، لذا نجد أثر ذلك واضحا ، فى مارس سنة ١٩٥٣ ، وقد نشرت مجلة « الكاتب » وبها مقال نقد للأستاذ السيد أحمد صقر عن الكتاب الجديد طبقات الشعراء لابن سلام من (ص ٣٧٩ — ٣٨٧) يقول : « ... وإن شرحه هذا لشرح دقيق جليل ، لاتكاد تمضى فيه حتى تحس أنك أمام رائد أدبى ممتاز ، يرتاد بك منازل الكتاب ، مفسرا لما غمض من ألفاظه ، موضحا لما أنبهم من معانيه ، فى غير إسراف ولا إسفاف ، كما يصنع بعض الناشرين ، لأنه يقدر وقتك ولحظك حق قدرهما فلا يعوج بك إلا ريثما يطرفك بفائدة لغوية أو نكتة أدبية ، تجلى لك أسرار نص أو تقفك على مفاتن شعر ... إلى آخر مايستحق المحقق من تقدير وثناء .

ثم يرفض الناقد من الشارح :

١ — إكماله المخطوطة بنقول من المرزبانى والزجاجى والأصفهانى وغيرهم .
٢ — تغييره لسم الكتاب « إلى طبقات فحول الشعراء » .

وأشاد ببعض شروحه ولمحاته الفنية النقدية الرائعة ولكنه أخذ عليه ستة مآخذ فى شرح الأبيات ، فمن ذلك ماجاء فى بعض ٢٨ من قول دُوَيْد بن زيد حين حضره الموت :

وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُه ∴ وَمِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُه

قال الأستاذ فى شرحه (« الغيل » : الساعد الريان الممتلىء ، يصف صاحبته بالشباب والنعمة والكرامة على أهلها . والمعصم : موضع السوار من اليد ، وأراد

اليد نفسها المذكرة الخضاب ، وهو الحناء ، أو غيره مما يصبغ به ، يعنى أن صاحبته عروس جديدة الخضاب ، كنى بالشطر الأول عن تجاوزه الأحراس والمَنَعَةِ إلى الكريمة المنعمة . وكنى بالشطر الثانى عن غلبته على فؤاد الغانية الحديثة العهد بالزواج فهى عن التطرف إلى غير زوجها أبعد وأعف ») ولست أرى فى الشطر الأول مايدل من قريب أو بعيد على أن الشاعر كنى به عن تجاوزه الأحراس والمنعة إلى المنعمة الكريمة على أهلها . وكل مايمكن أن يؤخذ منه أنه يذكر شبابه ومتاعه بالنساء ذوات السواعد السمينة فيقول : وكم ساعد عَبْل ثنيته ، ولست أرى كذلك فى الشطر الثانى أن الشاعر عَنَى « أن صاحبته عروس جديدة الخضاب » ، وأنه قد كنى به عن « غلبته على فؤاد الغانية الحديثة العهد بالزواج » فما كان الخطاب من زينة العروس فقط ، بل هو من زينة المرأة التى تتخذها طيلة شبابها . وقد وضعت العروس وصفا خاصا لمن تكثر استعماله منهن وجاء فى لسان العرب ١/٣٤٥ : « والخُضَبَة مثل هُمَزَةٍ ، المرأة الكثيرة الاختضاب » .

وفى العدد الثانى من مجلة الكتاب (ابريل سنة ١٩٥٣) رد الأستاذ شاكر على الأستاذ السيد أحمد صقر ، وكان نقده فى جزءين الأول منه يرد فيه على إكمال المخطوطة وتغيير اسم الكتاب ، بِرَدٍّ يَدَعُ نقد الأستاذ صقر قائما .

طبعة المدنى ١٩٧٤ م :

وكرت السنون ، ونفدت طبعة ١٩٥٢ م بما لها وماعليها ، ونَسِىَ الباحثون يوسف هِلّ ، وأصحاب الطبعات التجارية ، وصار ابن سلام مقرونا بالعلامة الكبير ، الأستاذ محمود شاكر ، وتَطَلّعُ علينا سنة ١٩٧٤ م ببشرى طالما تَطَلّعْنَا إليها ، وهى الطبعة الجديدة لكتاب ابن سلام للمحقق الرائد الأستاذ محمود شاكر ، وبمقدمتها يُورد الأستاذ شاكر تنبيها رائعا يقول فيه « .. فأنا لا أُحِلُّ لأحد من أهل العلم أن يعتمد بعد اليوم على هذه الطبعة الأولى ، وأضرع إلى كل من نقل عن هذه الطبعة شيئا فى كتاب سواء كان قد نسبه إلىّ أو لم ينسبه أن يراجعه على هذه الطبعة التانية من الطبقات لينفى عن نفسه وعمله العيب الذى احتملت أنا وحدى وِزرَه[1] .

(١) ص ٧ من مقدمة الطبعة الجديدة .

أولا : قصة الطبعة الجديدة :

تركنا الأستاذ شاكر فى مقدمة طبعة ١٩٥٢ م عند الأوراق « الدشت » التى أعطاها له المرحوم أمين الخانجى ووجد فيها كتاب « طبقات الشعراء » فأخذها ورتبها ولكنه لم يتم نقلها، ثم رد الأم العتيقة التى نقل عنها جزءا منها إلى المرحوم الخانجى ولم يخبره بعدم إتمامه للنقل ، وضاعت الأم العتيقة فلم يجد الأستاذ شاكر بُدًا من أن ينشر ماكان كَتَبَهُ من الأم العتيقة وأخرجه باسم « طبقات فحول الشعراء » وكان الفراغ منه ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥٢م . ثم ماذا ؟

يقول الأستاذ شاكر فى مقدمة طبعته الجديدة « وبعد ظهور الكتاب فى الأسواق وبعد إهدائى نسخة منه إلى شيخنا وأستاذنا عبد العزيز المَيْمُنِى الرَّاجَكُوتِّى أطال الله بقاءه مضى زمنا طويل ثم جاءتنى منه رسالة يذكر فيها أنه قرأ فى أحدى مجلات المستشرقين مقالة للأستاذ اربرى المستشرق ، فيها قراءة جديدة لكتاب الطبقات ، توشك أن تكون شبيهة بنسختى التى نشرتها من كتاب ابن سلام ، فلما اطلعت على المجلة أيقنت أن هذه النسخة هى نسختى التى فقدت خبرها بموت أمين الخانجى ، فبادرت وراسلت صديقنا د . محمود رشاد سالم وكان يومئذ تلميذا لَاربْرِى فى انجلترا وسألته أن يوافينى منها بمصَوَّرَةٍ وعلمت أنها بمكتبة « اتشستر بتى » فجاءتنى المصورة فإذا هى نسختى وعليها خطى وتوقيعى كما أشرت فى التعليق رقم ٣ ص ٢٠٤ فحمدت الله وسألته أن يرد غُربة هذه النسخة التى رمتها المقادير إلى بلاد العجم ، ومنذ وصلتنى هذه النسخة المصورة جعلت همى أن أعيد طبع الكتاب تاما وكانَ منَ فضل الله علىَّ أن ظفرت أيضا بمصورة أخرى لنسخة المدينة شرفها الله وصلى على ساكنها صلاة طيبة مباركة وظل العزم كامنا حتى أذن الله فمهد لطبع كتاب « الطبقات » مرة أخرى على وجه يرضينى بعض الرضى والحمد لله أولا وآخرا[1] .

إذن فقد عاد أستاذنا إلى مانادينا به فاعتمد على مخطوطة المدينة مع اعتماده على المخطوطة الأم العتيقة .

---

(١) ص ١١ من المقدمة

ثم يعقد الأستاذ فصلا يقارن فيه بين المخطوطتين رامزا بالحرف (م) لمخطوطة المدينة وبكلمة (مخطوطة) للأم العتيقة . مشيرا الى أن عدد الأوراق المفقودة من أصل الطبقات خمس وأربعون ورقة ، أما ما بين المخطوطتين من فرق فيقول : « وقد قارنت بين خط النسختين فتبين لى أن الصفحة الواحدة من مخطوطتنا يقابلها من نسخة المدينة (م) مقدار صفحة وبضعة أسطر ، بل ربما بلغت أحيانا أكثر من صفحة ونصف صفحة ، فإذا كان مابقى عندنا من المخطوطة (٦٨) ورقة ومن نسخة (م) (٧١) ورقة ، فمن البين أن (المخطوطة) على مافيها من خَرْم بليغ تستوعب من نص كتاب ابن سلام أكثر مما تستوعب نسخة المدينة (م) تامة غير مُنْخَرِمة ـــ وإذا علمنا أن عدد الأوراق التى ضاعت من مخطوطتنا خمسة وأربعون ورقة على وجه الضبط فمعنى ذلك أن أصلها يوشك أن يكون ضعف نسخة (م) على قلة حروفها وقد دلت مقارنة النصين على مقدار هذا الفرق البين بين النسختين فى ثنايا الكتاب كله »(١) .

ثانيا : قصة الإضافات

حدثنا الأستاذ شاكر فى هذه الطبعة عن الإضافات التى زادها فى الطبعة الأولى والتى ورد ذكرها فى مقدمته للطبعة الاولى ، أما الحديد فقوله هنا ... « فعاب عَلَّى ذلك بعض أهل الفضل من العلماء ، ولكن لما جاءتى مُصَوَّرة (المخطوطة) كاملة ، وجدت كلَّ مازدته من الأغانى موجود فى (المخطوطة) ، بل كان بعضها فى نفس سياق ابن سلام ، وفى موضعه من كتابه كما أثبته أنا استظهارا ، مثال ذلك الخبر رقم ٧٩٥ فإنى كنت وضعته بعد الخبر ٧٩٢ مباشرة ، وهو كذلك فى المخطوطة إلا أنَّه فصل بينهما الشعر الذى رواه ابن سلام فى رقم ٧٩٤ ـــ والخبر رقم ٩٤٧ كنت نقلته من الأغانى ووضعته بعد الخبر رقم ٩٤٦ فكان كذلك فى المخطوطه أيضا ومواضع أخرى أدع التكثير بذكرها ـــ ومن أجل ذلك رأيت أن الذى فعلته ليس عيبا قادحا فى عملى لأن مافى الأغانى هو بيقين من كتاب الطبقات ووضعى إياه اجتهادا فى موضع من الكتاب ربما أصاب موضعه من أصل ابن سلام وربما أخطأ الموضع الذى وضع فيه ، ولكنه

(١) انظر ص ٤٣ الى ٤٥ من المقدمة .

مع ذلك من أصل ابن سّلام بلا ريب ، **ولاعيب فى ذلك إن شاء الله** ، وعسى أن يأذن الله بظهور مخطوطة كاملة من الطبقات تؤيد أكثر ماذهبت إليه فى إثبات هذه الأخبار فى مواضع النقص والخرم التى وقعت فى (المخطوطة) وفى (م) ، وهذا بيان المواضع التى أدخلت فيها روايات أبى الفرج من نسخته التى نقل عنها فى كتاب الأغانى[1] .**فهذه خمسة وعشرون موضعا فيها ستة وثلاثون خبرا منها خبران مذكوران فى** (م) ولكنى أثبت نص الأغانى وخبران فى (المخطوطة) **زدت فيهما من الأغانى أسطرا وتسعة أخبار زيادة** على المخطوطة لأنى أرجح أن نسخة أبى الفرج كانت أتم منها ، فيبقى بعد ذلك **ثلاثة وعشرون خبرا** كلها زيادة (م) وهى مختصرة كما أثبت ذلك فى « بابة المقارنة بين المخطوطتين » .

وليس الأمر مقصورا على الأغانى فثمة زيارات أخرى يقول الأستاذ شاكر « وبمراجعتى ماجاء فى الموشح تبين لى أن كل مافيه عن طريق إبراهيم بن شهاب موجود بنصِّه فى كتاب الطبقات فلذلك زدت خبرين من هذه الطريق تمام رقم ٤٦ ثم رقم ١٤٦ ، ثم زدت أيضا من الموشح من رواية المرزبانى عن أبى بكر محمد ابن يحيى الصولى (ت ٣٣٦ هـ) عن أبى خليفة عن ابن سلام الخبر رقم ٧٤٣ ، لأن بعض مارواه عن طريق محمد بن يحيى فى الموشح موجود أيضا فى الطبقات وكلها زيادة على (م) ، وزدت أيضا خبرا عن شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد عز الدين أبى حامد عبد الحميد هبة الله المدائنى (٥٨٦ — ٦٥٥هـ) لأنه نص على أنه من كتاب الطبقات ، وهو رقم ١٣٧ وهو زيادة على (م) **وزدت شيئا قليلا** فى صدر الخبر رقم ٧١٢ عن **ابن عساكر** فى مخطوطة تاريخ دمشق لأنه إنما نقل فى كتابه عن كتاب الطبقات . وإذن فمجموع مازدته من الأخبار عن أصل الطبقات (م) هو سبعة وعشرون خبرا وتسعة أخبار زيادة على (المخطوطة) فهى جميعا ستة وثلاثون خبرا وأرجو أن أكون قد أصبت الحق فى أكثر ذلك [1] .

---

(١) انظر ص ٤٤ وبها أرقام الفقرات التى زيدت .

(٢) انظر ص ٤٥ و ٤٦ من المقدمة ط ١٩٧٤ م .

ويقول : « وبقيت زيادات أخرى نقلتها عن الكتب المختلفة رجحت أنها من أصل الطبقات ولكنى أثبتها فى التعليق وهذا بيانها ....[1] .

ثالثا ــ « طبقات الشعراء » وليس « طبقات فحول الشعراء » يقول الأستاذ شاكر فضلا عن أن اسم « طبقات الشعراء » كما عرف بذلك عند المتأخرين اختصارا لايطابق كتاب ابن سلام كل المطابقة ، فإنه لم يستوف فيه ذكر « الشعراء » بل اختار عددا معلوما أربعين شاعرا فى طبقات الشعراء الجاهليين وأربعين شاعرا فى طبقات الإسلام ، وأربعة شعراء فى طبقة شعراء القرى العربية وثمانية فى طبقة شعراء يهود فهم جميعا ١١٤ شاعرا وحسب ، والذى أغفله من كبار الشعراء أضعاف أضعاف ماذكر . إذن فاسم « طبقات الشعراء » ثوب فضفاض لايطابق مافى كتابه وإنما هو اختصار ممن ذكره بهذا الأسم على الأرجح فبدليل العقل ودليل النقل أن يكون اسم الكتاب « طبقات فحول الشعراء » والحمد لله رب العالمين[2] .

وأقول : بعد ماناقشت هذه القضية فى حديثى عن طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٢م إن اسم الكتاب« **طبقات الشعراء** » بدليل العقل ودليل النقل .

وقد صَوَّرْتُ الورقة الأولى من مخطوطة المدينة (م) كما هى ملصقة بطبعة ١٩٧٤م وليس فيها ذكر لكلمة (فحول) ــ وكذا الورقة الأولى من (المخطوطة) وفيها العنوان الذى اعتمد عليه الأستاذ شاكر مشيرا إلى أن كلمة (فحول) مطموسة ، وهذا دليل مرفوض بالنهاية المكتوبة فى آخر المخطوطة إذ بها « تم كتاب « **طبقات الشعراء** » والحمد لله رب العالمين كثيرا سرمدا وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم أولا وآخرا وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، فاسم الكتاب « **طبقات الشعراء** » .

---

(١) انظر ص ٤٦ من المقدمة ــ كانت فى تسعة مواضع وأحدت عن « الزينة لأبى حاتم الرازى والعمدة ونثار الأزهار والإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر والمختلف والمؤتلف للآمدى والأغانى »

(٢) انظر ص ٢٦ من المقدمة .

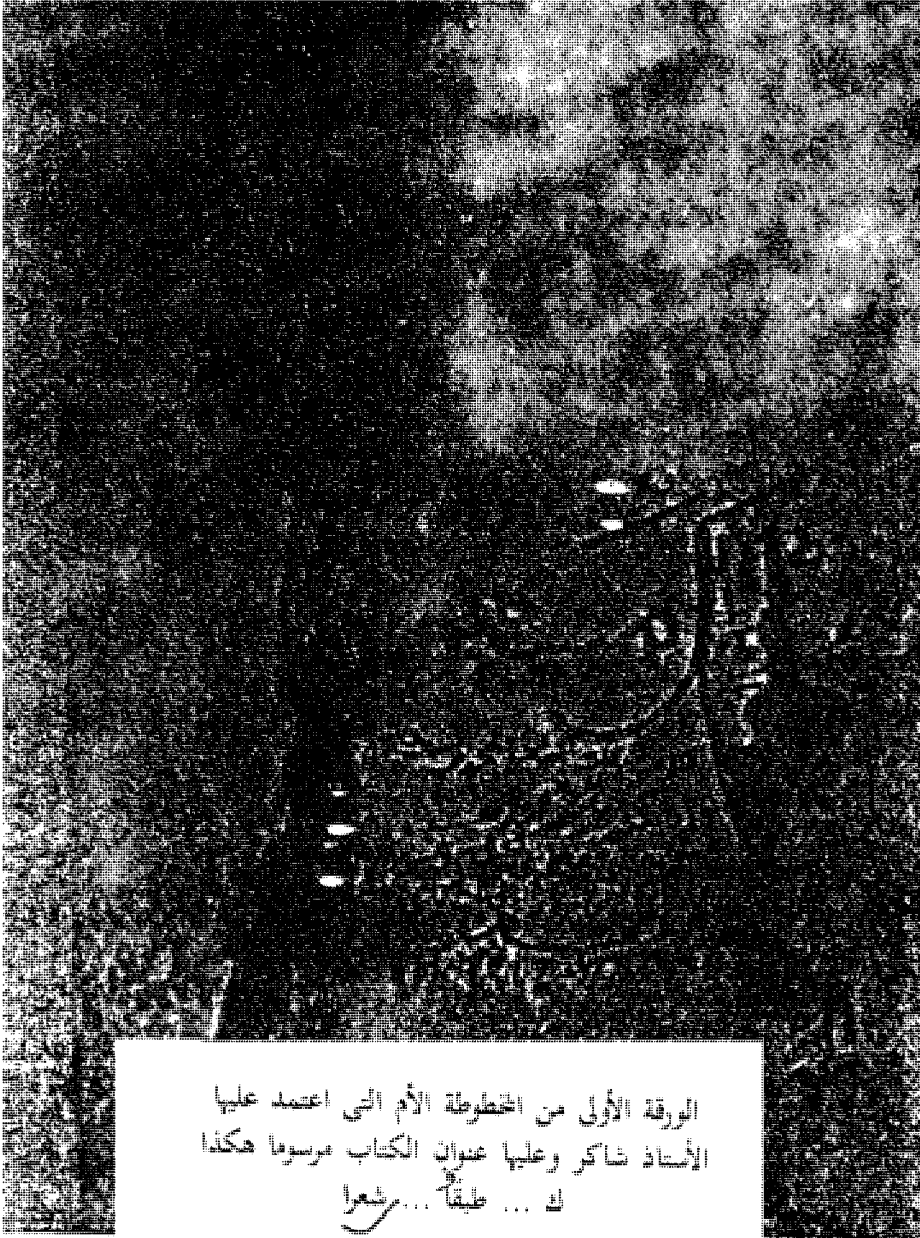
الصورة الأولى





الورقة الأولى من مخطوطة المدينة « م »
سِفْرٌ فِيه « طبقات الشعراء »
تأليف محمد بن سلّام الجمحى

الصورة الثانية



الورقة الأولى من المخطوطة الأم التى اعتمد عليها الأستاذ شاكر وعليها عنوان الكتاب مرسوما هكذا
ك ... طبقا ... شعرا

الصورة الثالثة

تَمَّ كتابُ طَبقاتِ الشُّعَراء، والحمد لله رب العالمين
كثيرًا سَرْمَدًا، وصلَّى الله على محمّدٍ النبيِّ وآله وسلَّمَ
أوَّلا وآخِرًا، وحَسْبُنا الله ونِعمَ الوَكِيل

وفى هامش المخطوطة:
«قُوبِل بالأصْلِ فَصَحَّ»

تَمَّ كتابُ طبقات الشُّعَراء ، والحمد لله رَبِّ العالَمين
كثيرًا سَرْمَدًا ، وصَلَّى الله على محمّدٍ النبيِّ وآلِهِ وسلَّمَ
أوَّلًا وآخِرًا ، وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكِيلُ

وفى هامش المخطوطة :
« قُوبِل بالأصْلِ فَصَحَّ »

ثالثا : قضايا فى المقدمة

١ ـــ قضية انتحال الشعر .

٢ ـــ قضية الكوفة والبصرة .

٣ ـــ قضية اللحن .

ثالثا : قضايا فى « المقدمة »

احتوت مقدمة ابن سلام على عدة قضايا أدبية ونقدية من أبرزها :

١ ـ قضية انتحال الشعر :

يقول ابن سلام « وفى الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لاخير فيه »(١) .

وقد أَلَمَّ علماء القرن الثانى بالمشكلة ولكن ابن سلام استطاع أن يعرضها عرضا طيبا ويحدد أسبابها بل ويقدم العلاج الذى يراه ناجعا .

نرىء أبا عمرو بن العلاء يحكم بأنْ ضادية ذى الإِصبع العدوانى الطويلة لايصح منها إلا ثلاثة أبيات فقط وهى :

وليس المرء فى شىء ... من الإِبرام والنقض
إذا يفعل شيئاخـا ... لَهُ يُقْضَى وما يَقْضِي
جديد العيش ملبوس ... وقد يوشك أن يَنْضِى

أما سائرها فمنحول(٢) وذهب أيضا الى أن القصيدة المنسوبة إلى امرئ القيس والتى مطلعها :

لا ، وأبيك ابْنَةَ العامرى ... لا يَدَّعى القوم أَنِّى أَفِرّْ

هى لرجل من أبناء النمر بن قاسط ، يقال له ربيعة بن جشم وأولها عنده :

أَحَارِ بن عمرو كَأَنِّى خَمِر ... ويَعْدُو على المرء مايأتمر(٣)

وهذا عامر بن عبد الملك وأخوه مِسْمع بن عبدُ الملك الملقب بِكَرْدِين ـ وهما من طبقة ابن عمرو بن العلاء ـ عَلاَّمتان بالنسب روايتان للشعر ـ روى عنهما أبو عبيدة والأصمعى أخبارا وشعراء ينكران ماأضيف إلى قَصيدة الحارث بن عَبَّاد ، ولم يصححا منها غير الأبيات الآتية :

(١) الطبقات ص ٤ .
(٢) الأغانى : ط الوزارة ١٠٦/٣ وبها إقواء فى « يمضى »
(٣) البغدادى : الخزانة : ط السلفية ـ القاهرة ١٣٤٧ هـ ـ ٣٣٧/١

قرّبا مَرْبطَ النّعامة منــي :. لَقِحَتْ حَرْبُ وائل عن حِيال[1]
لا بُجَيْر أغْنَى فتيلا ولا رَهْطُ :. كُلَيْب تزاجروا عن ضلال
لم أكن من جُنَاتِها علم الله :. وإنّى بحرّهـا اليـومَ صَالِ[2]

ومن أمثلة ذلك عند أبى عمرو الشيبانى أنه كان يدفع أن يكون هذا البيت :

هل غادر الشعراء من متردم :. أم هل عرفت الدار بعد توهم

لعنترة ولم يكن يرويه حتى سمع أبا حزام العكلى يرويه له[3] .

وأما الأخبار المروية فى ذلك عن الأصمعى ، قال : أقمت بالمدينة زمانا مارأيت قصيدة صحيحة ، إلا مصحفة أو مصنوعة[4] وقال : كثير من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه[5] وأن أكثر شعر المهلهل محمول عليه[6] .

هذا العام المطلق ، أما الخاص المحدد فإنه قال : أعيانى شعر الأغلب وماأروى له سوى اثنتين ونصفا ، فلما سُئِل كيف قُلْتَ نصف ؟ قال : أعرف له اثنتين وكنت أروى له نصفا من التى على القاف فطولوها ، وكان ولده يزيدون فى شعره حتى أفسدوه[7] وقال أيضا فى القصيدة المنسوبة إلى الأغلب فى سَجَاح أنه يقال إنّ هذه القصيدة فى الجاهلية لجُشم بن الخزرج[8] وإن الناس يروون لأمية بن أبى الصلت القصيدة التى منها :

من لم يمت عَبْطَةً يمت هَرماً :. الموت كأس فالمرء ذَائِقُهـا

وهذه لرجل من الخوارج[9] .

---

(١) النعامة : اسم فرس كانت للحارث بن عباد ـــ وأصل اللقاح الحمل ، وعَنْ بمعنى بَعْدَ ، وحيال : مصدر حالت الأنثى إذا لم تحمل ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .
(٢) الأغانى : ط الوزارة ٤٧/٥ .
(٣) المصدر السابق ٢٢٢/٩ .
(٤) السيوطى : المزهر ٤١٣/٢ .
(٥) المرزبانى : الموشح ٣٧ .
(٦) الأصمعى : فحولة الشعراء ٢٢ .
(٧) المرزبانى : الموشح ٣٣٣ .
(٨) ابن سلام : الطبقات ٧٤٣ .
(٩) المرزبانى : الموشح ١١٢ ، مات عبطة : أى شابا وقيل شابا صحيحا .

وأما أبو عبيدة فإن أخباره المتفرقة أيضا فى هذا النوع تكاد تضارع أخبار الأصمعى — ومن ذلك أنه ذكر خمسة أبيات للحارث بن حِلزة فى إنكار الطِّيرة تبدأ بقوله :

يأيها المُزْمِــعُ ثم انْثَنى ∴ لايُثْنِيك الحَازِى ولا الشَّاحِجُ

ثم حكم بأن سائر القصيدة مصنوع مولد[1] وأورد أيضا أربعة أبيات لعوف ابن عطية التيمى حين عَيَّر لقيط بن زرارة أسْرَ بنى عامر معبد بن زُرارة فى خبر طويل . ثم قال : وبقية هذه القصيدة مصنوعة[2] .

واستشهد على أن الأسود كان رئيس الرباب يوم النسار ، يقول عوف بن عطية ابن الخرع التيمى :

مازال حينكم ونقص حلومكم ∴ حتى بلوتم كيف وقع الأسود
وقبائل الأحلاف وسط بيوتكم ∴ يعلون هامكم بكل مهند

ثم قال : بنو أسد وغطفان[3] والقصيدة مصنوعة فلم يشهد الأسود النسار[4] وفى كتابه (الخيل) نصوص كثيرة فى هذا الباب[5] .

ونقول : إن هذه الأشتات المتفرقات لاتغنى عن دراسة ابن سلام لقضية الانتحال .

عرض ابن سلام للقضية :

رسم لنا ابن سلام حدود القضية بأن فى الشعر المسموع مفتعل موضوع . وهذا الشعر كثير ويحمل أدلة اتهامه فى أنه « لاخير فيه ، ولاصحة فى عربيته ، ولاأدب يستفاد ، ولامعنى يستخرج ، ولامثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستطرف »[6]

(١) الحيوان : الجاحظ ٤٤٩/٣ — والحازى ، زاجر الطير ، أو الكاهن ، والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

(٢) أبو عبيدة النقائض ط ليدن ١٩٠٥ م ٢٢٨/١

(٣) يقصد مهما أنها قبائل الاحلاف .

(٤) المصدر السابق ٢٤٠/١

(٥) أبو عبيدة : كتاب الخيل : ط حيدرأباد ١٣٥٨ هـ الأولى ١٤ ، ١٥ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٧١

(٦) الطبقات : ٤٠

وسبب **ظهوره** : أن الرواة تداولوه فى كتاب إلى كتاب ولم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى[1] .

وسبب **ثان : القُصَّاص** : وكان ممن أفسد الشعر وهَجَّنَهُ وحمل كل غُثَاء منه محمد بن اسحاق بن يسار ، كتب فى السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط وأشعار النساء فضلا عن الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعارا كثيرة وليس بشعر انما هو كلام مؤلف معقود بقواف[2] .

وسبب **ثالث : رواية الشعر فى غير أهله** : يقول : وجدنا رواة العلم يغلطون فى الشعر ولا يضبط الشعر إلا أهله وقد تروى العامة أن الشعبى ، كان ذا علم بالشعر وأيام العرب ، وروى عنه هذا البيت :

فألفيتُ الأمانة لم تخنها .:. كذلك كان نوح لايخون

وهو فاسد . وروى عنه شيء يحمل على لبيد (باتت تَشَكّى إلىَّ النَّفسُ مُجْشَهَةً .... الخ الأبيات) ولا اختلاف فى أن هذا مصنوع ، تُكَثَّر به الأحاديث ، ويستعان به على السهر عند الملوك ، والملوك لاتستقصى[3] .

وسبب **رابع : ذهاب الشعر وسقوطه** : بسبب من هلك من العرب بالموت والقتل حين غزو فارس والروم . والدليل على ذلك قلة مابقى بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر[4] .

وسبب **خامس : استغلال بعض العشائر شعر شعرائهم** : وماذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد فزادوا فى الأشعار التى قيلت[5] .

---

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ٤٠

(٢) المصدر السابق : ٧

(٣) المصدر السابق ٦٠ و ٦١

(٤) المصدر السابق ٢٦

(٥) المصدر السابق ٤٦ و ٤٧ .

وسبب سادس : استلحاق بعض القبائل لمشهورى الشعراء أو ادعاء بعض الشعراء الانتساب لبعض القبائل : فأخو الشماخ يُعْزِي كعب بن زهير إلى مزينة ـــ وكان أبو سلمى وأهل بيته فى بنى عبد الله بن غطفان ، فبهم يعرفون ، وإليهم يُنْسَبون ... وكان أبو ضمرة ، يزيد بن سنان بن أبى حارثة ، لأَخى النابغة فنماه إلى قضاعة ، وكان رهط الزبرقان بن بدر يُخْلَجُون إلى بنى كعب ابن يشكر إلى ذى المجاسد ، عامر بن جشم بن كعب ... ويقول : ولقد أخبرنى بعض أهل العلم من غطفان أنهم من بنى عبد الله بن غطفان وأن اعتزاءه الى مزينه كقول هؤلاء ، وأما العامة فهو عندهم مزنى ...(١) .

وسبب سابع : أنه كان أول مَنْ جمع أشعار العرب وساق أحاديثها : حماد الراوية وكان غير موثوق به ، كان ينحَل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ويزيد فى الأشعار(٢) .

وهذه بعض الأسباب لانتحال الشعر التى وضعها ابن سلام .

وأما عن العلاج ، فهناك مصدران لأخذ الشعر ، ليس أحدهما الكتب التى يدون فيها الشعر لأنها كثيرة الخلط ، وأن المسلمين قد تركوا لنا أقوالا تصور مدى كراهيتهم لتلقى العلم عن الكتب وحدها ، وكان بعضهم يقول : من أعظم البلية تشييخ الصحيفة ، أى أن يتعلم الناس من الصحف(٣) .

ومصدر الشعر الموثوق بهما عند ابن سلام هما :

١ ـــ **أهل البادية** .

٢ ـــ **أهل العلم والرواية الصحيحة** ،لأن للشعر صناعةً وثقافةً يعرفها أهل العلم ، وقد يختلف العلماء فى بعض الشعر كما اختلفت بعض سائر الأشياء ـــ أما مااتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه(٤) .

---

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء [خَلَجَهُ : أى جذبه وانتزعه ، ويستعمل فى النسب ، إذا تُورع فيه ، كأنه جُذب من قوم إلى قوم وانتزع] ١٠٤ و ١١٠

(٢) المصدر السابق ٤٨

(٣) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ٨٧

(٤) ابن سلام : طبقات الشعراء ٤ و ٦

فكما يعرف الجوهرى اللؤلؤ والياقوت بمجرد معاينتها ، وإدراك كنها ، وكما يفرق الصيرفى بين الدينار الجيد والآخر المزيف ، وكما يرجع زُرَّاعُ النخل كل صنف منه إلى بلده ، الذى خرج منه ، كذا عالم الشعر يعرفه من كثرة مدارسته له ، إلى جانب ذوقه الأدبى(١) .

ويشرح لنا ابن سلام الذوق الأدبى بأنه شىء « يعرفه العلماء عند المعاينة والاستماع ، بلا صفة يُنْتَهى اليها ، ولا علم يوقف عليه(٢) فأدوات هؤلاء العلماء ، دراسة متواصلة للنصوص الأدبية ، وممارسة طويلة لحفظها ، وروايتها ، ومعاشرة أهلها ، ثم ذوق أدبى رفيع عرفوا به .

ويقرر ابن سلام أن براعة علماء الشعر ليست مطلقة ــ فأحيانا يوقفهم شعر مصنوع موقف العاجز بالرغم من علمهم بوضعه أو نحله ، ولكن لاحيلة لهم معه « وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل بعض الأشكال »(٣) ومايستطيعونه أنهم يتشبثون بتلابيبه ، ويعلقون أنه بالرغم من غموضه عليهم ــ شعر مصنوع ــ وهذا أبو عبيدة وابن نوح العُطاردى يأتيان ابنَ داود بن متمم بن نويرة ــ ويسألانه عن شعر أبيه متمم ، ويقومان بحاجته ، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد فى الأشعار ويضعها لهما ــ وإذا كلام دون كلام متمم ــ واذا هو يحتذى على كلامه ، فيذكر المواضع التى ذكرها متمم والوقائع التى شهدها فلما توالى ذلك عَلِمَا يفتعله(٣) .

وبعد أن يثير ابن سلام القضية ويحددها بأسبابها وظواهرها مقترحا العلاج لها ــ يضع القواعد العامة الثابتة التى تكشف الشعر الموضوع . يقول : أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما(٢) وأنه لم يجاوز أبناء نزار فى أنسابهم وأشعارهم عدنان ــ اقتصروا على مَعَدٍّ، ولم يذكر عدنان جاهلى قط غير لبيد بن ربيعة الكلابى فى بيت واحد قال :

---

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ٦ و ٧

(٢) المصدر السابق ٦

(٣) ابن سلام . طبقات الشعراء ٤٦ و ٤٧

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مَنْ دُوْنَ عَدْنَانَ وَالِداً ∴ ودونَ مَعَدٍّ ، فَلْتَزَعْكَ العَواذِلُ

وقد روُى لعباس بن مرداس فى عدنان قال : (وَعَكٌّ بنُ عدنانَ الذين تَلعَّبواْ ...) والبيت مريب عند أبى عبد الله (ابن سلام) فما فوق عدنان ، أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب ، والله أعلم بها ، ولم يذكرها عالِمٌ قطُّ[1] ويقول : ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته ، وإنما قُصِّدَت القصائد ، وطُوِّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحِمْير وتُبعٍّ[2] .

ويقول : من قديم الشعر الصحيح ، قول العنبر بن عمرو بن تميم ... ، وقول دويد بن زيد بن نهد ... ، وقول أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ... ، وقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد ... ، وقول زهير بن جناب الكلبى ... ، وقول جذيمة الأبرش ...[3] ، ويقول « وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب وائل ، قتلته بنو شيبان »[4] ويقول : وكان شعراء الجاهلية فى ربيعة : أولهم المهلهل ، والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة والمتلمس والأعشى ، والمسيب بن علس ، ثم تحول الشعر فى قيس ، فمنهم النابغة الذبيانى ، ولبيد ، والنابغة الجعدى ، والحطيئة ، والشماخ ، وأخوه مزيد ، وخداش بن زهير ، ثم آل ذلك إلى تميم ، فلم يزل فيهم إلى اليوم ، وكان امرؤ القيس بن حجر بعد مهلهل ، ومهلهل خاله ، وطرفة وعبيد وعمرو بن قميئة والمتلمس فى عصر واحد[5] وغيرها مثلها .

فهذه أدوات تصلح فى كل عصر ويستخدمها الناقد ، ويقيس بها وطالما أن النقد دراسة وممارسة ثم ذوق فيعنى ابن سلام بمبدأ الدراسة — للنصوص الشعرية المختلفة « وإن كثرة المدارسة لَتُعْدِي على العلم به »[6] ، وابن سلام يضع بين

(١) المصدر السابق ١٠ ومابعدها

(٢) المصدر السابق ٢٦

(٣) المصدر السابق ٢٦ ومابعدها

(٤) المصدر السابق ٣٩

(٥) المصدر السابق ٤٠

(٦) المصدر السابق ٦ و ٧

يدى تلاميذه النقاد ماارتضاه العلماء من ثقافة أدبية ، وماانتهت إليه الدراسة فى تاريخ الشعر .

معلومات ثابتة ، يزيد بها معالم قضية الشعر المصنوع ، وكأنه يريد أن يقول أن هذه مبادئ ثابتة يجب على الخيال ألا يجنح بعدها فيدخل فى الكذب والإدعاء وهو لايكتفى بعرض القضية واقتراح علاجها وتقديم معلومات تستخدم فى الكشف عنها فحسب ، بل ينتقل إلى خطوة أخرى عمليةً فى المعالجة ، فيقدم الشعراء مُرَتَّبين فى طبقات ، ويرفق بهم شعرهم الصحيح المقبول عند الشعراء الرواة والعلماء النقاد .

وهو يخلص للقضية من المقدمة إلى آخر الكتاب ، وهو لاينى يطبق ماينادى به من ضرورة اليقظة أمام النص الأدبى والبحث فيه بتؤده لعله ـــ لسبب من الأسباب ـــ يكون مصنوعا ـــ وكلما تصفحنا الكتاب خيل إلينا أن ابن سلام يريد أن يزيد أشياء جديدة للقضية يزيدها وضوحا وكأنه يُبَلِّغُ رسالة ـــ كُلِّف بها عن وعى ـــ ويود أن يطمئن أنه بلغ ماكلف به .

ومن القضايا التى عرضتها المقدمة ، (**قضية الكوفة والبصرة**) ،يقول ابن سلام البصرى (وكان لأهل البصرة فى العربية قُدْمَةٌ وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية)[1] .

وقد تحدثنا حديثا عابراً عن البصرة العباسية حينما تعرضت للحديث عن العصر العباسى ، وذكرنا أنها البيئة الملاصقة لابن سلام التى شكلته وهيأته فخرج يعبر عن أفكارها ونزعاتها الأدبية والنقدية .

ولم يكن الأمر للصدفة أن يتلاحى هذان المِصْران عن طريق علمائهما ، وأن تكون البصرة مهد الاعتزال وبلد المعتزلة ، والكوفة مهد التشيع وبلد الرافضة ، وأن ينشأ النحو على الأسلوب التنظيمى والطابع العقلى الأرسطى فى البصرة دون الكوفة .

لقد نزلت قبائلُ من العرب البصرةَ ، ونزلت مثلها الكوفة وأُسستا فى زمن

---

(١) الطبقات : ص ١٢ .

متقاربة وشغلتا بكل أحداث العالم العربى ، وبالرغم من ذلك اختلفتا وكان اختلافهما خيرا على الأدب والنقد[1] .

ولقد نزل الكوفة عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ فى عهد عمر رضى الله عنه ، وأصبحت الكوفة مع البصرة قاعدتى الفتح الإسلامى ، إلى خراسان وفارس والهند ، وقد هبط الكوفة ثلثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر[2] ، ومن أشهرهم على بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم[3] ، وكان لعبد الله بن مسعود أثر كبير فى رفع اسم الكوفة ، لما بذله فى سبيل تعليم أبنائها وقد تخرج فى هذه المدرسة كبار التابعين الذين حفظوا الشريعة وحافظوا على السنة المطهرة[4] .

فهى لاتقل من حيث نصيبها من الأعلام — عن البصرة التى كان فيها أنس ابن مالك وأبو موسى الأشعرى وعبد الله بن عباس وأبو زيد الأنصارى وغيرهم[5] .

واهتمت الكوفة بالشعر والرواية ، كما اهتمت البصرة ، ومن أقدم رواتها الخثعمى ، وأبو البلاد الكوفى ، ثم ظهر بعده حماد الرواية ، واهتمت بالنحو على يد شيبان بن عبد الرحمن التميمى (ت ١٦٤ هـ) وكان بصريا ثقة ، وانتقل إلى الكوفة وسكن بها زمنا ، وهو من تلاميذ أبى عمرو بن العلاء وظهر معه معاذ الهراء ، واضع التصريف (ت ١٧٨ هـ) ، ثم أستاذ علماء الكوفة وأول من ألف منهم كتابا فى العربية وهو أبو جعفر الرؤاسى ، وكان معاذ الهراء عمه ، فأخذ عنه ثم أخذ عن عيسى بن عمرو من تلاميذ أبى الأسود الدؤلى — وعن هذين أخذ على بن حمزة بن الكسائى المتوفى (١٨٩ هـ) وهو الذى رسم للكوفيين الحدود التى عملوا بها ، وبها خالفوا البصريين .

(١) انظر السفر القيم للدكتور يوسف خليف عن حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى — دار الثقافة — بالقاهرة ١٩٦٨ م — الفصل الأول ص ٤٥ — ١٣٦ .
(٢) طبقات ابن سعد : ط ليدن ١٣٢٢ ﻫ ٦/٤ .
(٣) أبو عبد الله الحاكم : معرفة علوم الحديث ١٩١ .
(٤) طبقات ابن سعد ٦/٤ .
(٥) المصدر السابق ١٣٢ أبو عبد الله الحاكم — معرفة علوم الحديث ١٣٢ .

ولها شعراؤها ، ومنهم فى أواخر القرن الأول وأوائل الثانى — ذو كنار عمار بن عمرو ، وكان لين الشعر ماجنا حِمِّيرا معاقرا للشراب — وحُدَّ فيه مرات[1] . ومنهم حنين بن بَلّوع الحميرى كان شاعرا مغنيا فحلا[2] ومالك بن أسماء بن خارجه الفزازى وكان غزلا ظريفا[3] .

والمتوكل بن عبد الله الليثى كان فى عصر معاوية وابنه يزيد ومدحهما ، ومن ساكنى الكوفة أيضا من الشعراء جلدة بن عبيد اليشكرى[4] وكان من أخلص الناس للحجاج ، فخطب الحجاج منه ابنته ، ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعب ، وكان من أشد الناس تحريضا على الحجاج ، وعرف بأنه كثير الهجاء والخمر[5] واسماعيل بن عمار بن عُيَيْنَة ، الذى أدرك الدولة العباسية وقال الشعر فى الرثاء والهجاء والخمر[6] ، وابن ميادة الذى أدرك خلافة المنصور وقد أكثر من سَبِّ الشعراء ومهاجاة الناس وكان فصيحا يحتج أهل اللغة بشعره[7] .

ففى الكوفة فقهاء وعلماء وشعراء ورواة كما فى البصرة — وكانا على اتصال وثيق حتى تكون الحادثة بالكوفة غُدْوَةً ، فيعلم بها أهل البصرة قبل المساء[8] وتبادلا الثقافة والتلمذة ، وجلس علماء كل مصر يسمع علماء المصر الآخر ، ونستطيع أن نسوق كثيرا من الأمثلة لذلك ، منها أن خلف الاحمر البصرى كان تلميذ حماد الراوية وسمع منه[9] كما كان يزعم فيما يحكى عنه اليزيدى فى شعر له فيه ، أنه كان أستاذ الكسائى الكوفى[10] الذى كان يجلس فى حلقة يونس بن حبيب

---

(١) الأغانى : ط ساسى ١٧٤/٢٠ .
(٢) الأغانى : ط الوزارة ٣٤١/٢ .
(٣) المربانى : معجم الشعراء ٢٦٦ ، تحقيق عبد السلام فراج — ط الحلبى القاهرة ١٩٦٠ م .
(٤) الأغانى : ط الوزارة ١٥٩/١٢ .
(٥) المصدر السابق ٣١٠/١١
(٦) المصدر السابق ٣٦٤/١١
(٧) المصدر السابق ٩ القاهرة
(٨) البغدادى : خزانة الأدب ١٥٢/١
(٩) الجاحظ : الحيوان ٩٧/١
(١٠) الحموى : معجم الأدباء ٢٨/١١

بالبصرة[١] والمفضل الضبى الكوفى كان شيخ أبى زيد الأنصارى البصرى ، وأبو عثمان الضرير سعدان بن مبارك الكوفى كان تلميذا لأبى عبيدة البصرى[٢] .

ولكن كل هذا لم يَمْحُ الفروق الواضحة بين المصرين ــ فالكوفة ورِثَتْ حضارة فارس وروح الشرق المتأمل ، والبصرة لموقعها الجغرافى وَرِثَتْ حضارة اليونان وغيرها من الأمم التى عرفتها كالهند وفارس ، وكانت مركزا لمختلف التجارات فانطبعت نفسية البصريين بالثورة على القيود وخاصة تلك التى تقيد حرية الرأى وتغلل تفتح الفكر ، فرأينا البيئة البصرية كثيرة الاضطرابات السياسية والفكرية ، نزاعة إلى الواقعية المادية ميالة إلى الشك فى الموروثات ، تريد معرفة سِرّ ثباتها وكشف جوانب بقائها وعتوها ، ولعل التجارب التى قام بها الجاحظ والنظام على الحيوانات لم يكن مبعثها إلا الشك وَحْدَه فيما توارثه الناس من معلومات عن بعض الحيوان ، وقد عرضوا كثيرا من الأصول للاختبار والتجربة ، فاتجه بعضهم إلى الحديث ينقده نقدا شديدا ، ثم اجترءوا وطعنوا على كثير من الصحابة الأوائل ، بل لقد أسرف بعضهم الآخر فاعترض على القياس الشرعى ، قال ابن عبد البر القرطبى الأندلسى ، كان العلماء قديما وحديثا عندما ينزل بهم أمر ولم يزالوا ، على إِجارة القياس حتى حدث إبراهيم بن سيار النظام ، وقوم من المعتزلة سلكوا طريقةً فى نفس القياس ، والاحتهاد فى الأحكام ، وخالفوا مامضى عليه السلف[٣] بينما أقدم بعض المعتزلة على القول بإحالة أحكام الإجماع[٤] .

وبيئة كهذه مادية شاكةً مجربة لابد أن يكثر فيها الجدل ، فقد ساعد على إثارته الفرق الدينية والفلسفية والخصومات العقيدية التى اصطرعت فى البصرة وماحت بها .

وهذا الجانب قَابَلَهُ جانب آخر فى الكوفة ، باطنى يُعْنى بسرائر الوحود لا بظواهر الكائنات ، ويرى وراء كل ظاهرة سرا خفيا من عالم الروح ، أو ماوراء

(١) المصدر السابق ١١/٧٠

(٢) المرزبانى : معجم الشعراء ــ ترجمة مروان بن سعيد بن عياد ٣٢٠

(٣) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ــ ط مطبعة الموسوعات ــ القاهرة ١٣٢٠ هـ ــ الطبعة الأولى ــ واختصار أحمد بن عمر المحمصانى البيروتى الأزهرى .

(٤) ابن قتيبة ــ تأويل مختلف الحديث ــ ط مطبعة كروستان العلمية القاهرة ١٣٢٦ هـ الطبعة الأولى (٢١)

الطبيعة ، وهو الذى يعنى به ويرسل أوهامه خلفه ، فقد تشيع الكوفيون واحتضنوا الشريعة الإسلامية والسنة النبوية وأخرجوا منها مفهومات خاصة بهم وهم ، وكانت المحافظة على التراث جزءا من مكوناتهم النفسية فاهتموا بالدراسات الفقهية ولكن بعضهم أسرف على نفسه ، وتشربوا تعاليم الفرس ومذاهبهم الدينية والفلسفية الروحية فأغلقوا منافذ البساطة واليسر فى الحنيفية السمحاء .

ولذا هب الفقهاء يتمسكون بالسنة ولا يريدون عنها حولا — يُرُدُّون على الشيعة ، وكان الحفَاظ على السنة من شوائب الشيعة والخوارج والمرجئة من أكْبَرِ هَمِّ الفقهاء . ولكنهم فى أثناء جدالهم مع هذه الطوائف وغيرها ، وقعوا فى حدود دائرة ضيقة لاتقبل نَسَمَات فكر جديد ، وتقيدوا بالنص لايحيدون عنه ، ولم يقبلوا التقعيد أو التنظيم لقضايا اللغة والأدب والفقه ، بل كان لكل ظاهرة قاعدة ولاستثناءاتها قاعدة أيضا ، وليس هناك شاذ فى لغة أو أدب أو فقه بينما قعد البصريون اللغة فى ألفاظها . وماخرج عنها فهو شاذ والشاذ لايعمل به ، وقننوا الأدب والشعر وعيوبه وماخرج عن حده فهو شاذ وكذا فهموا الحديث والتفسير حتى بلغ بهم الأمر أحيانا إلى الشطط(١) .

ومن الطبيعى أن يهيج الجدل بين المعتزلة والفقهاء وبمعنى آخر بين البصرة والكوفة عامة — وينتهى الأمر بالجاحظ البصرى أن يواجه بعض المُحَدِّثِين بأنهم لايفهمون تأويل الأحاديث ، ولا يعرفون أى ضرب منه يكون مردودا ، وأى ضرب منه يكون مُتَأَوَّلا — ويقول : فلولا مكان المتكلمين لهلك العوام(٢) وهكذا نادى البصريون بالقياس فى المحل الأول — مهدرين كرامة المأثور والمسموع من الفقه والأدب ، معرفين النحو بأنه « علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب ، وأن إنكار القياس فى النحو لايتحقق ، لأن النحو كُلّهُ قياس ومن أنكر القياس فقد أنكر النحو »(٣) .

وهم يتعشقون الفروض واستنباط الاحكام واستخراج العلل ، بل ذهبوا يستغلون مااستغله الفقهاء فى قياسهم من اثارة الاسئلة واقامة الفروض —

(١) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ٢٣ — ٢٨

(٢) الجاحظ : الحيوان ٢٨٩/٤ .

(٣) السيوطى : الاقتراح — ط حيدر أباد ١٣١٠ ه ٤٥ — ٤٦

ويتنازع الفقهاء فى حق إرث الجسد فى الطبقة الخامسة من حفيد مات ولا ولد له ، ويتكلمون فى مشكلات الزواج بالجن وتبعاته ــ فيسأل النحويون البصريون عن جواز صرف عُمَر ، وإذا كان اسما لأمراة ، ويفترضون وجود انسان سُمِّى (إنّ) أو (لَوْ) أو (كَىْ) ، فعل ذلك الخليل نفسه[1] مع أنه كان يرى الأسماء فى العربية لاتقل عن ثلاثة أحرف .

فطريقة التفكير مختلفة ، وتؤدى إلى الالتحام الذى لابد منه ــ وكان الانتصار من حظ تفكير البصريين ، وكانوا يشعرون بذلك وَيْعتدُّون به ، ويترفعون عن الأخذ عن الكوفيين .

وقد سبق أن قَصَصْنَا مادار بين الرياشى البصرى وأحد من كان يفضل الكوفيين وكتاب المنطق ليعقوب بن السِّكِّيت . فقال : إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضِّباب وأَكَلَةِ اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد وأصحاب الكواميخ وأَكَلَةِ الشواريز أو كلام يشبه هذا ــ على حد قول السيرافى[2] .

فالبصريون لايرون الأعراب الذين أخذ عنهم الكوفيون حجة فلذا لايأخذون عن كوفى علما إلا الثقة المفضل الضبى ، فإن أبا زيد الأنصارى استباح لنفسه أن يروى عنه شعرا للشاهد[3] وكثرت بينهم المناقشات والمنافسات ، والمساجلات وامتلأت كتب التاريخ والأدب بالمفاضلات بين البصريين والكوفيين ، وقد حشد البصريون كل إمكاناتهم التاريخية والطبيعية والفكرية وافتخروا به على الكوفيين ، حتى فى الأنهار والزروع[4] والألفاظ التى يتداولونها ، وكذا فعل الكوفيون .

---

(١) سيبويه : الكتاب ٣٢/٢ و ٣٣ ط بولاق ١٣١٦ هـ

(٢) السيرافى : أخبار النحويين ٦٨ ــ حرشة الضباب : صيادوها ، واليرابيع جمع يربوع ، وهى دويبة نحو الفأرة ، لكن ذنبه وأذناه أطول منها ، وهذا كله كناية عن مصدرهم العلمى كان الأعراب الحفاة ، فهذا أوثق لمروياتهم ، أما الكواميخ فهى نوع من الأدم والشواريز اللبن الرائب المستخرج ماؤه وهذا كله كناية على عدم ثقة الذى يأخذون منه مروياتهم ، فهم يأخذون من أهل الحضر .

(٣) الرافعى : تاريخ آداب اللغة العربية ٤٣٥/١

(٤) انظر ابن الفقيه فى كتابه (مختصر كتاب البلدان) ط بريل ليدن ١٣٠٢ هـ الفصل من ١١٨ ــ ١٢٧ بعنوان افتخار الشاميين على البصريين وفضل الحلبة على النخلة . وفيها مفاخرات البصريين بكل مافى بلدهم من نهر وزرع وأعلام ونفس الشىء حدث بينهم وبين الكوفة .

لهذا كان ابن سلام صادقا فى تصويره أزمة الثقة المستمرة بين البصرى والكوفى ــ وهو بصريا ــ رأى أن علم البصرة هو العلم ، وعلماء البصرة هم العلماء ، وماعداهم شيء لايَقْرَبُه ولايستريح له .

يقول فى مقدمة الطبقات : وكان لأهل البصرة فى العربية قُدْمَةٌ وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية(١) ويقول : وكان الأصمعى وأبو عبيدة من أهل العلم ، وأَعْلَمُ من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبى الكوفى(٢) .

فيما عدا البصرة غير معترف به ، إلى أن يُثْبِتَ جَدَارَةً كما أثبت المفضل الضبى .

ومن قضايا المقدمة ٣ ــ قضية اللحن

يقول ابن سلام : « كان سَرَاةُ النَّاس يَلْحَنُون ، ووجوه الناس ، فوضع أبو الأسود الدؤلى باب الفاعل ، والمفعول به ، والمضاف ، وحروف الجر والرفع والنصب والجزم »(٣) .

ومشكلة اللحن ــ من المشكلات التى لازمت اللغة العربية منذ زمن بعيد ، وأعتقد أن طبيعة اللغة العربية أوجدت اللحن فى صورته البسيطة فى شكل اختلاف نطق بعض الألفاظ ، أو تحريفها عن موضوعها عند بعض القبائل ، وكان هذا فى صورته العامة يُعدُّ لحنا ، ولكنه كان مستساغا لأنه لحن لاحيلة فيه ولاسبيل إلى علاجه .

وقد قامت الأسواق والنوادى الأدبية ، مع نزول القرآن الكريم ، وَتَصَدُّرُ قريش للقبائل ، بدور فعال فى سد الثُّغْرات بين اللهجات العربية ، فأصبحت هناك لغة أدبية ترتقى قليلا عن اللغة المطروقة المنطوق بها ــ وهذه ، يلجأ إليها الأديب حين ينتج نتاجا يود له البقاء الطويل .

ولم تمنع هذه العوامل من وجود اللهجات والفروق المعنوية والصوتية للفظ

(١) ابن سلام ــ الطبقات ١٢ .
(٢) المصدر السابق ٢٣ .
(٣) ابن سلام : الطبقات ١٢ .

الواحد بين المناطق المتشعبة فى الجزيرة العربية خضوعا لظروف البيئة وقربهم أو بعدهم من الحضارة .

ويجب ألا نعطى هذا الأمر لافتة ضخمة ، بالرغم من أنه فتح باب الشاذ والغريب والاستثناء فى اللغة والنحو بالذات — فالعرب جميعا كانت تجتمع فى الأسواق وتتناقش ، ويفهم بعضها عن الآخر فى سهولة ويسر .

والرسول الكريم خاطب العرب جميعا وأفهمهم وفهموا عنه . ونحن نتوسع فى فهم لفظ (لحن) إذ أردنا أن نطبقها على ماحدث فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ، لأنها حالة أشرفت على الزوال مع عصر التدوين وتغلغل الحضارة إلى البوادى والأقاصى — فتقاربت الأشتات ؛ وقضى الزمن من ناحيته بالفناء على بعض اللهجات الشاذة والألفاظ الغريبة ، لينشىء — من ناحية أخرى — قضية أخطر من سابقتها ، وهى قضية اللحن بين الشعوب العربية الإسلامية .

واللحن بصورته الجديدة هو الخطأ فى نطق نهاية الألفاظ الناتج عن جهل قواعد النحو ، وبُعْدِ السليقة العربية ، بطغيان المولدين وانتشار أسباب الحضارة

وهناك أمثلة لهذه النوادر نجدها فى البيان والتبيين(١) ، وعيون الاخبار(٢) والكامل(٣) وغيرها من الكتب .

ومهما كثرت هذه القصص فهى محدودة أيضا ، لِأَنَّ تفشى اللحن أصبح بعد ذلك مرضا خبيثا قد استشرى ، واستطاع أن ينسل بين صفوف الناطقين بالضاد عجما كانوا أم عربا ، ثم قفز من بين صفوف الشعب الى جنبات قصور الخلفاء حتى ضج العلماء .

وأصحاب البلاد المفتوحة — معذورن فى خطئهم لأنه : لم تكن هناك لغة واحدة بين اللغات التى التقت بها العربية فى عهد الفتح كانت محتفظة بنظام تصرفها ، ولهذا كان من الشاق العسير على الاجانب الذين اضطروا اذ ذاك إلى

(١) الجاحظ : البيان والتبيين : انظر باب اللحن من (٢١٠ — ٢٢٤) ط : الحلبى — الطبعة الثانية .

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢/١٥٥ — ١٦٠ .

(٣) المبرد : الكامل ١/٢٦٢ .

استخدام العربية ، أن يتابعوا القواعد والنظم المعقدة للنحو العربى القديم ـــ فآثروا التصرف بوساطة أساليب التعبير التقريبية التى اعتادوها فى لغاتهم الأصلية ـــ وحذفوا حركات الإعراب الأخيرة .

ومن المستبعد تصور أن اللغة العربية قد سادت منذ السنوات الأولى للفتح فهذا مخالف لطبيعة الأمور ، فاللغة اليونانية فى غربى الدولة الفارسية وفى شرقيها ، ظلت قرنا كاملا لسان الحكم والإدارة .وحتى فى المدن الناشئة ففى البصرة كانت أسماء الأمكنة المنسوبة إلى الأشخاص تُخْتَم عادة بمقطع « آنْ » ، وبقيت اللغة الفارسية لغة الفرق العسكرية التى انضمت إلى العربية على حين كان بعضهم ولاسيما الزط والسيابجة والاندغار يحملون أسماء قبائلهم الهندية التى انتظموا فيها فى الجندية[1] وفى هذه الأوساط اللغوية نشأ عبيد الله بن زياد ، الذى صار فيما بعد واليا على العراق ، وبسبب فارسية أمه وفارسية زوجها بعد زياد ومكوث ابنهما معهما ـــ كان عبيد الله ينطق عربية غير فصيحة .

وقد رويت أخبار عديدة لمعاوية يوصى فيها زيادا ، أن يصلح من لسان ابنه[2] .

ولم يختلف عن ذلك كثيرا أمرُ العلاقات اللُّغوية بالكوفة ، فقد قامت هذه المدينة فى منطقة كانت تتلاقى فيها اللغات الآرامية والفارسية والعربية من قديم ، كما كانت الحيرة قبل الإسلام مصدرا لانتشار مسيحية الآراميين ، وثقافة الساسانيين وقد احتلت الكوفة مكان الحيرة فى الازدهار وأصبح لها أساورتها وهم بقايا الجيوش الساسانية التى انضمت إلى العرب .

وقد كشف الجاحظ النقاب عن مدى تأثير اللغة الفارسية فى الجيوش العربية بما أورده من ألفاظ معربة فى لهجة الكوفة[3] .

ولعب الخلفاء الأمويون دورا حاسما فى مشكلة اللحن ، وكان من أشدهم

---

(١) انظر يوهان فك : العربية (١٤ ـــ ١٦) ط دار الكتاب العربى ـــ القاهرة ١٩٥١ م ترجمة الدكتور عبد الحليم الهجار . ١

(٢) انظر . الجاحظ : البيان والتبيين : ط الخانجى ٢/ ٢١٠ ـــ ٢١١ .

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين : ١/ ٣٩ تحقيق السندوبى

وأخلصهم عبد الملك بن مروان الذى طالما حذر أبناءه من اللحن ، وبالرغم من ذلك فقد أهمل تأديب ابنه الوليد[1] الذى رويت فى أخطائه اللغوية شتى الروايات اللاذعة[2] .

وعلى النقيض منه تأدب سليمان بن عبد الملك ، أدبا رفيعا ، وكان يحسن الإشادة بقيمة الجمال اللغوى[3] ومثله عمر بن عبد العزيز[4] وفى الدولة الأموية نستطيع أن نشير بسهولة إلى شخصيات حاكمة كانت تعتز بفصاحتها وتتفنن فى الإجادة اللغوية بلا لحن ، وأوضح مثل على ذلك الحجاج الثقفى الذى كان يقيم وزنا لأن يعبر من حوله تعبيرا صحيحا[5] .

وكلما اقتربنا من بزوغ الدولة العباسية ، لمسنا بلبلة الألسنة وضياع السليقة ، وانتشار اللحن ، حتى أصبح داءً عضالا يهيج أعصاب السامعين من العرب الخُلّص ، وأصبح من أبلغ أيات التقريظ أن يمدح المثقف بأنه ينطق كما ينطق البدوى لغة فصيحة ، تنبىء عن المعنى بلا تحريف أو ركاكة أو لحن .

ومن هنا نلمح أثر تفوق البصريين على الكوفيين ، حين تمكن البصريون من الاتصال المباشر — بحكم البيئة — بعدد كبير من القبائل العربية النازحة من ووسط الجزيرة وشرقها وسؤالهم — بينما لم يستطع الكوفيون مااستطاعه البصريون بسهولة ، واعتمدوا على انصاف المقيمين من القبائل فى سواد الكوفة الذين لم يرض علماء اللغة فى البصرة الاعتراف بلغتهم على أنها أصل للاحتجاج[6] .

وقد ثار العلماء على هذا الداء ، وتشمروا له يعالجونه ، كلٌّ بقدرته — فاهتموا بجمع اللغة وصيانتها وتنقيتها من شوائب اللحن ، وأصبح من الضرورى أن ينشأ عِلْمٌ يصون ألسنة الناس من الوقوع فى الخطأ وخاصةً فى البلدان التجارية .

(١) المصادر السابق : ٢٠٤/٢ ، ٢٠٥ تحقيق عبد السلام هارون

(٢) ابن وهب : اسحق بن إبراهيم : نقد النثر ، « البرهان فى وجوه البيان » ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، تحقيق طه حسين والعبادى ط مطبعة مصرية ١٩٣٨م وانظر الموشح للمرزبانى ٢٣٩ ط النهضة .

(٣) ياقوت : إرشاد الأريب ٢٤/١ والميمنى : ذيل الأمالى ٦٦

(٤) ياقوت : إرشاد الأريب ٢٥/١

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين : ١٦١/١ ، ١٦٣/١ تحقيق عبد السلام هارون

(٦) السيرافى : أخبار النحويين ٩٠

فهب أبو الأسود الدؤلى لِنَقّط الصحف نقطا يُعَيِّن حركات أواخر الكلم فيه ، أو بعبارة أدق يُعَيِّن **حركات الأعراب** ،ويجىء بعده عبد الله بن عمرو الثقفى الحضرمى (ت ١١٧ هـ) ، وعيسى بن عمر الثقفى (ت ١٤٩ هـ) ، أول نحاة البصرة الحقيقيين[١] .

وَأَلفت الكتب فى اللحن عند العامة وعند الخاصة ، فأبو الحسن بن حمزة الكسائى (ت ١٩١ هـ) ألف كتاب « لحن العامة »[٢] ، وللفراء (ت ٢٠٧ هـ) كتاب « البهاء فيما تلحن فيه العامة » ولأبى الهيدام كلاب بن حمزة العقيلى الحراقى المتوفى (٢٠٧ هـ) كتاب « لحن العامة » ، ولأبى عبيدة اللغوى المتوفى (٢٢٢ هـ) « كتاب الغريب » ولابن الأعرابى المتوفى (٣٤٠ هـ) كتاب « النوادر » .

وهاهو ابن سلام يثير المشكلة فى مقدمته فقد اتَّهَمُ يونس بن حبيب ، حمادَ الروايةَ بأنه كان يكذب ويكسر ويلحن[٣] ويروى بأن معاصر حماد ، مروان بن أبى حفصة (ت ١٨١ هـ) قد وصفه بأنه لُحَنَةٌ [٤] وكذا الكميت وصفه بما وصفه مروان[٥] .

ولقاء هذا ، صنع الكوفيون ليونس بن حبيب هذه الجملة العامية : هاتى ديك الماء من ذلك الجرة[٦] .

ولم يتوقف سيل التأليف فى مشكلة اللحن ، كما لَمْ يكُفّ القياس والاطراد فى اللغة والنحو عن التمادى ، وكما لم يلتق معسكرا البصرة والكوفة فى صعيد واحد فكريا وأدبيا ودينيا حتى بناء بغداد .

ويجمع لنا الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ـــ عضو مجمع اللغة العربية فى بحث له عن اللهجة العربية العامة (مائة كتاب وكتاب) بدأها من سنة ١٩١ هـ

(١) دكتور شوقى صيف : العصر العباسى ١٢١ ـــ ط دار المعارف .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية (١٩٣٠ م) ٣٥٣/١

(٣) ابن سلام : الطبقات ٤٩ .

(٤) الأغانى : ط الوزارة ٧٢/٦ .

(٥) المرزبانى : الموشح ٣٠٨

(٦) ياقوت : معجم الأدباء ٥١/١ ـــ السيوطى : المزهر ١٢٢/١ .

إلى سنة ١٣١٤ هـ وذاك فى المجلد الاول الصادر سنة ١٩٣٤ م (ص ٣٥٣ ومابعدها) . وفى المجلد الثالث من نفس المجلة يقدم لنا مائة كتاب آخرين وسبعة كتب ألفت فى قضية اللحن وماتشعب عنها من مسائل .

والظاهر أنّ تَوَقِّىَ اللحن كان من أهم المناهج ، التى كان يتلقاها التلاميذ فى المكاتب وفى خطاب الجاحظ للمعلمين إشارة واضحة لذلك ـــ يقول للمعلم « ولاتشغل قلب الصبى بالنحو إلا بقدر مايؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام .... »[١] .

وابن سلام على حق حين يثير مشكلة اللحن ، ويتحدث عنها ، ثم يتحدث عن أبى الأسود ليوقظ العلماء وينبههم للمهمة الخطيرة الملقاة على عاتقهم ، وهى مهمة تنقية اللغة من شوائب اللغة البلدية للبلديين ، كما يسميهم الجاحظ[٢] ويقرر أيضا فضل البصريين على الكوفيين فى هذا المضمار ، بل فَضَّلَهُم على المتكلمين بالضاد ، فعلماؤهم أول جنود قادوا قافلة صيانة اللغة من عبث ضياع السليقة ، وتفتت الأصالة فى النطق اللغوى ، وشيوع اللحن ، الذى يُزْرى بالرجل الكريم .

وليست قضية الانتحال ومابين الكوفة والبصرة من تنافس ومشكلة اللحن هى كل مافى المقدمة .

ألم يجعل نحاة البصرة فى طبقة دونها طبقة نحاة الكوفة ؟ أنه يقرر أن لأهل البصرة فى العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية[٣] ثم يضع نحاة البصرة فى طبقات أولهم أبو الأسود الدؤلى[٤] فيحيى بن يَعْمَر[٥] فعبد الله بن أبى اسحق[٦] فعيسى بن عمر[٧] فالخليل بن أحمد[٨] ثم يقرر أن أعلم من ورد على

---

(١) الدكتور أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ٣٢ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١٤٥/١ تحقيق عبد السلام هارون

(٣) الطبقات : ١٢ .

(٤) الطبقات : ١٢ .

(٥) الطبقات ١٣

(٦) الطبقات ١٤

(٧) الطبقات ١٥

(٨) الطبقات ٢٢

البصرة من غير علمائها المفضل محمد الضبى الكوفى[1] .

ونراه يضع الأصمعى وأبا عبيدة فى طبقة واحدة وينص على أنهما كانا من أهل العلم[2] .

ويحدد لعلماء السِّيَر منازلهم ، محمد بن أبى اسحق بن يسار عالم بالسِّير والمغازى ولكنه ممن أفسد الشعر وهَجَّنَه وحمل كل غثاء منه[3] أما الشعبى فكان ذا علم بالشعر وأيام العرب ولكن رُواة العلم كانوا يغلطون فى الشعر ولايضبط الشعر إلا أهْلُه[4] ، بينما كان قتادة بن دِعامة السَّدُوسى من وراة الفقة ، وكان عالما بالعرب وأنسابهما ـــ ويقول ابن سلام ـــ ولم يأتنا عن أحد من وراة الفقه من عِلْم العرب أصح من شىء أتانا عن قتادة[5] .

والنقاد طبقات ، فخلف الأحمر كان أفرس الناس بيت شعر ، وأصدقه لسانا ، يقول ابن سلام ـــ كنا لانبالى إذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا أن لانسمعه من صاحبه[6] بينما كان حماد الراوية غير موثوق به ، كان يَنْحَل شعر الرجل غيره ، ويَنْحَلُه غير شعره ، ويزيد فى الأشعار ، كان يكذب ويلحن ويكسر[7] .

واللافت للنظر أن ابن سلام حين تعرض لطبقة النحويين البصريين ـــ لم يفته أن يحدد ألصق صفات كل عالم حين يتعرض له ، فأبو الأسود أول من أسَّسَ العربية وفتح بابها ، ويحيى بن يَعْمَر كان مأمونا عالما ، وابن أبى إسحق أول من بعج النحو ومد القياس والعلل ، وعيسى بن عمر تتلمذ على يد ابن أبى اسحاق وكان حماد بن الزبرقان ويونس يفضلانه ، أما الخليل بن أحمد فقد استخرج من العروض واستنبط منه ومن عِلَله ، مالم يُستخرج أحد ، ولم يسبقه الى مثله سابق من العلماء كلهم[8] .

(1) الطبقات ٢٣
(2) الطبقات ٢٣،
(3) الطبقات ٧
(4) الطبقات ٦٠
(5) الطبقات ٦١
(6) الطبقات ٢٣
(7) الطبقات ٤٨ و ٤٩
(8) الطبقات انظر صفحات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ على التوالى .

ويذهب إلى أبعد من هذا فيتتبع نشوء اتجاهين فى منهج علماء البصرة ، أحدهما يتزعمه عبد الله بن أبى اسحاق وهو اتجاه القياس والاجتهاد فيه وإلاحتكام اليه ، ومعه تلميذه عيسى بن عمر ، والاتجاه الآخر مايذهب إليه أبو عمرو بن العلاء فى أنه كان أشد تسليما للعرب ، وابن سلام يعتبر أحد تلاميذ هذا الاتجاه فهو تلميذ يونس بن حبيب الذى تخرج فى مدرسة أبى عمرو بن العلاء .

وفى المقدمة يسجل ابن سلام ظاهرة سيطرة العلماء على نتاج الشعراء ، لقد أزعج ابن أبى اسحاق الشاعر الفرزدق حتى قال فيه :

لو كان عبدُ الله مولًى هَجَوْتُه ولكن عبد الله مَولَى مَوَاليا[1] .

وطعن عيسى بن عمر على النابغة ورأى أنه أساء فى قوله :

فَبِتُّ كأنى ساروتنى ضَئيلَةٌ من الرُّقْشِ فى أنيابها السُّمُّ نَاقِعُ

وقال : موضعها ناقعا[2] .

ولنقرأ المقدمة من جديد : وأول مانلحظه أن ابن سلام يأخذ بمبدأ « التحديد » فهو يضع حدا منطقيا لكل مايريد أن يبحث فيه ثم يضع « خطة بحث » يسير على هداها ومن ثَمَّ يشرع فى التفصيل .

فنراه يحدد الهدف من تأليفه ، فيقول : « ذكرنا العرب وأشعارها » ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفُرْسانها وأشرافها وأيامها ، إذ كان لايُحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ــ وكذلك فُرسانُها وساداتُها وأيامُها ــ فاقتصرنا من ذلك على مالايجهله عالم ، ولايستغنى عن علمه ناظرٌ فى أمر العرب فبدأنا بالشعر »[3] .

فهو سيذكر العرب ، وأشعارها ، وفرسانها ، وأشرافها ، وأيامها وهو لايطمع أن يأتى على أخبارهم جميعا فليس فى مقدوره أن يفعل ذلك مع قبيلة واحدة ــ إن أراد ــ فاقتصر على المشهور منهم عند العلماء ، وبدأ بالشعر وهو القضية

(١) الطبقات ١٨

(٢) الطبقات ١٦

(٣) الطبقات ٣

الكبرى التى جَنَّد الكتاب لها ــ ولكى يَخْلُصَ لهذه القضية لابد أن يزيل منها الشوائب حتى تبدو رائقة ، وماشوائب الشعر المطبوع إلا الشعر المصنوع فيحدد لنا ابن سلام طبيعة هذا الشعر فهو : (مفتعل موضوع كثير لاخير فيه ...)[1] ويسترسل فى رسم حدود هذا الشعر المصنوع حتى نضع أيدينا عليه ، ونخرجه من القضية الكبرى التى أصبح منطوقها (ليس كل شعر مصنوع شعرا) ، وهو يضرب الأمثلة ، ويكشف الستار عن الجوانب الدقيقة فى هذا الشعر ــ وينتقل منه إلى الحديث عن دور البصرة فى الكفاح لاستئصال هذا الداء ــ الذين حاولوا القضاء على داء آخر ليس أقل خطرا من الشعر المصنوع وهو داء « اللحن » .

وبعد أن يمهد ابن سلام الطريق ويشعر أنه قد أخبر القارىء بكثير من الأمور التى تخص الشعر ومشكلاته واللحن وقضيته ، والنحو ومدارسه ، ونقد العلماء للشعر ، يقول لنا : أن شعر الجاهلية والإسلام والمخضرمين قد اختلف الناس والرواة فيهم ، ولما وجد هذا الخلاف قد تشعب نظروا بعلمهم ونفاذهم فى العربية إلى هؤلاء الشعراء ، فقالوا آراءهم فى نتاجهم ، بينما قالت العشائر بأهوائها ، ومع ذلك فالناس لايثقون إلا بما يقول العلماء ، ولذا قد اقتصر ابن سلام من الفحول المشهورين على أربعين ، فَألَّفَ من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة متكافئين متعادلين .

وهذا سبب تسمية الكتاب « طبقات الشعراء » ، أى أنه جمع أقوال العلماء فى الشعراء فوجد أنهم برأى العلماء فيهم يُكَوِّنون ، طبقات متعددة كل طبقة حوت أربعة شعراء ، وكانوا عشر طبقات .

وبعد أن ينتهى من عرض خطته فى الكتاب ــ يبدأ بعرض الأُساس الذى ثارت حوله الشكوك وهو بدء الشعر ــ فالحديث عن بدء الشعر لابد أن يردف نهاية الحديث عن الشعر المصنوع ، ويتقدم ابن سلام بالإجابة عن بدء الشعر الموثوق به قائلا : لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته ، وانما قُصِّدَت القصائد وطُوِّل الشعر على عهد عبد المطلب ، وهاشم بن عبد المناف ، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتُبَّع[2] .

(١) الطبقات ــ ٤ (٢) الطبقات ٢٦

ثم أخذ يعرض شيئا من قديم الشعر الصحيح ، للعنبر بن عمرو ولدويد بن زيد ، ولأعصر بن سعد ، وللمستوغر بن ربيعة وغيرهم . أما أول من قَصَّد القصائد وذكر الوقائع فهو المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب وائل(١) ثم يقول — وكان شعر الجاهلية فى ربيعة ثم تحول الشعر فى قيس ثم آل ذلك إلى تميم فلم يزل فيهم إلى اليوم(٢) .

فى تسلسل ، يوضح ابن سلام فكرته ، بدء الشعر الصحيح ثم أول من قصد القصائد ، ثم ارتحال الشعر من قبيلة إلى قبيلة إلى أن استقر .

ويخبرنا فى استطراد جميل أن بعض الشعراء كان يتعفف فى شعره ، ولاتغريه الفواحش ، ولايبالغ فى الهجاء ، ومنهم من كان لايبقى على نفسه ويتعهر ولايستتر ، وضرب أمثلة فى الجاهلية والإسلام(٣) .

وبذلك تنتهى المقدمة ، بتسلسلها فى قضاياها ، ولو وصلت الينا هذه المقدمة مع مقدمة الكتاب الثانى — لوجدنا شيئا متكاملا وتخطيطا رائعا لعرض أفكار واضحة .

ولكن ماذا نفعل والكتاب قد حكم عليه أن يتحول جزاه إلى جزء واحد ، وتتحول مقدمتاه إلى مقدمة واحدة ؟ وهى فى صورتها الأخيرة مبتورة وتعلن عن النقص الذى بها عن طريق أسلوب ابن سلام .

فهو قد أورد طبقة شعراء القرى العربية وأصحاب المراثى واليهود ولم يُشِر إلى سبب وجودهم ، وفيهم الطبقة التى تنفسح لوجودها جنبات الكلام ، وهى طبقة اليهود ، ولأستريح إطلاقا إلى فرض أن ابن سلام — بدقته هذه فى التعبير عما يجيش فى صدره — يغفل الإشارة إلى هذه الطبقات ، وذلك لأنه أوضح لنا فى المقدمة فيقول : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا ، فألّفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط لكل طبقة متكافئين معتدلين »(٤) وهو صادق فعدد الشعراء الجاهليين أربعون كما يقول

(١) المصدر السابق ٣٩

(٢) المصدر السابق ٤٠

(٣) المصدر السابق ٤١ ومابعدها .

(٤) ابن سلام : الطبقات ٢٢

وعددهم إسلاميين أربعين أيضا ، على الرغم من ضياع ترجمة أوس بن مغراء من الطبقة الثالثة ، والعجاج من الطبقة التاسعة .

وهو يشير إلى شيء دقيق ، قد يغيب عمن يتعرض لتقسيم أى فئة إلى طبقات ، يغيب عنه أن يوضح أن أول اسم فى الطبقة ليس هو الأول ، لأنه « لابد من مبتدأ »(١) فهل مع ذلك نصدق أن هذه المقدمة غير مبتورة ؟ أو أنها مقدمة واحدة ، وهذا لن يضير ابن سلام فى شيء ، ولكن يضيره أن نقرر أن مقدمته على دقتها وتنظيم الأفكار بها ، متداخلة وفيها فقرات محشورة حشرا بلا مبرر ، لو رفعت لكان خيراً . .

(١) الطبقات ٥٠

رابعا : منهج ابن سَلَّام فى الطبقات .

أولا : طبقات الشعراء الجاهليين .

ثانيــــا : طبقة أصحاب المراثى .

ثالثـــا : طبقة شعراء القرى العربية .

رابعـــا : طبقة شعراء يهود .

خامسا : طبقات الشعراء الإسلاميين .

أولا : طبقات الشعراء الجاهليين

مسألتان تحدقان بنا ونحن فى طريقنا إلى طبقات الشعراء الجاهليين والحديث عنها :

المسألة الأولى : مدى التزام ابن سلام بالقضايا التى نادى بها فى المقدمة ، وتطبيقها على مادة الكتاب .

والثانية : مدى صلاحية اسم « الجاهليين » وانطباقه على الشعراء الموجودين فى الطبقة .

وقضية الشعر المصنوع أهم قضية تبناها ابن سلام وقام بشرحها بإسْهاب متعقبا وقائعها موضحا مدى خطورتها .

ونلاحظ أن مجهوده لم يتوقف فيها على المقدمة بل تعداه إلى شعر شعراء الطبقة أنفسهم وخاصة الشعراء الجاهليين .

يقول فى الطبقة الأولى :

« أخبرنى يونس بن حبيب : قال : قيل لذى الرمة : من أحسن الناس وصفا للمطر ، فذكروا قول عَبيد :

دَانٍ مُسِفٌّ فويق الأرْض هَيْدَبهُ   يكاد يَدْفَعُه من قام بالرَّاحِ
فمن بِنَجْوَتِه كمن بِمحَفِلـهِ   والمستكن كَمَن يَمَشْي بِقِرْواحِ

فجعلها يونس لعبيد ، وعلى ذلك كان إجماعنا ، فلما قدم المفضل صرفها إلى أوس بن حَجَر[1] والمفضل الضبى هو الذى يقول فيه ابن سلام « وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبى الكوفى »[2] فمكانته ومنزلته

(١) ابن سلام ــ الطبقات ٩٢ ، وdان : سحاب قريب من الأرض ، مسف : من أسف الطائر إذا دنا من الأرض دنواً شديداً ، والهيدب : ماتدلى منه كهُدْب الثوب ، يخيل للمرء لشدة دنوه أنه لو استوى قائما لنالته يده ، والنجوة : نجوة الوادى ، أعلى مكان فيه لايصل إليه السيل ، والمحفل : حيث يحتفل السيل أى يجتمع ماؤه ، والضمير فى « نجوته » و « محفله » للوادى ، والمستكن : الذى استقر فى بيته ، والقرواح : الأرض البارزة .

(٢) الطبقات ــ ٢٣

عند ابن سلام لم تمنعاه من أن يذكر له أنه أنحل أوس بن حجر قصيدة ليست له .

وفى الطبقة الثالثة يقول أبو خليفة : أخبرنا ابن سلام ،قلت ليونس . كيف تقرأ « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » (النمل — ٢٢) فقال : قال الجعدى ، وهو أفصح العرب :

من سَبَأَ الحاضرين مَأرِبَ إذْ يَبْنُونَ من دون سَيْله العَرِماَ

وهو على قراءة أبى عمرو ويونس ، فجعل يونس القصيدة للجعدى ، وسمعت أبا الورد الكلابى سأل عنها أبا عبيدة ، فقال : لأمية ، ثم أتينا خلفا الأحمر فسألناه فقال : للنابغة ، وقد يقال لأمية(١) .

وفى الطبقة الرابعة يقول عن عدى بن زيد ، أنه كان يسكن الحيرة ويراكز الريف(٢) فلان لسانه ، وسهل منطقه فحُمل عليه شيء كثير وتخليصه شديد ، واضطرب فيه خلف الأحمر ، وخَلطّ فيه المفضل فأكثر(٣) .

وفى الطبقة الخامسة يقول عن الأسود بن يَعْفُر انه له شعر جيد ولا كهذه (أى كداليته التى مطلعها : نام الخلى ومأأحسُّ رُقَادى ...) ويقول وذكر بعض أصحابنا أنه سمع المفضل يقول : له ثلاثون ومائة قصيدة ، ونحن لانعرف له ذلك ولا قريبا منه ، وقد علمتُ (أى ابن سلام) أن أهل الكوفة يروون له أكثر ، مما نروى ، ويتجوزون بأكثر من تجوزنا ، ويقول : وأسمعنى بعض أهل الكوفة شعرا زعم أنه أخذه عن خالد بن كلثوم ، يرثى به حاجب بن زرارة ، فقلت له : كيف يروى خالد مثل هذا ، وهو من أهل العلم ، وهذا شعر متداع خبيث ؟ فقال : أخذناه من الثِّقَاتِ ونحن لانعرف هذا! ولانَقْبَلُه(٣) .

وفى الطبقة الثامنة ، يقول : حدثنى مِسْمِعَ بن عبد الملك وهو كرْدِينُ قول امرىء القيس :

---

(١) الطبقات ١٢٦ و ١٢٧

(٢) يرى الأستاذ شاكر أنها « يراكن » وليست « يراكز » .

(٣) الطبقات ١٤٠ » »

(٤) المصدر السابق ١٤٧ و ١٤٨

بكى صاحبى لما رأى الدَّرْبَ دونه   وأيقن أَنَّا لاحِقَان بِقَيْصَرا

قال : صاحبه الذى ذكر : عمرو بن قميئة ، وبنو قيس ، تَدَّعى بعض شعر امرىء القيس لعمرو بن قميئة وليس ذلك بشى[1] .

إذاً ، حديث ابن سلام لقضية الشعر المصنوع لم يكن تحمسا ولا اندفاعا .

وعن المسألة الثانية فى مدى صلاحية اسم « الجاهليين » وانطباقه على الشعراء الموجودين فى الطبقة :

يقول ابن سلام (فَفَصَّلْنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا فى الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فَنَزَّلْناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة وماقال فيه العلماء[2] .

وأمام هذا التصريح انتظرناه أن يجعل الجاهليين طبقة والمخضرمين أخرى ثم الاسلاميين ، ولكننا وجدناه فى الطبقة الثانية قد أورد فيها كعب بن زهير والحطيئة المُخَضْرمين ، مع أوس بن حجر وبشر بن أبى خازم الجاهليين ، والطبقة الثالثة كلها مخضرمون ، والسابعة كلها جاهليون ، والثامنة بها النَّمْر بن تولب المخضرم ، والتاسعة بها مخضرمان وجاهليان ، والعاشرة بها ثلاثة مخضرمون وجاهلى .

ولم يقتصر الأمر على الجاهليين وطبقاتهم فقط ، بل تعداه إلى الاسلاميين فقد جعل فى الطبقة الثالثة منهم كعب بن جعيل ، ويقال إنه شهد الجاهلية ، وعمروُ بن أحمر الباهلى ، وهو مخضرم لاشك فيه ، وسحيم بن وثيل الرياحى وهو مخضرم أيضا ، وفى الطبقة الرابعة حُميد بن ثور وهو مخضرم أيضا ، وفى الخامسة أبا زبيد الطائى وهو مخضرم ، وفى السادسة بشامة بن ثور الغدير المرى وقراد بن حنش — وهما جاهليان فيما يُعْرَفُ[3] .

---

(١) ابن سلام : الطبقات ١٦٠

(٢) الطبقات ٢٤

(٣) مقدمة التحقيق ص ٦٥ ، قال الأستاذ شاكر فى المقدمة « وفى السادسة من الإسلاميين ذكر بشامة ابن الغدير ، وقراد بن حنش ، وهما جاهليان فيما نعرف ، فلعل ابن سلام عَدَهُما من المخضرمين لخبر بلغه عن إدراكهما الاسلام وان لم يسلما » .

فهل بعد هذا ينطبق اسم طبقات الجاهليين ومعهم الشعراء الستة عشر المخضرمون ؟ .

تجيب بالايجاب مع التنويه بدقة هذا الصنيع .

فابن سلام لم يعتبر الشاعر الذى عاش ماعاش فى الجاهلية ثم أدرك الاسلام ، أنه انقلب رأسا على عقب فى نتاجه الشعرى ، فلم يحدث هذا فى تاريخ المسلمين ولا فى تاريخ غيرهم . بل مضى عهد الخلفاء الراشدين ، والمسلمون يمرون فى مرحلة انتقال من العصر الجاهلى وآثامه إلى العصر الإسلامى وضيائه ، ولذا لانجد لعصر صدر الإسلام الملامح الخاصة به التى تفصله فصلا تاما عن العصر الجاهلى ، لأن الشعراء بُهِتُوا أمام إعجاز القرآن ، وراحوا يقبلونه فى إعجاب واندهاش وُيَرجِّعون بلاغته وبيانه ، وهم يشعرون أنهم عاجزون أمامه .

فابن سلام محق حين يجعل المخضرمين فى عداد الجاهليين — لأنّهم إمَّا لم يقولوا شيئا فى الإسلام فتراثهم جاهلى فى معظمه ، وإمَّا لضعف شعرهم فى الإسلام .

ويكون ابن سلام ، فقد واصل حديثه عن الشعر المصنوع بعد أن عرض له فى المقدمة ثم أدمج المخضرمين مع الجاهليين ، حين شعر أنهم جاهليون فى شعرهم بالرغم من اسلامهم .

فلا مبرر لافرادهم بطبقة خاصة بهم ، وعبارة ابن سلام التى ورد فيها لفظ المخضرمين ليست من الناسخ ، ولكنها من ابن سلام ، ووردت لتشير اليهم كواقعا موجودا فى الكتاب ، وعندما ظننا أنها كانت تشير الى طبقة خاصة للمخضرمين ثم بترت كنا مخطئين ، وذلك بعد أن استعرضنا الطبقة الجاهلية من الشعراء . وخيرا فعل ابن سلام الناقد البصير .

ولم يضع ابن سلام الشعراء فى طبقات إلا ظَنًّا منه أنه بهذا يكون قد وضعهم فى إطارهم الأخير ، وفى أحسن موضع يظهرون منه لمن يحب دراستهم — وحتى المختارات التى أوردها للشاعر اعتمدت أساسا على تطبيق فكرة معينة ذكرها هو فى معرض الحديث عن الشاعر ، فيسمى الأبيات المُقَلَّدات ، أى روائع شعر الشاعر فى شىء يجيده هو ، وَصْفاً أو هِجَاءً أو غَزَلًا .... والدليل على ماأقول أنه

لم يجمع كل الشعراء الموجودين ، بل اكتفى بأربعين شاعرا وجعلهم عشر طبقات .

فى الطبقات يبدأ ابن سلام بعرض أصحاب الطبقة الأربعة ، مشيرا إلى أن الأول منهم ليس زعيمَهم ولا أفضلهم ، ولكنها الضرورة ، وهو يقدم لنا شهرة الشاعر ، أولا : فهذا النابغة ، وهذا الأعشى ، وإذا لم يجد إلا اسم الشاعر مجردا ، ذكره كما هو ، فهذا امرؤ القيسُ وهذا زهير وهذا بِشْر وهذا أَوْسٌ وهذا كعب وهذا الشماخ وهذا لبيد ...الخ .

ثم هو بعد ذلك يردف الشهرة بالاسم الحقيقى ، فالأعشى ، اسمه ميمون ، والنابغة اسمه زياد ، وأبو سلمى والد زهير اسمه ربيعة ... الخ وبعد ذلك يأتى بالكنية ، فالنابغة يكنى أبا أمامه ، والأعشى أبا بصير ، والحطيئة أبا مليكة ، والنابغة الجعدى أبا ليلى ، وخويلد بن خالد كنيته أبو ذؤيب ، ثم لايكتفى بذلك بل يصل بسلسلة النسب إلى قبيلة الشاعر ، فامرؤ القيس الكندى ، هو ابن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مرتِّع بن معاوية بن كندة ، وأبو ليلى ، نابغة بن جعدة ، هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، وهكذا ... .

من هذه السلسلة نعرف القحطانى من العدنانى ، والتيمى من القيسى من الربعى ، ونجد تفسيرا لكثير من الإشارات التى ترد فى شعر الشاعر ولولا نسبه لما عرفنا لها سببا .

فابن سلام يضع جزءا كبيرا من تاريخ حياة الشاعر أمامنا بذكر سلسلة نسبه ، ولاغرو فالعصر كان يموج بالاهتمام بالحديث ، ورجاله وطبقات المحدثين والفقهاء ، وأخذ العلماء يكشفون الستار بعلم الجرح والتعديل عن كثير من أسرار المُحَدِّثين — ومادليلهم فى هذا إلا سلسلة النسب ، فلا بأس أن تنتقل العدوى إلى الأدباء والنقاد ، ويكون فى انتقالها خير عميم على الأدب ودراسته وتاريخه .

وبعد أن يترك ابن سلام نسب الشاعر ، يقدم لنا آراء العلماء والأمصار فيه فعلماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حُجْر وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى وأهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيرا[1] وهو يورد أيضا الرأى الذى لايوافق عليه كرأى ابن أبى أسحاق حين يقول : أشعر أهل الجاهلية مرقش ، وأشعر أهل الإسلام كثير ، ولم يقبل هذا القول ولم يُشَيِّع[2] .

ثم يذكر ماوجد لامرئ القيس من حجة ، فيقول : فاحتج لامرئ القيس من يقدمه ، فقال : ماقال مالم يقولوا ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، استحسنتها العرب ، واتَّبعته فيها الشعراء : استيقاف صحبه ، والبكاء فى الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ ، وشَبَّهَ النساء بالظِّباء والبَيْض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصى ، وقَيَّد الأوابد ، وأجاد فى التشبيه ، وفصل بين النسيب وبين المعنى[3]

وهو يفعل مثل هذا مع النابغة فيذكر قول من احتج له ويورد له بعض الأخبار التى اختلف فيمن قالها ، ثم ينتقل إلى الأعشى ويصف شعره ويذكر بعض الأقوال فيه ، وبعد أن يستطرد استطرادا طويلا يعود قائلا : واستحسن الناس من تشبيه امرىء القيس قوله : (كَأَنَّ قلُوبَ الطَّيْر رطباً ويَابِساً ...) ويأخذ فى ضرب الأمثلة لأبيات امرئ القيس المفردة .

وهذا هو الشكل العام للطبقة الأولى ، أمَّا إذا فتشنا بين السطور فسنجد أن ابن سلام قد تعرض فى لمحات إلى قضية كبرى تهم النقد وليست أقل خطورة من قضية الشعر المصنوع هى : **قضية السرقات الشعرية** .

ويتركها ليتعرض بعدها فى سرعة خاطفة لناحية تمس الشعر وروايته حين يصدر عن الرواة العلماء وهم غير الرواة الشعراء يقول : وجدنا رواة الشعر يغلطون فى الشعر ولايضبط الشعر إلا أهله[4]

---

(١) ابن سلام : الطبقات ٥٢

(٢) المصدر السابق والصفحة

(٣) المصدر السابق ٥٥

(٤) ابن سلام : الطبقات ٦٠

وحين ينتهى من مسه الرفيق لهذه القضية ، ينتقل الى قضية أخرى أمس بالنقد من قضية رواية العلماء للشعر — وهى عيوب الشعر الموسيقية : الزحاف ، السناد ، الإيطاء — الإكفاء وهو الإقواء .

فالأمر لم يتوقف على المقدمة يبث فيها ابن سلام تصوراته ثم يفزع إلى مادة الكتاب ، ولكنه يتصل بالنقد من كل جانب ويأخذ بتلابيب مشكلاته ، كلما سنحت مناسبة لمعالجتها أو الاشارة إليها أو الإشادة بها فعل بلا تردد .

وإذا كان ابن سلام قد عَرَضَ لمشكلة الشعر المصنوع عَرْضًا مُسْهَباً ، وَتَقَصَّاها تقصيا وافيا ، فليس من السهل أن ندعى هذا الإدعاء إزاء مشكلة قضية السرقات : فإنه قد قال :

وأخبرنى خلف : أنه سمع أهل البادية من بنى سعد يروون بيت النابغة للزبرقان بن بدر فمن رواه للنابغة قال :

تَعْدُو الذِّئَابُ عَلى مَنْ لا كِلَاب لَه   وتَتَّقِى مَرْبِضَ المستنفر الحَامِى

وهى الكلمة التى أولها :

قالت بنو عامر ، خَالُوا بَنِي أَسَد   يابُؤْسَ للجهل ضَرَّارا لِأَقْوَامِ

ومَنْ رواه للزبرقان بن بدر قال :

وإن الذئاب تُرعى من لاكلاب له   وتحتمى مَرْبِضَ المستنفر الحامى

ويروى « تتقى » وهذا البيت فى قوله ... « أبْلغ سَرَاةَ بنى عوف مُغَلْغَلةً »

وسألت يونس عن البيت ، فقال هو للنابغة ، أظن الزبرقان استزاده فى شعره ، كالمتمثل حين جاء موضعه ، لا مُجْتَلِبا له ، وقد تفعل ذلك العرب لايريدون به السرقة ، قال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى :

تلك المكارمُ لاقَعْبانِ من لَبنٍ   شِيبَاً بِمَاءٍ فَعادا بعد أَبْوالَا

وقال النابغة الجعدى ، فى كلمة فخر بها ، ورَدَّ فيها على القشيرى :

فإن يكن حاجِبٌ ممن فَخَرْتَ به   فلا يكن حاجبٌ عَمّاً ولا خَالَا

هلا فخرت بيومَىْ رَحْرَحَان وقد   ظَنَّت هَوازِنُ أن العِزَّ قد زالا

(تلك المكارم لا قَعْبَانِ من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا)

ترويه عامر للنابغة ، والرواة مجمعون أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله : وقال غير واحد من الرجاز :

∴ عند الصَّبَاح يَحْمدُ القَوْمُ السُّرَى ∴

إذا جاء موضعه جعلوه مثلا ، وقال امرؤ القيس :

وُقوفا بها صَحْبِى علىَّ مَطِيَّهمُ   يقولون لاتَهْلِكْ أسىً وتَجَمَّلِ

وقال طرفة :

وُقُوفاً بها صحبى علىَّ مَطِيَّهمُ   يقولون لاتهلك أسىً وتَجَلَّدِ(١)

هذه لمحة ابن سلام لمشكلة السرقات ، ومنها نفهم مبدأ واضحا عنده ، وهو محاولته تحديد معنى المصطلحات . وفى معالجته لقضية الشعر المصنوع لمحنا هذه المحاولة ـــ محاولة وضع الحدّ للمعنى ـــ وإذا استرسلنا فى قراءة كتابه اعترضتنا هذه الخاصية الفكرية عند ابن سلام .

ولاندرى لماذا لم يعرج ابن سلام على قضية السرقات بشىء من الدرس والمناقشة ، فمما لاشك فيه أنها كانت شاغل المشغولين بالأدب والنقد آنذاك . وقد أثيرت بحدة حول أبى تمام معاصره المتوفى (٢٣٠ هـ) والبحترى وغيرهما من الشعراء .

لقد اكتفى بأن ينبه أن هناك فارقا كبيرا بين السرقة والمثل السائر ، وأن بيت الشعر حين يشيع وينتشر على ألسنة العامة والخاصة ، يكون ملكا لهم جميعا ، حتى اذا استخدمه الشاعر فلا نتهمه بالسرقة .

والمسألة الثانية : التى يثيرها ، هى ملاحظته على الرواة العلماء ، فهم فقهاء خبراء باللغة ، وشعرها ، وشعرائها وغريبها ولكنهم ليسوا شعراء ، لأنهم قد يغلطون فى الشعر ولايضبطه إلا أهله أى الرواة الشعراء ، أو الشعراء أنفسهم ، ويضرب لنا مثلا بالشعبى مع أنه كان ذا علم بالشعر ... وأيام العرب إلا أنه روى عنه بيت :

فَأَلْفيْتُ الأمانَةَ لَمْ تَخُنْهَا   كذلك كان نُوحٌ لايخون

---

(١) ابن سلام : الطبقات ٥٧ ـــ ٥٩

وهو بيت فاسد فى راى ابن سلام ،

وروى عنه شيء يحمل على لبيد :

باتت تَشَكَّى إلىَّ النَّفسُ مُجْهشَةً   وقد حملتك سبعا بعد سبعين

فإن تعيشى ثلاثا تَبْلُغِى أمَلًا   وفى الثلاثِ وَفَاءٌ للثمانيـن

ويقول ابن سلام : ولا اختلاف فى أن هذا مصنوع تُكَثَّرُ به الأحاديث ويستعان به على السهر عند الملوك ، والملوك لاتستقصى(1) .

فهو بهذا يضيف إلى أسباب وضع الشعر ، سببا آخر ، وهوأن يوضع للاستعانه به على السهر عند الملوك ، ثم يردفها بملاحظة دقيقة قد تكون سببا لظهور الملاحظة الأولى ، وهى أن الملوك لاتستقصى ، ولماذا تستقْصى ؟! .

وحكم ابن سلام قد يظلم بعض العلماء والرواة الثقات — وهو يشعر بهذا — فيخرج منه من لاينطق عليه الحكم ، مثل قتادة بن دعامة السَّدُوسى ، يقول عنه إنه كان من رواة الفقه عالما بالعرب وبأنسابها ولم يأتنا عن أحد من رواة الفقة من علم العرب أصح من شيء أتانا عن قتادة(2) .

والمسألة الثالثة : هى تعريف **عيوب الشعر الموسيقية** ، ووضع حد يعرف كل عيب **فالزحاف** ، هو أن ينقص الجزء عن سائر الاجزاء ، فينكِرُهُ السمع ويثقل على اللسان وهو مع ذلك جائز ، والأجزاء مختلفة ، فمنها مانقصانه أخفى ومنها مانقصانهُ أشنع ، قال الهذلى :

لعلك إمّا أمّ عمرو تبدلت   سواك خليلا شاتمى تستخيرها

فهذا مزاحف فى كاف« سواك»(3) وهى خَفِيٌّ ، .....

والإقواء : وهو الإكفاء مهموز وهو أنْ يختلف أعراب القوافى فتكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة أو منصوبة ، وهو فى شعر الأعراب كثير ، ودون الفحول من الشعراء ، ولايجوز لِموَلَّد لأنُهم قد عرفوا عيبه ، والبدوى لايأْبَه له فهو أعذر(4) .

---

(1) الطبقات ٦٠ و ٦١

(2) الطبقات ٦١

(3) المصدر السابق ٦٨

(4) المصدر السابق ٧١

والإيطاء : وهو أن تتفق القافيتان فى قصيدة واحدة ، فإن كان أكثر من قافيتين فهو أسمج له ، وقد يكون ، ولايجوز لمولّد إذ كان عنده عيبا ، فاذا اتفق اللفظ واختلف المعنى فهو جائز .

والسناد : وهو أن تختلف القوافى فى نحو « نَقِيبٌ ، وَعَيْبُ ، وقَرِيبُ ، وشَيْبٌ[1] .

ونلحظ فى تعريفه للإقواء ، أنه ألقى علينا بفكرة عارضة ، هى دور معرفة الكتابة فى تلاشى عيوب الشعر ، فَسُحَيم بن وثيل الرياحى يقول :
(فما بَالي وبَال ابنِ اللّبُونِ) ، ثم يقول : وقد (جَاوَزْتُ رأسى الأَرْبَعين)[2] والأعرابى لايلاحظ هذا الفارق إلا إذا كتبه ، أو دوَّنه عنه راوٍ ولذا كثر الإقواء فى شعرهم . ويدخل ابن سلام فى دائرة حكمه طائفة أخرى من الشعراء يعرفون الكتابة أو يكتب لهم شعرهم ولكنهم دون مرتبة الفحولة فى الشعر وكأنه وجد لهم العذر .

وهذا الذى أجازه للأعرابى وللشاعر المفحم ، لايجيزه للشاعر المولد ، لا لأنه يعرف الكتابة ، ولكن لأن الحضارة رققت حسه ، وأرهفت شعوره ، وهذبت ذوقه فلا عذر له .

وابن سلام حين يقرر فى المقدمة أن (للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات)[3] كان يقصد بالثقافة معرفة عيوب الشعر ، والسرقات ، والمصنوع من الشعر ، ومصادر رواية الشعر ومبلغ توثيقها وتوهينها ....

وفى آخر الطبقة الأولى ، من طبقات الجاهليين يورد ابن سلام مختارات لما استحسنه الناس من التشبيه عند امرئ القيس وكأنه يشاركهم رأيهم فى هذا ، ويقصد « بالناس » ، العلماء المهتمين بالشعر[4] كما يستعمل الفقهاء اصطلاح (الجمهور) .

---

(١) المصدر السابق ٧٥ .
(٢) الطبقات ٧٢
(٣) الطبقات ٥
(٤) المصدر السابق ٨١ ومابعدها .

وهو لايميل للسرد المجرد من الملاحظات الفنية فحين يأتى بأبيات امرئ القيس يتوقف ليذكر أن النقاد وازنوا بين امرئ القيس فى قوله (فيا لك من ليل ...) وقول النابغة (فإنك كالليل الذى هو مدركى) ويقرر أن بعض الأشياخ زعموا أن بيت النابغة أحكمهما(١) .

ويتوقف عند قول امرئ القيس :
« ترائبها مصقولة كالسَّجَنْجَلِ » ليشير إلى أن السجنجل هى المرآة بالرومية(٢) .

ويشير أيضا إلى أن النقاد قد اخذوا على امرىء القيس قوله :

إذا ماالثريا فى السماء تَعَرَّضَت   تَعَرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المُفَصَّلِ

لأنهم أنكروا تعرض الثريا فى السماء ، وقالوا : الثريا لاتَعَرَّضُ ، وقال بعض العلماء إن امرأ القيس عنى الجوزاء ، وقد تفعل العرب بعض ذلك ، قال زهير :
فَتُنْتَجُ لكم غِلْمَانَ أَشْأَمَ ، كُلُّهُمُ   كَأَحْمَرِ عَادٍ ثم تُرْضِعُ فَتَفْطِمِ

يعنى أحمر ثمود ، والواضح أنه يميل إلى رأى العلماء الذين خرجوا قول امرئ القيس وقول زهير بن أبى سُلمى(٣) .

وقد حرمنا ابن سلام من معرفة سبب اختياره لهذه الأشعار وتفضيله للتشبيهات ، فما كان أحوجنا أن نعرف ذوقه الخاص — وقد يقال إن الأختيار قطعة من الرجل ، وهذه القاعدة لاتسلم لابن سلام لأن معظم ماأورده من شعر إنما هو تسجيل لآراء من سبقه من علماء ورواة .

ولاتختلف الطبقة الثانية عن الطبقة الجاهلية الأولى فى المنهج ، ففيها أربعة شعراء بأنسابهم كاملة ، ولوجود كعب بن زهير بها اقتضى الأمر أن يعرج ابن سلام على قصته الشهيرة مع الرسول ﷺ وماقيل فيها ، مما اقتضى معه استطرادا ، كما اقتضى وجود الحطيئة استطرادا آخر يذكر فيه قصته المشهورة مع أشراف وسادة قريش وخاصة مع عمر بن الخطاب والشاعر الزبرقان بن بدر .

---

(١) المصدر السابق ٨٦

(٢) ابن سلام : الطبقات ٨٨

(٣) المصدر السابق ٨٩

وقد اختفت ظاهرة الأبيات المختارة التى ظهرت فى الطبقة الأولى ــ ذلك إذا اعتبرنا أن الأبيات التى وردت من مستلزمات الأخبار وتتمة لها ، ويجوز أنها وجدت ثم ضاعت مع الخرم ، كما ضاعت أخبار بشر بن أبى خازم كلها ومعظم أخبار أوس بن حجر التغلبى ــ وهذا مانلاحظه فى الطبقة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ، ثم تظهر فى الثامنة بصورة أقل من سالفتها فى الطبقة الأولى ثم تختفى فى التاسعة لتظهر أيضا فى الطبقة العاشرة ولكن كما ظهرت فى الطبقة الثامنة .

وحين نمر ببقية الطبقات سنلحظ نفس المنهج الذى وضعه ابن سلام لنفسه فى كل طبقة ، والموجود بوضوح وقوة فى الطبقة الأولى . وتتأرجح الأخبار كثرة وقلة حتى تصل فى الطبقة السابعة إلى خبرين .

فالقوة والحماس الذى لمحناه هما فى الطبقة الأولى أخذا يخفتان ويتراخيان ويصلان إلى أدنى درجاتهما فى الطبقة السابعة ، وإذا اعتبرنا أن الخبرين ملحقان بأصل ذكر النسب ، أصبحت الطبقة السابعة لاقيمة لوجودها إذ لم يعدْ عمل ابن سلام فيها ذكر أسماء شعراء الطبقة فقط .

وهنا يظهر لنا مبدأ الطبقات مرة ثانية ــ فها نحن نطالب ابن سلام بمزيد من الأخبار لنحقق التوازن الخبرى بين الشعراء ، وابن سلام لايجد مايسد به النقص لأنه ضيق على نفسه وألزمها وضع الشعراء فى طبقات وماأغناهم عن مثلها .

وليس الكتاب فى طبقات لشعراء الجاهليين فقط ، ومالم نجده فيها قد نجده فى طبقة أصحاب المراثى ، أو طبقة شعراء القرى ، أو شعراء يهود .

ثانيا : طبقة أصحاب المراثى

ويقول عنهم ابن سلام : « وصيرنا أصحاب المراثى طبقة بعد العشر طبقات »(١) وهى تشرك مع قانون الطبقات العام فى أنها : رباعية الشعراء « وهم متمم بن نُوَيرة ، والخنساء وأعشى باهلة ، وكعب بن سعد(٢) .

---

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ٢٠٣

(٢) الطبقات ٢٠٩

وتختلف عن الطبقات ، بطبيعتها الخاصة وخروج أول شعرائها عن القاعدة التى قررها ابن سلام من كتابه وهى « وليس تبدئتنا واحدا فى الكتاب نحكم له ، ولابد من مبتدأ »(١) ذلك لأن تبدئة متمم بن نويرة مقصودة هذه المرة . يقول ابن سلام « والمقدم عندنا متمم بن نويرة »(٢) .

ونتساءل أمَا كان لابن سلام أن يدمج هؤلاء الأربعة فى طبقة زملائهم الجاهليين والمخضرمين . ولاسيما أن القاعدة تنطبق عليهم ؟ .

ويجيب الاختيار نفسه ، فمن الظلم أن يقرن هؤلاء الشعراء بزملائهم ، فهم قد اتفقوا معهم بشاعريتهم واختلفوا عنهم بنكبتهم الأليمة ، فلم يحتملوا ألم الفقد ، وصدمة الحرمان وصلابة الموت ، فَهُرِعوا إلى اللغة الرحيبة ، يُنَغِّمُون أحزانهم على أوتارها ويبثونها أنينا باكيا .

وكانت اللغة وفية لهم فأعطتهم جانبها الرقيق ، بألفاظها الهادئة الداكنة وأُنغامها الساكنة الحزينة ، فكانت قصائدهم الراثية .

وشعراء المراثى هم شعراء أجادوا البكاء ووجدوا فى الحزن سلوى ، وفى الرثاء نجاة من الموت غَمًّا ، فهم ينقذون أنفسهم من الموت ، بالموت مع أعزائهم . فمن الظلم أن نعتبرهم مجرد شعراء مرهفى الحس ، ولكن يجب أن يفردوا ويصيروا طبقة بذاتها ، لأنها أخلصت لفن بذاته ، والأمثلة على حالاتهم موجودة بوفرة فى أدبنا فامرؤ القيس يبرع فى الوصف ، والنابغة فى الاعتذار ، وزهير فى الحكمة ، والأعشى فى الخمر ، وفى الإسلاميين نجد الغزلين والمتزهدين والمتفلسفين .

فأمر ملموس أن يخلص الشاعر لفن معين ، يحبه ويتجاوب معه ، ويطول نَفَسُه فيه ، ومهما قال فى بقية أغراض الشعر ، فهو يأتى عند غرض منه ، ويتوقف متريثا يحقق ذاته ، ويتجاوب مع فنه مظهرا خصائصه الفردية ، ومميزاته الشخصية ، فليس للشعراء قاعدة تجمعهم فى صعيد واحد ، ولو قالوا جميعا فى فن واحد وقاعدتهم الوحيدة هى الفروق الفردية بين القدرات الفنية .

---

(١) المصدر السابق ٥٠

(٢) المصدر السابق ٢٠٤

وابن سلام ناقد بصير مُدَقِّق حين ينظر إلى متمم وزملائه نظرة خاصة ، بكونهم أصحاب فن واحد برعوا فيه لظروف واحدة جابهتهم وشاعرية واحدة ملكت عليهم نفوسهم .

وليس فى الطبقة جديد فى منهجها سوى ملاحظتين برزتا فى الحديث عن متمم ، أولاهما التى أشرنا إليها وهى التنويه بأن ذكر متمم فى أول القائمة مقصود ، والثانية حرص ابن سلام على إيضاح رأى البصرة وعلمائها فى متمم بن نويرة وقصته ، وكأنه يقرر الرأى الأخير فى مسألة قتل خالد بن الوليد له يقول : والمقدم عندنا — متمم بن نويرة — ويكنى أبا نهشل — رثى أخاه مالك بن نويرة وكان قَتَلَهُ خالد بن الوليد بن المغيرة ، حين وجهه أبو بكر ، رضى الله عنه ، إلى أهل الردة ، فمن الحديث ماجاء على وجهه ، ومنه ماذهب معناه علينا ، للاختلاف فيه . وحديث مالك ، مما اختلف فيه ، فلم نقف منه على مانريد ، وقد سمعت فيه أقاويل شَتَّى ، غير أن الذى استقر عندنا أن عمر أنكر قتله ، وقام على خالد فيه وأغلظ له ، وأن أبا بكر صَفَحَ عن خالد وقَبِل تأَوُّلَهُ[1] .

وزواج خالد بن الوليد بزوج مالك ، أدخل عنصرا حساسا فى القضية ، وأشعل حولها اللغط ، ومن هنا سمع فيها ابن سلام أقاويل شتى وعلى الرغم من وضع ابن سلام للفصل الأخير لقصة متمم ، فإن منهجه العلمى يمنعه من أن يتعسف الطريق ، ويتصدى الركب ، فنراه يعرض ماوجد من رأى فى حيدة ، وبعد أن ينتهى من معالجة القصة يقول : وبكى متمم مالكا فأكثر وأجاد[2] فهو يطبق عليه قاعدته ، دليل الفحولة فى الشعراء ، كثرة جيدهم وجودهم كثيرهم فيما ينتجون من شعر .

وعند الخنساء اختفت آراء ابن سلام ، ورُوحُه ، واقتصر مجهوده فيها على أن قال : أنها بكت أخويها صخرا ومعاوية ، فقالت فى صخر كلمتها التى تقول فيها ... (وذكر لها بيتا) وقالت فى معاوية ... « وذكر بيتاً » قال : ثم قالت فى صخر الكلمة الأخيرة وذكر بيتا (أَمِنْ حَدَثِ الأيَّام عَيْنُكِ تَهْمُلُ ...) .

(١) ابن سلام : الطبقات ٢٠٤

(٢) المصدر السابق ٢٠٩

وشبيه بهذا حدث مع أعشى باهلة الذى رثى المُنْتَشر بن وهب الباهلى ، قتيل ابن الحارث بن كعب فقال فى كلمته ... (وذكر له ستة أبيات)[1] وأيضا فعل مع كعب بن سعد الغنوى والذى رثى أخاه أبا المغوار بكلمة قال فيها ..« وذكر له سبعة أبيات »[2] .

ولن نثقل على ابن سلام وكفانا أنه نبهنا إلى ضرورة ملاحظة ميول الشاعر إلى غرض فنى معين لاستعداده ، أو لظروفٍ وُضِعَ فيها هيأته للتمكن من فن بذاته ، بالإضافة إلى أنه قرر رأى البصرة فى قضية قتل خالد لمالك ، واختلاف رأى أبى بكر وعمر — فيما أتى خالد — من عفو أبى بكر وتشدد عمر .

ولننتقل إلى طبقة شعراء القرى العربية .

ثالثا — طبقة شعراء القرى العربية

أَطْلَعَنَا ابن سلام على دقة فهمه لتأثير عامل الزمن على الشعراء ، بإدماجه الشعراء المخضرمين بالجاهليين واعتبارهم طبقة واحدة ، لأن عصر الإسلام كان مرحلة انتقال من تقاليد إلى تقاليد ، وللتقاليد الجاهلية السلطة الكبيرة والنفوذ الأعظم مما جعل مرحلة الانتقال مرحلة دقيقة تحتاج إلى حاكم شديد ليساند تقاليد الإسلام وينفذ تعاليمه وكان خير رجل للعرب وللإسلام عمر بن الخطاب .

والذى حدث أن الشعراء المسلمين لم يستطيعوا — وهم فى ظلال الإسلام أن يَتَغَنَّوْا بظلمات العادات الجاهلية ، فانقسموا قسمين ، قسم جادل شعراء الكفار كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقسم اكتفى بالتملى من روعة القرآن واعجازه كالأعشى وأقرانه .

أما الشعراء الكفار ، فكانت رعودهم هينة ، فما أن انفتحت مكة أصبحوا مسلمين وأداروا للجاهلية ظهورهم .

أقول إن عامل الزمن ، ذو أثر فعال فى حياة الشعراء ، وعلى الناقد أن يلحظه

---

(١) المصدر السابق ٢١٠

(٢) المصدر السابق ٢١٢

ليتفهم ماينتج عنه من آثار ويدرك تماما أنه عامل بطىء وآثاره بعيدة التهيؤ ، ولكنها تمتاز بصفة الثبات والاستقرار الطويل .

وأطلعنا ابن سلام أيضا على تنبهه إلى تأثير العامل النفسى فشعراء المراثى أناس اسودّت الحياة فى عيونهم ، وماكادت أنفسهم تفرح حتى أُخِذَت على حين غِرّة ، وسُلِبَت مسببات السرور والهناءة، ممثلة فى أشخاص أعزاء لديهم ، فهم أناس مكلومون منهزمون بصدمة بليغة أتت على غير موعد .

ولن يدور الاحساس بالزمن فى فضاء ، لأنه لابد من مكان يتلقى مختلف التأثيرات الزمنية ويتفاعل الإنسان معهما تتم الحياة .

لذا يجب ألا ننزع شاعرا من الزمن الجاهلى ، كما يجب ألا ننزع الزمن الجاهلى من البيئة الجاهلية ، لأن الشاعر الجاهلى ، نفسية بشرية أثرت وتأثرت بزمن معين فى أثناء وجودها فى بيئة معينة لها خصائصها المميزة .

وقد فطن ابن سلام لهذه الحقيقة مع الشعراء المخضرمين والشعراء المحزونين ، وهاهو ذا يفطن ويدلل على أثر البيئة ويقول لنا ، أن البيئة الصحراوية فى عصر الجاهلية ، كانت تختلف عن البيئة الحضرية فى عصر الجاهلية ، وبالتالى الشاعر البدوى الجاهلى ، ستجده يختلف عن الشاعر الحضرى الجاهلى ، الذى هجر الصحراء وجفاها الى نعيم الحضر وحضارته .

وقد سكن عَدِىّ بن زيد الحيرةَ وكان يراكز الريف فلان لسانه وسهل منطقه[1] وعدى يعتبر مثالا واضحا لأثر البيئة على مزاج الشاعر ، وشبهه فى ذلك الشعراء المداحون الذين رحلوا إلى اليمن والحيرة وغسان كحسان بن ثابت والأعشى والنابغة الذبيانى والجعدى وغيرهم ، نلاحظ فى أشعارهم أثر ارتحالهم إلى بيئات غير بيئاتهم فى ألفاظهم وتشبيهاتهم وأخيلتهم الحضارية وهذا أمر يطول شرحه .

فكيف ينطبق هذا الكلام على شعراء القرى ؟ أَوْ ماصِلَتُهُم بهذا كله ؟ ولماذا أفرد ابن سلام، شعراء القرى وجعلهم طبقة تضم أربع طبقات بها اثنان وعشرون شاعرا ؟

---

(١) ابن سلام : الطبقات ١٤٠

نقول : ألم يقسّم ابن سلام الشعراء من حيث الزمان إلى جاهليين واسلاميين ؟ فلماذا لايقسّمهم من حيث المكان إلى شعراء بيئة المدينة وشعراء بيئة مكة وشعراء بيئة الطائف ثم البحرين ثم اليمامة ثم عمان ؟ .

أليست هذه بيئات تتفق فى أشياء ، وهى فى اتفاقها واختلافها أنبتت شعراء يتفقون فى طبيعة شعرهم ، وزمان وجودهم ويختلفون فى ظروفهم وأماكن بيئاتهم ؟ .

فلماذا لايجعل ابن سلام البيئات ــ من حيث تكوينها للشعراء ــ طبقات ويفاضل بين بيئة وبيئة أخرى ، ويذكر لنا الاسباب ؟ .

قد نظر إلى المدينة فوجدها قد هُيئت من حيث الظروف كى تتصدر البيئات الاخرى . ونلحظ أنه حدد قوله بأنه سيتحدث عن شعراء القرى العربية ، أى القرى الأصيلة فى عروبتها البعيدة عن تأثير الفرس والروم والحبشة . فهو قد خصص القول العام .

نظر إلى المدينة فوجدها امتازت بميزات جعلته يضعها فى أول القائمة ويقول « وأشعرهن قريةً المدينة »(١) ، فالمدينة بها اليهود والعرب ، وهؤلاء أصحاب دين سماوى ، والآخرون أصحاب وثنية ، وحدث مايُنْتَظر من مشاحنات بين اليهود والعرب ، من ناحية ، وبين العرب وأنفسهم من ناحية أخرى ، ومن مصلحة اليهود أن يظل العرب متنافرين وأن يعيشوا فى شقاق ونفار .

وعرب المدينة معظمهم من عرب اليمن ذوى الحضارة القديمة ، والتقدم العريق ، وهم قد جاوروا شعبا ذا دين سماوى وثقافة واسعة متشعبة ــ فلماذا لاتكثر فى المدينة الشعراء ؟ وقد حدد ابن سلام سببا اجتماعيا نفسيا دقيقا حين قال :« إنما يكثر الشعر بالحروب التى تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يُغيرون ويُغار عليهم(٢) » فعامل الإثارة والهياج موجود بجانب عامل الثقافة والرقة ، ولم يكتف الأمر بهذا ، بل جاء الإسلام وكتب على المدنيين أن يكونوا أنصارا للمكيين ، وأن يكون الشعراء فى المدينة هم الصادون المانعون عن بيضة الاسلام ، بطْشَ كُفَّارِ مكة وغيرهم من القرى العربية .

(١) ابن سلام : الطبقات ٢١٥

(٢) المصدر السابق ٢٥٩

وهكذا ارتقت المدينة التي أصبحت عاصمةً لدولة الإسلام ، ويقرر ابن سلام أن شعراءها فحول ، وأنهم خمسة وأنها أشعر القرى ، وأن أشعر شعرائها حسان بن ثابت ، وهو الذى أصبح شاعر النبى مع كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة .

أما مكة فموضعها يختلف عن المدينة وظروف حياتها تختلف . مكة بلد تاجر والمدينة بلد زارع ، ومكة وثنية بينما المدينة عرفت اليهودية والمسيحية ، واشتبكت مع اليهودية فى مطالب الحياة اليومية ، ولمست مدى أفكارهم الدينية . والبيئة فى المدينة نشأ فيها التناحر بينما كان أهل مكة أهل تناصف ، وكان مما تُنكر قريش وتعاقب عليه أن يهجو بعضهم بعضا كما يقول ابن سلام[1] وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التى تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم والذى قَلّلَ شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا[2] .

ولهذه الظروف قل الشعر عندها أى أنه على حد تعبيرنا اليوم كما يقول الأستاذ أحمد أمين « لم يكن لديها بواعث تهيج العاطفة »[3] .

ولكن بِمَ هيجت هذه العاطفة ؟ هيجت بالإسلام وللإسلام ، ارتجت أرجاء مكة حين شعرت أن تجارتها وأموالها فى خطر ، وحين وقف المكيون المشركون أمام المدنيين الذين أسلموا ، اشتد الهياج وانبرت ألسنة الشعراء ، ومما زاد لهيب النار أن المسلمين أذلوا الكفار فى موقعة بدر الكبرى ، ولم يصبر الكفار حتى كانت لهم موقعة أحد ، وتتابع لقاء مكة مع المدينة ، لقاء الأنصار مع الكفار ، شعراء المدينة مع شعراء مكة ، حتى كان عام الفتح ونصر الله المسلمين نصرا مبينا .

أما بيئة الطائف ففيها شعر ، ولكنه ليس بالكثير ، فليس بين الطائفيين حروب ولم يغيروا أو يغار عليهم ، وبيئتهم متطرفة ، ومع ذلك كان فى الطائف شعراء منهم أبو الصَّلْت وابنه أمية وأبو مِحْجَن عمرو بن حبيب الثقفى وغيلان بن سَلَمَة وكِنانة بن عبد ياليل[4] .

---

(١) المصدر السابق ٢٤٣ قصة ضرار بن الخطاب الفهرى وعبد الله بن الزبعرى مع حسان بن ثابت .
(٢) المصدر السابق ٢٥٩ .
(٣) أحمد أمين : النقد الأدبى — ط لجنة التأليف والترجمة والنشر — بالقاهرة ١٩٥٢ م — ٢/٤٣٨ .
(٤) الطبقات ٢٥٩ .

ثم يقرر ابن سلام أن بيئة « البحرين » جمعت بين جودة الشعر وكثرته وفصاحته وعدد منهم ثلاثة شعراء هم المُثَقِّب النُّكرى العبدى ثم المُمَزَّق العبدى والمَفَضَّل النُّكرى (١) .

وأما عن بيئة اليمامة ، فلا يعرف ابن سلام بها شاعرا مذكورا (٢) .

هذا هو الهيكل العام لطبقة شعراء القرى العربية ، فهل يتفق مع الهياكل الأخرى ؟ .

إذا طرحنا جانبا إيراد نسب الشعراء والأخبار عنهم ، وبعض المقتطفات عن شعرهم ، نجد أن هذه الطبقة قد تحللت من قاعدة أربعة شعراء لكل طبقة ، لأن طبقة المدنيين خمسة شعراء ، والمكيين تسعة شعراء ، والطائفيين خمسة ، والبحرانيين ثلاثة ، وهذا فرضته طبيعة الأمور فليس من المعقول أن يتحدث عن أهم شعراء المدينة أو مكة أو الطائف أو غيرها ويغفل منهم شاعرا ، فشهرتهم فرضت عليه ذكرهم جميعا ، بالرغم من استطاعته التحلل من شهرة بعض شعراء الطبقات الذين يزيدون عما قدر لنفسه عن عدد كل طبقة . وهنا تظهر لنا حقيقية نظام الطبقات وكيف أنه لايصلح نظاما للأدب لعدم مرونته ولغلبة بعض الظروف على صلابته وجموده .

ونلمح من عرضه لطبقة شعراء القرى تيقظه للشعر المصنوع ، مضيفا لها أسبابا أخرى يقول : وأشعرهم حسان بن ثابت ، وهو كثير الشعر جَيِّدُه ، وقد حمل عليه مالم يحمل على أحد . لما تعاضهت قريش واستبَّت وضعوا عليه اشعارا كثيرة لاتُنَقَّى (٣) .

فكثرة شعر حسان فتحت الباب رحيبا للوضع والسبب العصبية ، عصبية المهاجرين على الأنصار ــ عصبية مكة على المدينة ــ عصبية العدنانيين على القحطانيين ، والمادة خصبة ففى المغازى والسيرة النبيوية والخلافة وجدت العصبية مرعاها ، وازدهرت وتعددت أشكالها بين القريتين العظيمتين مكة والمدينة .

(١) المصدر السابق ٢٧١

(٢) الطبقات ٢٧٧

(٣) ابن سلام : الطبقات ٢١٦

ولقد ذكر لنا مثلا يوضح أثر العصبية فى وضع الشعر : يقول : ويروى الناس لأبى سفيان بن الحارث يقول لحسان :

أبوك أبو سَوْءِ وخالُك مثلهُ ولَسْتَ بَخَيْرٍ من أبيك وخالِكَا
وأن أحقَّ الناسِ أن لاتَلُومه على اللُّؤْمِ من ألفى أباه كذلكا

ويستطرد ابن سلام : فأخبرنى أهل العلم من أهل المدينة ، أن قدامة بن موسى ابن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحى ، قالها ونحلها أبا سفيان ، وقريش ترويه فى أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان(١) .

فالعداوة بين أبى سفيان بن الحارث وحسان بن ثابت أُستُغِلَّت على نطاق واسع لتخدم عصبية كانت بين الأنصار وقريش ، أو بين مكة والمدينة ، وليس يوم السقيفة عنا ببعيد .

وإذا كان ابن سلام قد تعرض لقضية الشعر المنحول ، وعرف الشعر وعيوبه الموسيقية ، وتعرض للسرقات فى الشعر ، ولم يعتبر المخضرمين من الشعراء الإسلاميين ، وتنبه إلى أثر البيئة فى الشاعر من بدو وحاضرة ، فقد أثار فى حديثه عن شعراء القرى مسألة هامة وهى النقائض .

والمشهور أن النقائض هى نقائض جرير والفرزدق والأخطل بهم انشغل العصر الأموى وبنقائضهم اهتم النقاد والدارسون .

ولكن ابن سلام يشير إلى أن للنقائض تاريخا أبعد ، أبعد من العصر الأموى ظهورا ، وهى جاهلية النشأة ، مقترنة بالأيام الكبرى للجاهليين ، واكتسبت سيرورة فى أثناء عداوة الاحياء العربية فى المدينة وغيرها . يقول ابن سلام فى معرض الحديث عن شعراء المدينة : « وعبد الله بن رواحة ، عظيم القدر فى قومه ، سيد فى الجاهلية ، ليس فى طبقته التى ذكرنا أسود منه ، شهد بدرا ، وكان فى حروبهم فى الجاهلية ، يناقض قيس بن الخطيم(٢) .

---

(١) ابن سلام : الطبقات ٢٤٩ و ٢٥٠

(٢) المصدر السابق ٢٢٣

فالحق التاريخى — كما يقول الأستاذ أحمد الشايب — يرجع بنشأة النقائض إلى طفولة هذا الشعر العربى فى جوانب هذه الصحارى والقفار (١) .

وابن سلام يشير أيضا إلى مناقضة وقعت بين الحطيئة ومُزَرِّد بن ضِرَار أخى الشماخ حين طلب الحطيئة من كعب بن زهير أن يقول شعرا يذكره فيه نفسه ويضعه موضعا بعده ، لأن الناس لأشعار آل زهير أروى وإليه أسرع .

فقال كعب :

فمن للقوافى ؟ شانها من يَحُوكها إذا ماثوى كعب وفَوَّزَ جَرْول

فاعترضه مزرد بن ضرار ، أخو الشماخ ، ويقول ابن سلام — كان عِرِّيضا — أى شديد العارضة كثيرها فقال :

وباستك إذْ خَلَّفْتَنى خَلْفَ شَاعِرٍ من الناس لم أُكْفِىءْ ولم أتنحَّلِ

(الأبيات)

وهكذا كانت أبيات أخى الشماخ نقيضة صارخة لما قيل فى الحطيئة من رفع شأن وتمجيد .

ولامرئ القيس حين تعقب بنى أسد ففاتوه ، ولقى كنانة ووضع فيهم السلاح خطأ أبيات قال فيها :

ألا يَالَهْفَ هِنْدٍ إثر قَوْم هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصابَوا

(الأبيات)(٢)

ويظهر أن هذه الأبيات بلغت عَبِيداً فقال ينقضها على امرئ . القيس يقول :

أتُوعِدُ أسرتى وتَركْتَ حُجْرا يريغ سوادَ عينيه الغُراب

(الأبيات)(٣) .

ولم يتقيد الشعراء بالقافية الموحَّدة فى النقيضين فى بداية أمر النقيضة ، لأنها كانت أقرب إلى الجدال والفخر منها إلى النقائض التى استوت جوانبها الفنية كاملة .

---

(١) أحمد الشايب : تاريخ النقائض فى الشعر العربى : ص ١ — الطبعة الثانية ط النهضة المصرية ١٩٥٤ م

(٢) امرؤ القيس : الديوان — تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم — ط دار المعارف سنة ١٩٥٨ م (١٣٨) رقم (٢٣)

(٣) عبيد بن الأبرص (٨١) الديوان ط ليدن ١٩١٣م

وحينما جاء الإسلام صار ركيزة للنقائض بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين — فغزوة بدر كانت أولى الغزوات الهامة فى تاريخ الجهاد الاسلامى ، لأن ماسبقها لم يكن إلا مناوشات يسيرة ولأن آثارها كانت خطيرة .

ففى بدر ، أنشد ضِرَار بن الخطاب(١) :

عجبت لفخر الأوس والحَيْنُ دائرٌ … عليهم غَداً والدهر فيه بصائرُ
وفخر بنى النَّجَّار إن كان معشرٌ … أصِيبُوا ببدر كُلُّهُم ثَمَّ صَابرُ

فيجيبه كعب بن مالك :

عجبت لأمْر الله والله قادرٌ … على ماأراد ليس لله قاهـرُ
قضى يَوْمُ بدر أن تُلاقِىَ مَعْشرا … بَغَواْ وسبيل الْبَغى بالناس جائِرُ

ويعدد له مانكل به المسلمون أعداء الله ، وكيف دحروهم دحرا ذليلا .

وعندما يبكى عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، قتلى بدر ، يقول ، هو أو غيره — فابن هشام شاك فى الأمر :

ماذا على بدر وماذا حوله … من فتية بيض الوجوه كِرام
تركوا نُبَيْهـاً خلفهـم ومُنَبِّهـاً … وابنى ربيعة خير خَصْمِ فِئَامِ(٢) .

يشمت فيه حسان بن ثابت ويقول له :

ابْكِ بَكَتْ عَيْنَاكَ ثم تَبَادَرت … بِدَمٍ تُعَـلُّ غروبها سجَّـامِ
ماذا بكيت به الذين تتابعوا … هَلَّا ذكرت مكارمَ الأقْوَامِ(٤) .

ويدور القول بين حسان بن ثابت والحارث بن هشام ، وبين بكاء ضرار بن الخطاب أبا جهل ، وبكاء أبى بكر بن الأسود ، وصفية بنت مسافر ، شُهَداء المسلمين ...

وفى أعقاب أُحدٍ كثرت المناقضة بالشعر أيضا بدافع الفخر والتشفى من

---

(١) ابن هشام — السيرة — من ١٣ الى ١٦ الجزء الثانى ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط الحلبى ، الثانية — ١٩٥٥

(٢) الفئام : الجماعات من الناس .

(٣) تُعَلّ : تكرر — مأخوذ من العَلَل ، وهو الشرب بعد الشرب ، والغروب : جمع غرب ، وهو مجرى الدمع ، والسجام : السائل .

جانب قريش ، ثم المناهضة وذكر بدر والهجاء من جانب المدينة ، يقول هبيرة بن أبى وهب المخزومى المشرك قولته ، فيردها عليه المسلم حسان بن ثابت ، وينهض حسان المدنى لعبد الله بن الزِّبَعْرى المكى ، كما نهض كعب ابن مالك لعمرو بن العاص قبل أن يسلم(١) .

وقد أورد ابن سلام نقيضة لأبى سفيان فى يوم أحد يرد بها على حسان بن ثابت وكان أصحاب النبى ﷺ أصابوا فى عقب بدر عيرا فيها فِضّة ، فكانوا تنكبوا ، بَعْد طريق الشام ، وأخذوا طريق العراق ، فقال حسان :

دَعُوا فَلجَات الشام قدْ حَال دُونَهَا   جِلَادٌ كأفواه الَمخَاضِ الأوارِكِ

فيجيبه أبو سفيان بن الحارث قائلا :

شَقِيتم بها وغَيرُكم أهلُ ذكْرِها   فوارس من أبناء فِهْر بن مالك

الأبيات(٢) .

وفى أُحُد أيضا نهض ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهرى المشرك ، وأرجف بقصيدة نقضها عليه كعب بن مالك(٣) وكذا تناقضا فى يوم الخندق الذى نجد فيه ثلاثا من النقائض لعبد الله بن الزبعرى من ناحية وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك من ناحية(٤) وفى غزوة خيبر خرج مرحب اليهودى من حصنهم وقد جمع سلاحه يرتجز :

قد عَلِمَتْ خيبر أنّى مَرْحبُ   شاكى السِّلاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ

وهو يقول مَنْ يبارز ، فأجابه كعب بن مالك :

قد علمت خيبر أنى كَعْبُ   مُفَرِّجُ الغُمىّ جرىء صُلّبُ

وكذا حدث فى أثناء عام فتح مكة ، ويوم حنين الذى كان فى أعقاب فتح

---

(١) ابن هشام : السيرة ٣/٨ — ٤٣ ط الحلبى الثانية [الفلجات جمع فَلَجة وهى المزرعة ، الجلاد : عنى به طعنات السيوف والرماح ، والمخاض ، النوق الحوامل — والأوراك جمع آركة ، والإبل الأوراك التى ترعى شجر الأراك ، وهو شجر طيب]

(٢) ابن سلام : الطبقات ٢٤٨ و ٢٤٩

(٣) ابن هشام : السيرة ٣/١٣٨ و١٣٩

(٤) المصدر السابق ٢/٢٥٤ ومابعدها

مكة[1] وفى عام الوفود ، حين أتى الزبرقان بن بدر على رأس وفد تميم يفخر بقومه فى قصة مشهور ، وقد نقضه حسان بن ثابت[2] .

فشعراء القرى العربية الذين أوردهم ابن سلام ، تمثل الطبقة الأولى منهم نشوء فن النقائض جاهليا واسلاميا ، بينما تمثل الطبقة الثانية طورا آخر حين أضيف عليها الإسلام عاملاً أساسياً .

وابن سلام لم يناقش القضية ولكنه إشار إليها بعد أن أطنب فيها ابن اسحق وابن هشام فى ذكر سيرة الرسول وغزواته وكأنى بابن سلام أراد أن يقدم لنا شعر نقائض الجاهلية والإسلام فى إطار طبقتى شعراء المدينة وشعراء مكة ، مبينا أن فترة ظهور الإسلام ساعدت على اشتراك الشعراء فى فن النقائض ، فلو لم يكونوا فى مثل هذه الظروف ، وفى مثل هذه البيئة ، لما ناقضوا ، ولاسمعنا منهم سوى ماتعودوا أن يقولوا من شعر غنائى شَرَّق أو غَرَّب .

وينبهنا ابن سلام أيضا إلى ضِرَار بن الخطاب بن مرداس بن محارب بن فهر من ظواهر قريش ، كان لايكون بالبطحاء إلا قليلا ، وكان جَمَع من حَلفاء قريش[3] ومن مراق كنانة ناسا ، وكان يأكل بهم ، ويغير ويسبى ويأخذ المال[4] .

فهناك لون آخر من الشعراء كانوا يعيشون عيشة خاصة ، لهم مبادؤهم وقوانينهم وتقاليدهم ، وهم **الشعراء الصعاليك** ، ويمكن أن تميز فيهم ثلاث مجموعات ، مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم مثل حاجز الأزدى ، وقيس بن الحداية ، وأبى الطمحان القينى ، ومجموعة ثانية من أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل السليك بن السُّلَكة ، وتأبط شرا والشنفرى وكانوا يشبهون أمهاتهم فى سوادهم ، فَسَمُّوهُمْ وأضرابهم باسم « أغْرِبة العرب » . ومجموعة ثالثة لم تكن من الخلعاء ولا أبناء الحبشيات غير أنها احترفت الصعلكة احترافا . وهى حينئذ قد تكون أفرادا مثل عروة بن الورد العبسى ، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتى هُذَيْل وفَهُم اللتين

(١) ابن هشام : السيرة ٣٣٣/٢

(٢) المصدر السابق ٤٧٦/٢ + ٥٦٢/٤ و ٥٦٣

(٣) كذا أوردها ابن سلام، ويخيل الى أنها « خلعاء قريش »

(٤) ابن سلام : الطبقات ٢٥٠

كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف على التوالى[1] .

وضرار ليس من الحبشيين ولا الخلعاء ولكنه رجل شريف يعاهد نفسه فى يوم أُحُد ألا يقتل قرشيا — ولما لقى عمر بن الخطاب ضربه بعارضَة سيفه فقط وقال له : انج ياابن الخطاب ، كما يروى ابن سلام[2] فهو فى أغلب الظن من طائفة الطبقة الثالثة التى اتخذت الصعلكة حرفة .

وابن سلام أخيرا لم يكلف نفسه ذكر شاعر يمامى لأنه لايعرف شاعرا هناك مذكورا[3] ونترك هذه الطبقة آسفين لضياع أبيات للزبير بن عبد المطلب تدل الشواهد على سقوطها أو تدخل الناسخ فيها .

يقول ابن سلام :

« وأجمع الناس على أن الزبير بن عبد المطلب شاعر والحاصل من شعره قليل ، فمما صح عنه قوله :

ولولا الحُبْشُى لم تَلْبَس رِجالٌ ثِيَابَ أعِزة حتى يَمُوتُوا

وبعد أن يشرح بعض الاختلاف فى لفظ (الحُبْشُى) ويشرح معنى البيت يقول مباشرة : « وهذه أبيات للزبير بن عبد المطلب[4] .

فسياق الحديث يوجب إيراد أبيات له .

وقد يكون فى الطبقة مجال لحديث آخر نتركه لحينه ، اكتفاء بما قدمناه .

رابعا — طبقة شعراء يهود

وإذا بلغنا طبقة شعراء يهود لم نعجب من ذكرهم بل نجده ضرورة لأنهم شعراء المدينة ، أولا ثم هم شعراء استخدموا اللغة العربية فى شعرهم ثانيا .

(١) رجعنا إلى بحث أستاذنا الدكتور يوسف خليف (الشعراء الصعاليك) الفصل الثالث والرابع من ص ٨٧ — ١٤٨ لنتمكن من وضع ضرار فى فئة من الصعاليك وانظر فى ذلك أيضا أحمد الشايب فى كتابه :« تاريخ الشعر السياسى » ط نهضة مصر — القاهرة ١٩٤٥ م — ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) ابن سلام : الطبقات ٢٥٢

(٣) الطبقات — ٢٧٧

(٤) ابن سلام : الطبقات ٢٤٥ و ٢٤٨

والسبب الثانى الذى جعل ابن سلام يضع المدينة فى أول قائمة الطبقات أنها حوت بالإضافة إلى فحول الشعراء المسلمين شعراء يهود مشهورين .

وقد سالم اليهود المسلمين فى بدء الأمر وحبب الرسول إليهم الصلح والوئام مع المؤمنين لأنهم أصحاب دين سماوى ، ولكن اليهود أبوا إلا الغدر فكان ماكان من تغيير الرسول القبلة من بيت المقدس الى مكة ، ومن إجلائهم إلى خيبر(١) ومن بث سمومهم بين المسلمين والمشركين وهزيمتهم فى غزوة الخندق ثم الهزيمة الكبرى حين رحلوا عن المدينة مدحورين .

وقد تأقلم اليهود بالعرب واشتركوا مع العرب فى جميع المرافق الحيوية فى المدينة والجزيرة اقتصادية وسياسية ، وكان اليهود على حذو ما كان العرب ، فى تفاخرهم وتشاجرهم وتمدحهم بالشجاعة وعلو الهمة وإكرام الضيف والنفور من الجبن والبخل ، وكانوا يوقدون النيران فى الليل ليرشدوا السائرين يدعونهم إلى الضيافة والإكرام (٢) كما كان يفعل العرب إعلاء لشرفهم وصيانة لمجدهم .

والشعبان لغتهما سامية فليس بعيدا أن يتخذ بعض اليهود اللسان العربى ، ويُقَصِّد به القصائد ، ويصف الكرم والوفاء والشجاعة والبلدان أو الحيوان وجمال المرأة وكل ماكان من شأنه أن يحرك نفس العربى قد حرك نفس اليهودى ودعاه إلى قرض الشعر .

وقد كانت بين العرب واليهود مناقضات أيضا فلما أراد بنو النضير من اليهود الغدر بالرسول سنة أربع من الهجرة أجلاهم الى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وقد صور الشعر هذا الحادث وملابساته تصويرا حسنا . ووردت فى السيرة لابن هشام القصيدة التى قيلت فى اليهود ومطلعها :

عرفت ومن يعتدل يَعْرِفِ وَأَيْقَنْتُ حَقـاً ولم أصْدِفِ

الأبيات

فأجابه سَمَّاكُ اليهودى :

إن تفخروا فهو فخر لكم بمقتـل كَعْبٍ أبى الأشْرَفِ

الأبيات (٣)

(١) ابن هشام : السيرة ٣٥٦

(٢) الواقدى : المغازى ١٧٠ ط برلين (ترجمة المانية)

(٣) ابن هشام : السيرة ط الحلبى ١٩٧/٢ و ١٩٨

وهناك مناقضة أخرى حول هذا الموضوع بين كعب بن مالك الأنصارى وسماك اليهودى تصور بوضوح موقف الفريقين الدينى والسياسى ، وتشرب روح الإسلام واليهودية وماكان بينهما من جدل صَوَّرَهُ القرآن الكريم[1] .

والطبقة التى أوردها ابن سلام تتكون من ثمانية شعراء ، ويعلق فى مطلع الطبقة بأن فى يهود المدينة وأكنافها شعرا جيدا[2] .

ويكتفى ابن سلام بسرد أشعارهم ، ولكنه ينجح فى اختيار أشعارهم التى نرى فيها طلاوة وجمالا فنيا ملحوظا ، فهم بعيدون بطبيعة بيئتهم عن حوشى الكلام وغريب الألفاظ ، وإننا لنعجب من قصيدة أبى الذيال الغزليه الدالية لرقتها وجيد نظمها ، وكأننا نقرأ إحدى رائعات ابن أبى ربيعة . وقد ظهر أثر الدين وتعاليمه واضحا فى قصائدهم .

فالسمؤل بن عادياء يقول :

إن حلمى إذا تَغيَّبَ عَنِّى فاعلمى أننى عظيما رُزِيتُ
ضَيِّقُ الصَّدْرِ بالخِيانَةِ لايَنْقُضُ فَقْرِى أَمَانَتِى ماحَيِيتُ[3]

ويقول أيضا :

ألى الفضل أَمْ عَلَىَّ إذا حوسبت ؟ إنى على الحساب مُقِيتُ
مَيْتَ دَهْرٍ قد كُنْتُ ثم حييتُ وحياتى رهنٌ بأن سأموتُ[4]

ويقول الربيع بن أبى الحُقَيْقِ من بنى النَّضِيرِ :

إنَّا إذا نَحْكُمُ فى ديننا نرضى بحكم العادل الفاصل
لانجعلُ الباطلَ حَقًّا ولا نَلِطُّ دون الحق بالباطل[5]

ويقول شريح بن عمران :

إن الكريمَ إذا تؤا خيه وَجَدْتَ له فُضُولا[6]

(١) المصدر السابق ٢/٢٠٠ ط الحلبى

(٢) ابن سلام : الطبقات ٢٧٩

(٣) الطبقات ٢٨٠

(٤) المصدر السابق ٢٨١

(٥) المصدر السابق ٢٨٤ لَطَّ الشىء : ستره أو كتمه

(٦) المصدر السابق ٢٨٤

ويقول أبو الذيال :

إنى لمستيقن لئن لَم أمُت مِلّ يَوْم إنى إذن رهَينُ غَدِ[1]

وإزاء هذا التراث الأدبى لليهود ، كان على ابن سلام أن يجعل لهم طبقة ، ولو أنّ عدد من أسلم من اليهود كان كثيرا لوجدنا كثرة من تراثهم الأدبى قد حفظه له أحفادهم .

خامسا ـ طبقات الشعراء الاسلاميين

وحينما ينتقل بنا ابن سلام الى الشعراء الاسلاميين نلمس شيئا من التغيير قد طرأ ، المنهج لم يختلف وترتيب الشعراء لم يختلف ولكن المشكلات نفسها اختلفت ، فى العصر الجاهلى الأدبى قد تقيد بظروف معينة ، قد أوجدت مشكلات معينه ، وعندما أنتهى السبب انتهى الأثر .

ولانستطيع أن نطبق قاعدة انتهاء الأثر بانتهاء السبب لأن قضايا الأدب والنقد قابلة للتشكل والخضوع لقوانين أخرى .

لذا نجد أنفسنا أمام ابن سلام ، وقد ترك التقيد والتشدد ، وأفسح المجال للشعراء الإسلاميين ، وللأحداث التى خلقوها وخلقتها لهم ظروف عصرهم وبيئتهم ، ولكنه كان يتدخل بين السرد والسرد ، وبين الأخبار الطويلة والأشعار المتعددة ليلقى تحديدا لمعنى معين ، أو يسجل رأيه الخاص فى شاعر ، أو يغلب رأيا على رأى ، أو يقدم أخطاء شاعر بجوار مقلداته ، أو يحقق نصا حوى واقعة هامة وهكذا ...

ونغنم من هذه اللفتات كثيرا ، وأول مايلفت أنظارنا ضخامة الجزء الخاص بطبقات الشعراء الإسلاميين ، فهو يشغل (٥٠٠ صفحة) من طبعة المدنى ١٩٧٤ م التى تدور دراستنا عليها ، بينما شغلت طبقات الجاهليين وطبقة أصحاب المراثى وطبقة أصحاب القرى والشعراء اليهود (٢٤٥ صفحة) ، والأكثر من ذلك ، أن تشغل الطبقة الأولى من الاسلاميين (٢٢٤ صفحة)

---

(١) المصدر السابق ٢٩٣

من صفحات الطبقات الإسلاميين كلها ، بينما تشغل الطبقة الإسلامية الثانية (٣٧صفحة) والثالثة (١١ صفحة) والرابعة (٩صفحات) والخامسة (٥٢صفحة) والسادسة (٣٢ صفحة) والسابعة (٨٧ صفحة) والثامنة (٢٦ صفحة) والتاسعة (٣٠ صفحة) والعاشرة (٢٨ صفحة) .....!!

وصفحات الطبقة الأولى ترينا بوضوح شهرة وغلبة أمر شعرائها على بقية شعراء الطبقات ، حتى عجز ابن سلام عن أن يتوقف عن سرد مشاحناتهم ومناقضاتهم وانشغال مختلف الأوساط الشعبية والقيادية بأمرهم ، وليس مافى الطبقات كل أخبارهم ولكن مالم يستطع ابن سلام أن يغفله .

ويصور لنا ابن سلام موقف السلطة الحاكمة ، تجاه هذا الثلاثى الهجاء ، كما يصور موقف القبائل التى وَجَدت فى تهاجى الشعراء مَهْزَلَةً اجتماعية لاتليق بالتقاليد العربية الرفيعة . ويصور أيضا أثر هؤلاء الشعراء الهجائين فى بقية شعراء الدولة .

فسيطرة الشعراء الهجائين على طبقة الشعراء الاسلاميين أمْرٌ فرضته طبيعة الأمور ، وماحدث من ابن سلام بالنسبة لأوس بن حجر الذى وضعه فى الطبقة الثانية من الجاهليين ، واعترف بأنه نظير الأربعة أصحاب الطبقة الأولى[1] حدث معه فى الطبقة الأولى الإسلامية ، إذ احتوت الراعى مع جرير والفرزدق والأخطل ، والراعى مكانته الطبقة الثانية أو غيرها ، ولكن قاعدة « أربعة رهط لكل طبقة » هى التى جعلت الراعى يزاحم الثلاثة الفحول ، وابن سلام يحس هذا جيدا ويقرر أن الناس إختلفت فيهم أشد الاختلاف وأكثره ، وعامة الاختلاف أو كله فى الثلاثة ، ومن خالف فى الراعى قليل ، كأنه آخرهم عند العامة[2] ويقول عنه إنه : « كان بعد هجاء جرير له مُغَلَّباً ، قال رجل من قومه عَلاّمة وراوية فصيح : كان فحل مضَر حتى ضغمه الليث يعنى جريرا[3] .

فكما أخرج أوس بن حجر من طبقته الجاهلية الأولى ، أدخل الراعى بن حصين فى الطبقة الإسلامية الأولى وكلاهما فى غير موضعه .

(١) ابن سلام : الطبقات ٩٧

(٢) المصدر السابق ٢٩٩

(٣) المصدر السابق ٥٠٣ وضغمه الليث : أهوى إليه فملأ فمه منه ، وعضّهُ عَضًّا شديدا دون النهش

أما عن قضية الشعر المصنوع فنلتقي بها فى طبقات الإسلاميين ولكن بصورة أخرى ، فقد انتشرت الكتابة وأصبح لكل شاعر راو أو أكثر ، ولاقت الأشعار عنايةً صانتها من الإفراط والتفريط ، فخفقت نغمة أن البيت كذا مُخْتَلَف فيه ، وأن الوضع فيه بَيِّنٌ ، أو أن الرواة والعلماء لم يسمعوا به وظهرت موجة أخرى أحدثتها ضجة النقائض بين جرير والفرزدق والأخطل .

ومن طبيعة النقيضة المدافِعَة أن تقتبس من النقيضة المُهَاجمة ، ولانتشار المهاجاة بين الشعراء وضرورة سرعة الرد ، ظهر مصطلح « الاقتباس » ، فالفرزدق حين يهجو رُبَيْعا بقولة ..

كَأَنَّ رُبَيْعاً من عَمايَةِ مِنْقَر أَتَانٌ دَعَاها فاسْتَجابْت حِمَارُها
تُرَجِّي رُبَيْعٌ أن يجيء صِغَارُها بِخَيْر ، وَقَدْ أَعْيَى رُبَيْعًا كِبارُهاَ

اقتبس منه البعيث البيت الثانى وهجا به جريرا قائلا :

تُرَجِّي كُلَيْبٌ أن يَجيَء حَدِيثُها بِخَيْر وَقدْ أعْيَى كُلَيباً قَديمُها

فيضج الفرزدق ويلعن البعيث قائلا :

إذا ماقــلـت قافيـــةً شرودا تَنَحَّلهـاَ ابـن حمراء العِجَـانِ

الأبيات (١)

والشكل الثانى المتطور لقضية الانتحال فى العصر الأموى ، هو « الرِّفد » أى إعانةُ شاعر وُنْصرَتُهُ على شاعر آخر ، كما حدث لهشام المرَئى الذى يجيد الرجز ، حين لج الهجاء بينه وبين ذى الرمة ، وكان ذو الرمة مستعليا هشاما ، حتى لقى جرير هشاما فقال : غلبك العبد يعنى ذا الرمة قال : فما أصنع وأنا راجز وهو يُقَصِّد ، والرجز لايقوم للقصيد فى الهجاء ، فلو رفدتنى ، فقال له جرير ــ لتهمته ذا الرمة ميله الى إلفرزدق ــ قل له :

غَضِبْتُ لرهط من عِدِيٍّ تَشمَشُوا وَفِي أى يوم لم تَشَمَّسْ رِحَالُها

فلما بلغت الأبيات ذا الرمة قال : والله ماهذا بكلام هشام ولكنه كلام ابن الأتان (٢) .

(١) ابن سلام : الطبقات ٣٢٧ ، ابن حمراء العجان : سَبٌّ كان يجرى على ألسنتهم .

(٢) المصدر السابق ٥٥٧ ، عدى : رهط ذى الرمة ، تشمّس : قعد فى الشمس ، والراحل : الذى رحل بعيره ، أى وضع عليه رحله للسفر ، فهو صاحب حل أى أنهم تعودوا البقاء فى الشمس دون ظلال البيوت لتفاهة شأنهم .

ومن هذه المعونة التى وجدناها ماحدث حين هجا عمر بن لَجَأ جريراً فتكاتفت « تيم » قبيل الشاعر وألّفتْ له الأشعار التى يرد بها على جرير وهو يعلم ذلك . قال ابن سلام : وكانت تَيْمٌ رِعَاء غنَم ، يغدون فى غنمهم ثم يروحون ، وقد جاء كل رجل منهم بأبيات فيردفون عمر بن لجأ وقيل لجرير ، ماصَنَعْتَ فى التيم شيئا ، قال : إنهم شعراء لئام[1] .

ووجدنا بجوار ماوجدنا ، « الاغتصاب » فذو الرمة يَلْقَىَ الفرزدق ويقول له لقد قلت أبياتا ، إن لها لعروضا ، وإنّ لها لمرادا ، ومعنى بعيدا ، فيقول الفرزدق ، وماقلتَ ؟

يقول : قُلْتُ :

أحين أعاذت بى تميم نِسَاءها وجُرِّدْتُ تجريد اليمانى مِنَ الغِمْدِ

(الأبيات)

فيقول له الفرزدق : لاتعودَنّ فيها فأنا أحق بها منك ، ويقسم ذو الرمة أن لايعود فيها ولاينشدها أبدا إلا للفرزدق ، وهى فى قصيدة الفرزدق التى يقول فيها :

وكنا إذا القَيْسى نَبَّ عتُودُهُ ضربناه فوق الأنْثيين على الكَرْدِ[2]

فالاقتباس والرفد والاغتصاب صور متطورة للانتحال .

وإزاء شهرة شعراء النقائض يعرض لنا ابن سلام لونا دقيقا لأثر شهرتهم على الشعراء الذين يعيشون فى دائرة الظلال ، يحسهم النسيان ، يريدون الصيت والذكر البعيد فيتعرضون لهؤلاء المشاهير يهجونه ، عَلَّهُم إن رَدُّوا عليهم الهجاء شَعُرَ بهم الناس .

فهذا بشار فى بدء حياته يتعرض لجرير يهجوه ولو رَدَّ عليه لَشَهَرَهُ ، والشاعر اللعين المنقرى يُدْخِل أنفه بين الفرزدق وجرير ، عَلَّهُمَا يذكرانه فيرفعانه ولكنهما لم يلتفتا إليه فأحنقه هذا وقال :

(١) المصدر السابق ٤٣٥

(٢) ابن سلام : الطبقات ٥٥٤ الأنثيان ، الأذنان ، والكَرْد : العنق ، ونَبَّ : صاح ، والعتود : من أولاد المِعْزى الجدى ، ونَبَّ العَتود : مثل لمن ظن فى نفسه القوة فاستكبر ورام أمراً

فما بُقّياً عَلَيَّ تَرَكْتُمانِي . ولكن خِفْتُماً صَرَدَ النِّبالَ

الأبيات [1]

ويحكى ابن سلام ، أن العباس بن يزيد الكندى هجا جريرا وكانت الشعراء تعرض له ليهجوهم ، وكان جرير يقول أنا لاأبتدى ولكنى أُعتدى[2] فهو فى غنى عن الإثارة بالهجاء وللشهرة ، ولكنه معرض للهجاء من الآخرين لأجل أن يُشْهَروا .

والواقع أنه لايعتدى ، ولكنه ينهش الشاعرَ قبيلَته ، وينبش قبور أمواتها ويهتك أستار عوراتها ، وقد تجد القبيلة فى شعرائها الغَنَاء ، يزودون عنها ويحمون عرينها فيثبتون فى المعركة كما فعلت تيم مع شاعرها عمر بن لجأ حتى تركهم جرير . وقد لاتجد القبيلة مايدفع عنها ويلات الهجاء أو هى تجد ولكنها تخاف مُحْصناتها أن تُهْتك فتستغنى عن شاعرها أو تجره ذليلا إلى أحد الهجائين الثلاثة ليتوب على يديه ، ويعزم على ألا يعود ، فقبيلة كِندة رجت جريرا — وقد هجاه شاعرها — ألا يذكرها فى شعرها ... فلم يقبل جرير إلا بعد أن يعرف منهم فضائح عن شاعرهم العباس بن يزيد الكندى فأخبروه وباعوا شاعرهم ، ليشتروا أنفسَهُم وأعراضَهُم من جرير[3] .

وهذا عبد العزيز بن عمر بن مرجوم وكان سيد عبد القبس بالبصرة ، يشد شاعرهم أحمر بن غَدانة لأنه هجا جريرا ويرسل به إلى جرير قائلا : احكم فيه[4]

وذو الأهدام الشاعر الكلابى حين يهجو الفرزدق لاتجد أم الشاعر وسيلة تحمى بها عرضها من الفرزدق إلا أن تلجأ بقبر غالب أبى الفرزدق تستعيذ به[5] .

(١) المصدر السابق ٤٠٣
(٢) المصدر السابق ٤٤٤
(٣) ابن سلام : الطبقات ٤٤٥
(٤) المصدر السابق ٤٤٧
(٥) المصدر السابق ٣١٣

وبنو حرام بن سمال — كان شويعرها قد هاجى الفرزدق فقالت له : هاهو ذا بين يديك ، فإنْ شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، لاعدوى عليك ولاقصاص قد برئنا إليك منه فَخَلّى الفرزدق عنه(١) .

ودفع شعور الناس بأن هذه المهاترات تظلم أحياءهم وأمواتهم إلى صدها بشتى الطرق ، وحتى أذا ارتضت قبيلتان هذا العواء على نفسيهما — نجد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، يعتبر مابين الشاعرين جرير وعمر بن لجأ جريمةً خلقيةً ويقول لهما : أتقذفان المحصنات ، وتعضهان وتنفيان ؟ ويأمر أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى — وكان واليه على المدينة بضربهما فضربهما وأقامهما على البلَس مقرونين(٢) .

هذه بعض الأضواء التى ألقاها ابن سلام على وجود الشعراء الهاجين ، وهو قد عَلَّق على بعض الأحداث براى العلماء أو برأيه الخاص وترك لنا الأخرى ، نرى فيها رأينا ، ونحكم عليها حكمنا . ونستعين بها على دراسة هذا العصر وذاك اللون من الهجاء .

وفى (ص٦٤٨) يقول ابن سلام :

كان عبد الله بن قيس الرقيات أشَدَّ قريش أسر شعر فى الإسلام ، بعد ابن الزِّبَعْرَىَ ، وكان غَزِلاً ، وأغزل من شعره شعر عمر بن أبى ربيعة ، وكان عمر يصرِّح بالغزل ولايهجو ولايمدح وكان عبد الله يشبب ولايصرح ، ولم يكن له معقود عشق وغزل كعمر بن أبى ربيعة(٣) .

وهو فى هذه الفقرة يضع أمامنا شاعرين لهما اتجاه واحد فى صفة النساء ، رِقَّةً وطَلاوة وعُذوبة ، ولكن علينا أن نفرق بينهما فى اتجاهما الواحد ، فعبد الله بن قيس الرقيات ، سمى لأنه شبب بثلاث نسوة سُمِّين جميعا رُقَيَّة(٤) ذكر جمالهن ،

(١) المصدر السابق ٣٢٥ (٢) الطبقات ٤٣١

(٣) يقول الأستاذ شاكر فى التحقيق « الأسر : قوة الخلق ، وأراد بناء الشعر ، ويصرح » يعنى أنه يخلص شعر للغزل وذكر مايكون بينه وبين صويحباته ، وقوله « معقود عشق » عندى : أن العقود هنا مصدر بمعنى العقد ، نحو المعقول والمجلود ، بمعنى العقل والجلد ، يعنى أنه عشق قد عقد قلبه عليه ، فصدق فيه وأخلص .

(٤) المصدر السابق ٣٦٩

ووصف محاسنهن ، وأمانيه فى لقائهن ، وعذابه فى بعدهن ، والمرأة عند ابن قيس الرقيات نموذج للجمال ومنبع للالهام .

أما عمر ابن أبى ربيعة فواقعى ، يصف أحداثا ووقائع ، ومغامرات وأخطار حدثت له أو يتصورها حدثت ـ وهو فى طريقه للمرأة ، وأخرى حدثت لها وهى فى طريقها إليه ، والمرأة عنده نموذج للمتعة الحسية والمعنوية فهو يتغزل حين يصف لنا حظه من هاتين المتعتين .

وعمر بن أبى ربيعة عقد شعره كلَّه على الغزل لم يمدح ولم يَهْجُ ، بينما كان عبد الله بن قيس الرقيات زُبَيْرِيَّ الهوىَ ، يمدحهم ويخلص لهم ويمدح عبد الملك بن مروان بعد ضياع الزبيريين ، وكان منقطعا إلى عبدالله بن جعفر[1] وله فنون شعرية متعددة[2].

ومادام القول فى النسيب والتغزل فابن سلام يوضح نقطة أخرى بين كُثَيِّر وجميل ، لكونهما يشتركان فى طريق التشبيب بالمرأة والنسيب بها ، إذ يلحظ ابن سلام أن « لكثير » فى التشبيب حَظًّا وافرا ، وأن جميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعا فى النسيب ، ولكثيِّر فنون فى الشعر ماليس لجميل ، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كُثَيِّرٌ يتقول ، ولم يكن عاشقا ، وكان فيه مع جودة شعره خَطَلٌ وعُجْبٌ وكانت له منزلة عند قريش[3] .

واختلف المشبهون الثلاثة فى التعبير عن تقديرهم لجمال المرأة ، كُثَيِّرٌ يكثر ولايصدق ولايتفرغ ، وجميل يقل ويصدق ويتفرغ ، وابن قيس الرقيات يصدق ولكنه لايتفرغ لانشغاله بالمدح والهجاء وفنون الشعر الأخرى فهو قد جمع صِدْقَ جميل ، وانشغال كُثَيِّر بفنون الشعر المختلفة .

ثم يقرر ابن سلام أن الشاعر قد يجيد أحيانا حتى يصل إلى درجة الشعراء الفحول ، ولكنه لأيُقْرَن بهم ، لأن جيدهَ عَرَضٌ وجيدهم دوام ، فذو الرمة كان من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين ، كان يروى عنهما وعن

(١) الأغانى : ط الوزارة ٥/٧٤

(٢) المصدر السابق ٥/٧٦

(٣) ابن سلام : الطبقات ٥٤١ و ٥٤٥

الصحابة وكذلك ذو الرمة هو دونهما ويساويهما فى بعض شعره[١].

أريد إن أقول إن عرض ابن سلام للشعراء فى طبقات لم يمنعه إطلاقا من أن يسجل الثقافة النقدية التى كانت تجول فى ذلك العصر بين علمائه . ومامن شاعر وجد فيه ابن سلام شيئا للنقد إلا وعرضه وَركّز الانتباه عليه .

فتارة يسأل بشارا المرعث ، أى الثلاثة أشعر ؟[٢] وأخرى يسجل رأى العلاء بن حَريز العنبرى فيهم ويشرح قوله بالتفصيل[٣] ثم يذكر مروان بن أبى حَفصة جريرا والفرزدق الذى حكم فى الثلاثة بالشعر لأن الكلام يضيع بين الناس[٤] أو يسأل الأُسَيْدِى ، أخا بنى سلامة ، عنهما أيضا[٥] ثم لايفوته أن يذكر رأى الشعراء الثلاثة فى أنفسهم ، فالفرزدق يقول عن جرير : إنى وإياه لنغترف من بحر ويضطرب دلاؤه عند طول النهر[٦] ، والأخطل يقول عنهما : الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر[٧] ، وجرير يقول عن الأخطل : لقد أعنت عليه بكفر وكِبَر سنٍّ ، ومارأيته إلا خشيت أن يبتلعنى[٨] أما الفرزدق عنده فهو نبعة الشعر[٩] .

ويريد ابن سلام أن يستوفى أخبار هؤلاء الشعراء ولكنه يقرر أن الهجاء بين الفرزدق وجرير قد لج نحوا من أربعين سنة لم يُغَلَّب واحد منهما على صاحبه ، ولم يتهاج شاعران فى الجاهلية والاسلام بمثل ماتهاجيا به ، وأشعارهما أكثر من أن يأتى عليها ولكنه يكتب منها النادر[١٠].

وقبل أن أترك الحديث عن ابن سلام فى عرضه لفن الفرزدق والأخطل وجرير ،

(١) المصدر السابق ٥٥٠
(٢) ابن سلام : الطبقات ٣٧٤
(٣) المصدر السابق ٣٧٤ و ٣٧٥
(٤) المصدر السابق ٣٧٧
(٥) المصدر السابق ٣٧٨
(٦) المصدر السابق ٣٧٧
(٧) المصدر السابق ٤٧٤
(٨) الطبقات ٤٨٧
(٩) المصدر السابق ٢٩٩
(١٠) المصدر السابق ٣٨٩

نلفت النظر إلى ملاحظة نقدية لابن سلام ، إذ لاحظ أن الشاعر قد يكون مشهورا عند العامة وأقل شهرة عند العلماء لأن الرقة والعذوبة والرشاقة تعجب الناس ، بينما يهتم العلماء بالجزالة والفخامة والمتانة والمعنى البعيد .

فالفرزدق كان يداخل الكلام ـــ وكان ذلك يعجب أصحاب النحو[1] وكان يونس بن حبيب يقدمه بغير إفراط ، والمفضل الراوية يقدمه تَقْدِمَةً شديدة[2] .

وابن سلام نفسه كان يفضله[3] ويقول عنه إنه أكثرهم بيتا مقلدا أى بيتا مستغنيا بنفسه ، مشهورا يضرب به المثل[4] بينما كان أهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب[5] لرقة كانت فى شعر جرير وحلاوة حَوْكه فجعلته أيسر وعلى الناس أسهل ، وبيت النسيب عند أهل البادية : (إن العيون التى فى طَرْفِهَا مَرَضٌ ...) له وبيت الهجاء عندهم بيته القائل (فَغُضَّ الطرفَ إنك من نُمَيْرٍ) ، وفى المديح بيته (ألستم خير من ركب المطايا) ، وفى الفخر بيته « إذا غَضِبَتْ عليك بنو تميم »[6] .

فذوق العامة يختلف عن ذوق الخاصة ، والعلماء يرون مايراه الناس ولكنهم يطلبون من الشعر والشاعر غير مايطلبه منهما عامة الناس ، لذا اختلفت وجهتا النظر ـــ وهى دائما مختلفة .

ونترك الحديث عن طبقات الإسلاميين بعد أن نشير إلى دقة ابن سلام فى تقبل الأخبار التى يرويها فهو لايتقبل النص الأدبى على علاته ، بل يمحصه ويناقش جوانبه التى يتهمها .

ففى الملاحاة التى قامت بين الجحاف السُّلَمى والأخطل ، حين ثارت ، قبيلتاهما فأغار الجحاف على البشر ، وهى منازل تغلب ، فأسرف فى القتل ، فيهم فاستخذى الأخطل وقال شعرا فأجابه الجحاف :

(١) المصدر السابق ٣٦٤

(٢) المصدر السابق ٢٩٩

(٣) المرزبانى : الموشح ١٨٦

(٤) الطبقات : ٣٦١

(٥) المصدر السابق ٣٧٥

(٦) المصدر السابق ٣٧٩

أبا مالك هل لُمْتَنِي مذ حَضَضْتَنِى   على القَتْل ؟ أم هل لامنى لك لائمُ

يقول ابن سلام : وقال لى أبان الأعرج : أدرك الجحاف الجاهلية ، فقلت له : لِمَ تقول ذلك ؟ قال لقوله :

شهدن مع النبى مُسَوَّمَاتٍ   حُنيناً ، وَهْى دَامِيَةُ الكِلَامِ
نُعَرِّضُ للطِّعَان إذا التقينا   وجوها لا تُعَرَّضُ لِلَّطَامِ

فقلت له : إنما عِنَى خَيْل قومه بنى سليم . وذكرت ذلك لعبد القاهر بن السَّرِىِّ ، فقال : جَدِّى قيس بين الهيثم أعطى حكيم بن أمية جاريةً ولدت له الْجَحَّافَ فى غرفة فى دارنا — لاأحسبه إلا قال : رأيتها[1] . وكذا فى خبر أَسْر أبى عزة الجمحى[2] .

ونشير أيضا إلى عدم خضوعه لشهرة الشاعر وبُعْد صيته يقول : وكان الأخطل مع مهارته وشعره يُسْقط ، كان مدح سِمَاكا الأسدى — وهو الهالكى بن عمير بن عمرو بن أسد ، وبنو عمرو يلقبونن القُيُون ، ومسجد سماك بالكوفة معروف ، وكان من أهلها ، فخرج أيام علىّ هاربا فَلَحِقَ بالجزيرة فمدحه الأخطل فقال :

نِعْمَ الْمجِيرُ سِمَاكٌ من بنى أَسَدٍ   بالمَرْج إذْ قَتَلَتْ جيرَانَها مُضَرُ
قَد كنتُ أحسبُه قينا وأُنْبَؤُهُ   فاليوم طَيِّر عن أثوابه الشَّرُرُ
إِنَّ سماكا بنى مجدا لأسرته   حتى الممات وفعل الخير يُبْتَدَرُ

فقال سماك : ياأخطل ، أردتَ مديحى فهجوتنى ، كان الناس يقولون قولا فحققته ، فَلَماً هجا سويدا قال له سويد ، ياأبا مالك ، والله ماتحسن أن تهجو ولاتمدح ، لقد أردت مدح الأسدى فهجوته ، يعنى قوله (قد كنت أحسبُه قينا) وأردت هجائى فمدحتنى ، جعلت وائلا كلها حَمَّلْتَنِى أمورها وماطَمعت فى بنى ثعلبة فضلا عن بكر فزدتنى تَغْلِبَ[3] .

---

(١) الطبقات ٤٨١ و ٤٨٢

(٢) ابن سلام — الطبقات ٢٥٥ ، يقول ابن سلام : حدثنى أبان بن عثمان وهو قول ابن اسحاق : أن أبا عزة أسر يوم أحد ، فقال : يارسول الله مُنَّ عَلَى ! فقال النبى ﷺ لاتمسح عارضيك بمكة ، تقول : خدعت محمدا مرتين فقتله فَذَكَرْتُ ذلك لابن جعدية فقال : ماأُسر يوم أحد هو ولاغيره ، ولقد كان المسلمون يومئذ فى شغل عن الأسر ولم ينكر قتله .. الخ » .

(٣) ابن سلام : الطبقات ٤٦٩

قد تكون هذه الإشارة مجالها الفصل التالى ، فلها حديث آخر ، وستُقْرَنَ إلى موضوع آخر ، وكفانا هنا أن نقدم الطبقات الإسلامية التى ذكرها ابن سلام فى كتابه مغتنمين قيَمَها النقدية وأُخبارها الأدبية الغزيرة .

وإذا قصَّرنا فى عرض بعض جوانب الطبقات الإسلامية أو غيرها فقد تركناها عمدا لنعالجها فى مكان آخر .

سادسا : رأى فى الطبقات

ليس أسلوب الكاتب هو ألفاظه ومايلازمها من إطناب أو إيجاز ، لأن الألفاظ ليست سوى عنصر من عناصر أسلوب الكاتب تسبقها خطوات أخرى .

فإعداد الكاتب نفسه علميا مع الاستفادة مما يتعلمه يعتبر أولى الخطوات المكونة لأسلوب الكاتب .

وابن سلام ، أراد أن يقيم الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، وأن يقرر القضايا النقدية التى رسخت بين صفوف المشتغلين بالأدب والنقد فى عصره ، فكان أسلوبه أن تثقف ثقافة واسعة وتلقى تلقيا واسعا ، ونوّع معارفه وكثّر تجاربه العلمية ، ولما اطمأن إلى قدرته على توصيل آرائه النقدية تصدى للكتابة .

فأسلوبه إعداد للموضوع ، ثم اختيار الهيكل العام لهذا الموضوع ، وكانت فكرة « الطبقات » هى القالب التى صب ابن سلام فيها أفكاره المتعددة وأخباره الأدبية وأحكامه النقدية .

وحينما اصطدم بعامل الزمن جعل المخضرمين مُلْحَقِين بالجاهليين لشعوره بعدم وجود الفوارق الملموسة ، ثم ثنّاها بطبقة الإسلاميين ووجد أيضا أن هناك شعراء تسبب وجودهم فى بيئة معينة فى فرض غرض شعرى معين عليهم ، فشعراء مكة والمدينة حينما أدركهم الإسلام فرض عليهم أن ينصروه أو يعادوه ، ولاحظ كذلك أن نوازع المنافسة والحرب والتحدى وروح العصبية التى لها النصيب الأكبر فى تحريك مشاعر الشاعر ، قد خفت حدتها فى بيئاتٍ واحتدت فى بيئاتٍ ، فأثرت على النتاج الأدبى ، عموما ، ولاحظ أن بعض الشعراء قد وقعوا تحت تأثيرات نفسية أليمة جعلتهم يستريحون للون معين فى القول ، بينما وجد أن اليهود كان لهم شعراء وأن شعرهم قد اقترب بشدة من شعر العرب .

أقول : ارتضى ابن سلام بفكرة الطبقات وسيلة للتعبير عن غرضه . وهو لم يذهب بعيدا ، فالظروف الاجتماعية حوله قائمة على « الطبقات » من الخليفة الى آخر فئة من الشعب ، ولم تكن طبقات مرنة تؤدى بعضها إلى بعض بل كانت

كلها مغلقة ولاتسمح بانتماء الغريب اليها إلا فى ظروف خاصة وتحت ظروف غير طبيعية .

فالأجير لن يكون سيدا ، والمولى لن يكون حرا ، والمزارع الفقير لن يكون إقطاعيا ، والوزراء والكتاب لن ينحدروا فيصبحوا من عامة الشعب ، وهكذا لاصعود إلابصعوبة ، ولا هبوط الا بكوراث وانقلابات وقلما تكون .

وإذا ترك ابن سلام هذا الواقع الطبقى الاجتماعى الذى يعيش فيه فعنده الفكرة الطبقية الدينية التى جعلت إيمان المسلمين فى طبقات ، فالمهاجرون الأولون مفضلون بعد عمر بن الخطاب ثم بعدهم أهل العقبة ثم أهل المشَاهِدِ مشهد مشهدا ، وأهل كل مشهد أفضل من المشهد الذى بعده حتى يبلغ الأمر إلى الحديبية فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان مشهود له بالإيمان وحسن المال .

فهذه طبقات من طبيعتها أنها مغلقة على أهلها ومن غير المعقول أن يكون الرجل الواحد ممثلا فى طبقتين فى نفس الوقت .

وفى رجال الأحاديث النبوية الشريفة وجدت الطبقات فى الأخذ ، فهناك الصحابة الراشدون المخلصون ثم التابعون ثم تابعو التابعين ، ثم تابعو تابعى التابعين ، إلى أن ينتهى الأمر إلى العلماء الموثوق بهم الموكول إليهم القول الفصل فى الأحاديث من حيث الصحة وعدمها ، وهذه طبقات مغلقة أيضا على أهلها ولاتسمح بخروج أحد من طبقته الى طبقة أخرى لانه شيء خارج عن إرادة الأعضاء المكونين للطبقات أنفسهم ، فالتابعون كانوا يودون أن يكونوا صحابيين ولكن لاحيلة لهم والعلماء كانوا يتمنون أن يكونوا تابعين ولكن لاحيلة لهم وكذا كان الأمر .

فالمحدِّثون أيضا طبقات من حيث الأمانة وقوة الذاكرة والمشاهدة والإيمان والدقة والنزاهة ، أى من حيث السلامة النفسية والبدنية والدينية لأنه يوجد بجانبهم محدثون فيهم نظر ، كما يقول البخارى العظيم ، وهم طبقات من حيث هذه السلامة الدينية البدنية النفسية ، وذلك لأنهم يجوبون فى مجال محدود ، وهو

أحاديث رسول لله ﷺ ، فالطبقات التى وُضِعُوا فيها محدودة ، سياجها متين والموضوع المشتغلون به أيضا محدود ، فكانت الطبقات .

وأخذ عنهم ابن سلام نظامهم وطبقه على الشعراء ، فما حدث ؟

حدث أنه ألزم نفسه بأربعة رهط لكل طبقة وجعل الطبقات عشرا ، وحدث نقض لفكرة الطبقات لأنه يجب ألا يخرج من الطبقة طبقة ، ولكن ابن سلام أخرج من طبقة الشعراء الجاهلين طبقة أصحاب المراثى وطبقة شعراء القرى وطبقة شعراء اليهود ، وبهذا أصبحت طبقة الشعراء الجاهليين لاهى مغلقة ولا هى مفتوحة ، لاننا لانستطيع أن نقول أنها أُغلقت والطبقات التى تليها منها فى حقيقة الأمر ، ولانستطيع أن نقول إنها مفتوحة لأن قاعدة الطبقات عشر طبقات وهى كاملة العدد .

وأقصد بالطبقات المفتوحة ، الطبقات المرنة غير المحددة بعدد من الشعراء والتى تسمح بإمكان انتماء الشاعر لها ولغيرها بلا إجحاف ولا ضَيْر .

وهذه الطبقات يجب أن ترتبط بأشكال كلية بعيدة عن الجزئيات ، والأشكال الكلية بالنسبة للشعر — هى الأغراض الكبرى كالمدح والرثاء والوصف وغيرها ، أو الدين كجاهلية ، أو إسلام أو العصر أموية أو عباسية ... الخ أو الشكل المكانى البيئى : كبيئة العراق أو بيئة الشام وهكذا ...

الشكل الطبقى هنا ليس تسلسليا منقطعا لكنه شكل تجميعى متصل يجمع صفات عامة ، توافرت فى جماعة من الشعراء فوحدتهم ولم تمح فروقهم الفردية وإمكاناتهم الشخصية ، وبهذا نستطيع أن نجعل الشعراء الوصافين طبقة ونضع فيها الشعراء الذين حكم عليهم النقاد بأنهم متفوقون فى الوصف لمظاهر الطبيعة أو لنزعات البشر أو لوصف الحيوان أو للطيور أو غيرها وكذا نستطيع أن نجعل للهجائين طبقة وللمداحين طبقة وللغزليين طبقة بلا تحديد لعدد الطبقة وبلا غلق للطبقة على أعضائها .

وبهذه الطريقة ستسمح الطبقة للشاعر أن ينطوى تحتها وتحت غيرها إذا كان متفوقا فى أكثر من غرض شعرى ، بالإضافة إلى أنها ستحمينا من الوقوع فى بلبلة

الاضطراب من حيث التحديد ، وفى أيدينا أن نشكلها كيفما استطعنا من حيث الزمان أو المكان أو الفن الشعرى نفسه . ونحن نقسم الشعراء هذا التقسيم سنلحظ أنهم سينقسمون إلى شاعر متفوق وشاعر متوسط وشاعر ضعيف أو سينقسمون الى شاعر وشويعر وشعرور .

فالنظام الطبقى هنا ، نظامٌ يصف ولايحدد ، نظامٌ يميز فى أشكال ولا يدخل فى دوائر ، نظامٌ الشاعر فيه هو المحور وليست الطبقة هى المحور ، والأساس فكرة عامة لها مُثُل عليا وتقاليد مرعية ، وعن طريقها تفاضل بين شعراء الطبقة الواحدة فى فن الهجاء أو المدح أو التغزلْ أو الفخر أو غيرها من الأغراض .

وهذه الفكرة ممثلة بوضوح فى كتاب الطبقات لابن سلام ، فقد جعل طبقة تميز شعراؤها بالإجادة فى فن معين حتى شُهِرُوا به . وهم أصحاب المراثى « متمم ابن نويرة ، والخنساء بنت عمرو ، وأعشى باهلة وكعب بن سعد » وكَونُهم فى طبقة واحدة لم تمنع ابن سلام من أن يقرر أن المقدم عليهم متمم ابن نويرة(١) وكَوَّن طبقة ثانية تميز شعراؤها بأنهم عاشوا فى بيئة واحدة وتأثروا بمؤثراتها المختلفة فأخذ كل شاعر نصيبه من أثر البيئة ، فلاحظ ابن سلام ، أن القرى العربية كلَّها تعتبر بيئة واحدة من حيث عربيتها وظروفها الاجتماعية والاقتصادية والانقلابات الفكرية بها ، فجعلها طبقة منفردة مقسمة الى جزئيات عبارة عن بيئات صغيرة مكونة فى مجموعها البيئة الكبيرة . ولم ينس فى الطبقة الواحدة الجزئية أن يفاضل بين شعرائها ، ويقول شعراء المدينة أفضلهم حسان بن ثابت(٢) ، ويفاضل بين ابن الزِّبَعْرَى وبين ابن قيس الرقيات وعمر بن أبى ربيعة فى الغزل وهم من شعراء مكة(٣) .

وكَوَّنَ طبقة ثالثة تميز شعراؤها بأنهم جميعا ذو دين سماوى واحد وهم شعراء يهود ، وكون طبقة رابعة من الشعراء جمعت بين الشعر والفروسية واشتهروا بالشعراء الفرسان ، وهذه الطبقة التى يحدثنا عنها صاحب الأغانى حين ذكر دريد بن

---

(١) ابن سلام : الطبقات ٢٠٣ و٢٠٤

(٢) المصدر السابق ٢٢٥

(٣) المصدر السابق ٦٤٨

الصِّمَّة وقال : جعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان(١) وكذا خلف بن نُدْبة ، وقال عنه : جعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نويرة مع ابنى عَمِّه صخر ومعاوية ابنى عمرو بن الشريد ، ومالك بن حمار الشمخى(٢) ، فهو قد جعلهم طبقة مفردة للميزة التى امتازوا بها ، وفاضل بينهم وبين دريد بن الصمة حيث جعله أولهم فى الطبقة .

وكَوَّنَ طبقة خامسة من الشعراء تميزت بإجادة الرجز ـــ حيث لاحظ ابن سلام أن الشعر العربى بدأ بالبيت وبالاثنين وبالأرجوزة ، ونما البيتان وطالا حتى ظهرت القصيدة وبقيت الأرجوزة كما هى ، وبَرَعَ فيها طائفة من الشعراء فجعلهم طبقة . وهى الطبقة التاسعة من الشعراء الأسلاميين وهم الأغلب العجلى وأبو النَّجْم ، والعجاج ورؤبة بن العجاج ، ويقول عنهم وهم رُجَّازٌ وعن الأغلب العجلى يقول : وكان مقدما من أول من رجز(٣) أى أنه فاضل بينهم بالرغم وجودهم فى طبقة منفردين(٤) .

وكون طبقة سادسة تميز شعراؤها بنزعتهم الشخصية إلى فن التشبيب ، وساعدتهم بيئتهم وظروفها على ذلك ، وهم عبد الله ابن قيس الرقيات والأحوص وجميل ونصيب(٥) وينص على أنهم مشببون وليسوا غَزِلين ويُخْرِج منهم كثِّيراً لأنه لم يكن عاشقا وكان يَتَقَوَّل(٦)

---

(١) الأغانى : ط ساسى ٢/٩

(٢) الأغانى : ط ساسى ١٣٤/١٦

(٣) ابن سلام : الطبقات ٧٣٧

(٤) يقصد ابن سلام من كون الأغلب العجلى أول من رجز ، أنه المقدم على من رجز من زملائه الشعراء ، لا كما فهم البعض من أنه أول من قال الشعر رجزا ، فليس ابن سلام الذى يذهب إلى هذا ، وتاريخ الشعر العربى بين يديه يمنعه من الوقوع فى مثل هذا الزلل .

(٥) ابن سلام : الطبقات ٦٤٧

(٦) ابن سلام : الطبقات ٥٤٥

الفصل الثالث

ابن سَلّام فى العصر الحديث

أولا : أزمة الثقة بالشعر الجاهلى وموقفها من كتاب « الطبقات » لابن سلام .

ثانيا : موقف نُقّاد طه حسين من « الطبقات لابن سلام »

ثالثا : مؤرخو النقد الأدبى وكتاب « الطبقات »

أولا : أزمة الثقة بالشعر الجاهلى وموقفها من كتاب ابن سلام :

ظهر كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى سنة ١٩١١م ويقع فى ثلاثة أجزاء ، ومن يتصفح الكتاب يلحظ أن المؤلف اعتمد على كتاب "العمدة" لابن رشيق القيروانى ولم يذكر ابن سلام إلا عَرَضًا ومرة واحدة فى الجزء الثالث (ص ٣٠٦) ، وقد يرجع ذلك إلى سنة تأليف الكتاب وهى سنة ١٩٠٩م كما تقول المقدمة (ص ل) وظهوره سنة ١٩١١م لم تكن قد ظهرت بعد طبعة يوسف هِل لطبقات الشعراء التى كانت سنة ١٩١٦م .

وقد خص الأستاذ مصطفى صادق الرافعى الروايةَ والرواةَ بباب كامل من الجزء الثالث نيفت صفحاته على مائة وخمسين(١) وحشد مادة عظيمة لَمَّ فيها شتات الموضوع من أطرافه واستقصاه استقصاءً .

وسنقف عند حديثه عن « وَضْع الشعر » وقفة نلم فيها بما بيَّنهُ من بواعث على وضع الشعر ، وسنحاول أن نرتبها هنا فى نَسَق ، وكان قد أرسلها فى كتابه إرسالا .

١ ـــ تَكَثُّر القبائل : لتعتاض عما فقدته ، بعد أن راجعت الرواية ، وبخاصة القبائل التى قَلّتْ وَقَائِعُها وأشعارها ، وكانت أُولاَهَا قبيلةُ قريش ، فقد وضعت لحسان بن ثابت أشعارا كثيرة(٢) .

٢ ـــ شعر الشواهد(٣) : وهو النوع الذى يدخل فيه أكثر الموضوع ، لحاجة العلماء إلى الشواهد فى تفسير الغريب ومسائل النحو ... وشعر الشواهد فى اصطلاح الرواة على ضربين ، « شواهد القرآن » و« شواهد النحو »(٤) .

والكوفيون أكثر الناس وضعا للأشعار التى يُسْتَشْهد بها لضعف مذاهبهم وتعلقهم على الشواذ واعتبارهم منها أصولا يقاس عليها .... قال الأندلسى فى

---

(١) الرافعى : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٧٧ ـــ ٤٣٤

(٢) مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب اللغة العربية ٣٦٥ ـــ ٣٦٧

(٣) المصدر السابق ٣٦٨

(٤) المصدر السابق ٣٦٩

شرح « المفصَّل » ، والكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا بَوَّبُوا عليه بخلاف البصريين[1] ولهذا وأشباهِهِ اضطر الكوفيون إلى الوضع فيما لايجدون له شاهدا ، إذا كانت العرب على خلافهم .

(ب) الشواهد التى كان بعض المعتزلة والمتكلمين يولِّدونها للاستشهاد بها على مذاهبهم[2] .

وقد أورد ماذكره ابن قتيبة فى « التأويل » من أنهم ذهبوا إلى أن معنى « كرسى » فى قوله تعالى « وَسِعَ كرسِيُّه السمواتِ والأرضَ » (البقرة ـــ ٢٥٥) هو العلم وجاءوا على ذلك بشاهد لايعرف ، وهو قول الشاعر:(ولايكرسىء) علم الله مخلوق .

(ج) الشواهد على الأخبار : فلما كثر القصاصون وأهل الأخبار اُضْطُرُّوا من أجل ذلك أن يصنعوا الشعر لما يلفقونه من الأساطير حتى يلائموا بين رقعتى الكلام ، وليحدروا تلك الأساطير من أقرب الطرق إلى أفئدة العوام ، فوضعوا من الشعر على آدم ، فَمَنْ دُونَه من الأنبياء وأولادهم وأقوامهم ، وأول من أفرط فى ذلك محمد بن اسحاق[3] ثم ذكر أن مما يدخل فى هذا الباب شعر الجن وأخبارها[4] .

٣ ـــ الاتساع فى الرواية : وهو سبب من أسباب الوضع يقصد به إلى فحول الرواة ان يتسعوا فى روايتهم فيستأثروا بما لايُحْسِنُ غيرهم ، ولذا يضعون على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها ، ويزيدون فى قصائدهم التى تعرف لهم ويدخلون من شعر الرجل فى شعر غيره ثم يُمثِّلُ على ذلك بحماد الرواية وخلف الأحمر .

هذا ماكان من مجهود الأستاذ مصطفى صادق الرافعى حيال موضوع الشعر المصنوع من جانب ، وحيال كتاب ابن سلام من جانب آخر .

وفى سنة ١٩٢١ ظهرت دراسة للأستاذ أحمد ضيف وهى « مقدمة لدراسة بلاغة العرب » ، أو محاولة التعريف بالبلاغة عند الأوربيين والعرب ولم نجد فيها ذكرا

---

(١) مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب اللغة العربية ٣٧٠

(٢) المرجع السابق ٣٧٣

(٣) المرجع السابق ٣٧٥

(٤) المرجع السابق ٣٧٩

لابن سلام ، والفقرة التى تتصل بتاريخ النقد فى الكتاب تقول : إن كل ماوجد من النقد هو أفكار فردية وآراء لبعض كبار الأدباء المنثورة ، وتراجمهم ، ومن أراد أن يطلع على ذلك فليراجع مقدمة « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ومقدمة « جمهرة أشعار العرب » لابن أبى زيد الخطاب وترجمة النابغة الذبيانى فى الأغانى وغيره من فطاحل الشعراء كجرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم(١) .

وفى هذه الدراسة عالج الأستاذ أحمد ضيف أشكال الشعر المصنوع فيقول عن الرواية فى الحديث : "أنها وصلت إلى أعلى درجات الدقة والاتقان ثم يتساءل هل هذه العناية بنفسها وجدت فى رواية الشعر ؟ ويجيب : هذا مالا يمكن الجزم به بدليل مانسب إلى الرواة ، وبدليل مانراه من الاختلاف فى ذلك فإن بعض الأشعار لايزال قائلها مجهولا ، ولكن لايذهب فى الأمر إلى غايته ، يقول : إذا اتبعنا الطرق العلمية المحضة التى تقول إنه لايصح الجزم بشىء إلا إذا ثبت بدليل قطعى ، فلا يصح التصديق بذلك تصديقا تاما لايحتمل عدم الصحة ، وأما إذا نظرنا بنظرة المتساهل الذى يحسن الظن ، ولا يقيد نفسه بالقواعد والقوانين العلمية ، فإننا لانجارى هؤلاء فى شكهم خصوصا أنه من المستحيل أن تكون كل هذه الأشعار أو أكثرها مخترعة ، أو منسوبة إلى غير قائلها بدون سبب ولا داع إلى ذلك ، وإذا كذب الرواة أو دسوا على بعض الشعراء شيئا ، فان ذلك لايمكن أن يصل إلى مقدار مانعرفه من الشعر الجاهلى .

وكيف يمكن اختراع هذا الشعر الكثير وبه العبارات والأساليب مايدل على أنه بدوى صرف ، وأى أنسان يمكنه أن يحصل على هذه القدرة ليشغل وقته وينسب إلى غيره وكان أولى به أن يذكره لنفسه ليفتخر به . أنرمى كل الرواة وعلماء اللغة والأدب بالكذب ؟ أو نتهمهم بعدم الثقة ، لأن حمادا أو غيره كذب مرة أو مرتين ؟ وهل يصح أن نحكم على البلد أجمع بالمرض لأن بها إنسانا مريضا ؟(٢) ".

ثم يتهم الأستاذ أحمد ضيف جماعة المستشرقين بالمبالغة فى تعقب مسألة الشعر المصنوع .

---

(١) أحمد ضيف : مقدمة لدراسة البلاغة ١٦٥ ـــ الطبعة الأولى ١٩٢١م ، مطبعة السفور بالقاهرة

(٢) أحمد ضيف : مقدمة لدراسة البلاغة ٦١ ، ٦٢

أما عن **المحدثين من المستشرقين** فلعل مرجليوث كان من أوائل من أثار منهم الشك فى الشعر الجاهلى فى مقالة كاملة ، وخصص صفحاتها الكثيرة للحديث عن هذا الموضوع من جميع أطرافه . فقد نشر فى مجلة الجمعية الملكية الأسبوعية بحثا عنوانه « أصول الشعر العربى »(١) رجع فيه إلى أن هذا الشعر العربى الذى نقرؤه على أنه شعر جاهلى ، إنما نظم فى العصور الإسلامية ، ثم نحله هؤلاء الواضعون المزيفون لشعراء جاهليين .

ثم تعاورَ نَفَرٌ من المستشرقين الحديثَ عن صحة الشعر الجاهلى ، وكان أكثرهم يرد دعوى « مرجليوث » ويفند أدلته وافتراضاته .

وأولهم فيما نعرف الأستاذ « شارل جيمس لَيَاّل » الذى أشار فى المقدمة التى صدَّر بها الجزء الثانى من المفضليات سنة ١٩١٨م إلى ماجاء به مرجليوث فى مقالته المنشور فى مجلة الجمعية الملكية الأسبوعية عدد سنة ١٩١١ ص ٣٩٧ وإلى ماأورده فى (مَعْلَمَة الدين والأخلاق) من حديثه عن « محمد ﷺ » وماأورده فى الصفحة الستين من كتابه « محمد ﷺ » سنة ١٩١٥م(٢) .

وأما « جورجيو ليفى دالافيدا » ففى مقالته « بلاد العرب قبل الإسلام »(٣) قد تحدث عن قيمة المصادر التاريخية لهذه الفترة وعرض فى حديثه للشعر الجاهلى من حيث هو مصدر من هذه المصادر يقول « وهذا الموقف المتشكك مبالغ فيه ، فإن الرواية التاريخية عن بلاد العرب فى عصورها الوسيطة « الجاهلية الأخيرة » ليست أوثق ولا أضعف من أية رواية أخرى ، عن أى عصر تاريخى يعوزنا فيه الدليل التاريخى .»

ومن هؤلاء المستشرقين من تعرض للمشكلة تعرضا عابرا كيوسف جِبْ Gibb وبروكلمان .

---

(1) The Origins poetry, journal of the Royal Asiatic society 414-419

(٢) شارل جيمس ليال : ديوان المفضليات : شرح الأنبارى ـــ المجلد الثانى ـــ ط ـــ بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩١٨م ـــ المقدمة .

(3) Goirgio Levi Della Pre-islamic the Arab heritage, 41-48 (New Jersey 1944).

ثم استقر الوضع فى سنة ١٩٢٦ بين يدى الدكتور طه حسين فخلق منه مالم يعرفه القدماء ولم يقتحم المحدثون العرب السبيل إليه من قبل).

وقد رجع الدكتور طه حسين إلى طبقات ابن سلام فى كتابه « فى الأدب الجاهلى » المعدل عن كتابه « فى الشعر الجاهلى » صاحب الضجة وكان ذلك فى الصفحات (١٢٢ ـــ ١٣٠ ـــ ١٣١ ـــ ١٣٢ ـــ ١٣٨ ـــ ١٥٢ ـــ ١٥٤ ـــ ١٥٥ ـــ ١٥٦ ـــ ١٥٧ ـــ ١٥٨ ـــ ١٧٠ ـــ ٢١٢ ـــ ٢١٦ ـــ ٢٢٦ ـــ ٢٢٧ ـــ ٢٣٣ ـــ ٢٤٧ ـــ ٢٤٩ ـــ ٢٥٠ ـــ ٢٥ ـــ ٢٥٥ ـــ ٢٩٠) .

وكان الرجوع إلى كتاب طبقات الشعراء فيها مسبوقا بـ « قال ابن سلام وما فى معناها » . أما الصفحات (٨١ ـــ ٩٢ ـــ ٢٩١) فقد اعتمد فيها ابن سلام بدون ذكر اسمه ، أى أنه اعتمد على كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام فى الكتاب الثالث والرابع والخامس من سبعة الكتب التى يتألف منها الكتاب ، وإذا أخرجنا الكتاب الأول وهو فى الأدب وتاريخه ـــ وقد زيد من أثر نشوب المعركة على كتابه فى الشعر الجاهلى ـــ يكون اعتماد الدكتور طه حسين على ابن سلام أدى به إلى تأليفه نصف الكتاب أو الجزء المهم منه ، لأن الكتاب الثانى يشرح فيه منهجه وكيف سيطبق مبدأه ، والكتاب السادس فى تعريف الشعر وموقف المعاصرين منه ، ونوعه ، وفنونه ، وبحوره ، والكتاب السابع فى النثر الجاهلى .

ويجدر بنا أن نقول : إنّ الدكتور طه حسين فى سنة ١٩٢٥ ، حين نشر كتابه « حديث الأربعاء » ، قد رجع أيضا إلى طبقات ابن سلام وذلك فى جزئه الأول منه ، فى الصفحات (٤٢ ـــ ١١٦ ـــ ١٥١ ـــ ١٧٩) .

والثورة التى ماجت بظهور هذا الكتاب سببها :

أولا : الجنوح إلى مقدسات الأمة العربية الإسلامية ، وادخال نصوص القرآن فى محاولة إثبات عملية تواطؤ كبيرة المدى ، بين القرآن والتوراة وبين الرسول واليهود ، حول قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام(١) .

---

(١) قال الدكتور طه حسين « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن=

ثانيا : محاولة التطبيق الخاطئ لفلسفة ديكارت على الأدب العربى ، مما أدى إلى رفض المؤلف للشعر الجاهلى ، والتشكيك فيه مع قبوله لبعض القصائد بحيطة وحذر شديدين .

هاتان الفكرتان أجّجتا النيران حول الكتاب وانبرت أقلام العلماء والأدباء فى تكتل مشرّف يدافعون عن الدين الإسلامى والأدب العربى .

ولايهمنا هنا إلاّ جانب « أسباب نحل الشعر الجاهلى » ، لأنه الموضوع الذى تعرض له ابن سلام ، لذا نجد لزاما علينا أن نلخص رأى الدكتور طه حسين فى كتابه « الشعر الجاهلى » والذى ظهر بعد ذلك بثوب جديد باسم « فى الأدب الجاهلى » وقد حُذف منه فصْلٌ وأُثبت مكانه فصل وأضيفت إليه فصول وغُيِّر عنوانه بعض التغيير[1] .

وهو بَعْدَ أن تعرض لسبب شكه وارتيابه فى الشعر الجاهلى ، ختم حديثه بتقديم دوافع ريبته قائلا : وإن من الحق علينا لأنفسنا وللعلم ، أن نسأل : أُليس هذا الشعر الجاهلى ، ثبت أنه لايمثل حياة العرب الجاهليين ولاعقليتهم ولادياناتهم ولاحضارتهم بل لايمثل لغاتهم ، أليس هذا الشعر قد وضع وَضْعًا ، وحُمل على أصحابه حملا بعد الإسلام ؟ أما أنا فلا أكاد أشك إلا فى هذا ، ولكننا محتاجون بعد أن ثبتت لنا هذه النظرية أن نتبين الأسباب المختلفة التى حملت الناس على وضع الشعر والنثر ونحلهما بعد الإسلام[2] .

ومن أجل ذلك نراه فى (الكتاب الثالث) (يبسط أسباب نحل الشعر) بسطا أفرغ فيه كثيرا من الجهد حتى لقد وصل بنا إلى أن « كل شىء فى حياة المسلمين فى القرون الثلاثة الأولى كان يدعو إلى نحل الشعر ، وتلفيقه سواء فى

= ورود هذين الاسمين فى التوراة والقران لايكفى لإثبات وجودهما التاريخى فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربه فيهما ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى أثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى » الشعر الجاهلى ــ ص ٢٦ ، الطبعة الأولى ط دار الكتب القاهرة ١٩٢٦م

(١) مقدمة الطبعة الثانية : الأدب الجاهلى ١٩٢٧م ــ د

(٢) الدكتور طه حسين : الأدب الجاهلى ص ١١١

ذلك الحياة الصالحة حياة الأتقياء والبررة ، والحياة السيئة حياة الفسق وأصحاب المجون[1] ».

وهو يرى أن هذه الأسباب التى دعت إلى نحل الشعر ووضعه مردها إلى خمسة أمور :

أولا : السياسة :

وهو لايعنى السياسة بمعناها الواسع الذى نفهمه منها الآن ، وإنما يحصر مدلول السياسة فى العصبية القبلية ، وحتى هذه العصبية لايتحدث عنها حديثا شاملا ولكنه يكتفى بمثالين :

١ ـــ العصبية بين المهاجرين والأنصار أو بعبارة أصح بين قريش والأنصار[2] ويورد لتأييد رأيه روايتين : الأولى : مايروى من أن عمر بن الخطاب نهى عن رواية الشعر الذى تهاجى به المسلمون والمشركون أيام النبى ـــ ويرى الدكتور أن هذه الرواية نفسها تثبت رواية أخرى ، هى أن قريشا والأنصار تذاكروا ماكان قد هجا به بعضهم بعضا أيام النبى ، وكانوا حِراَصاً على روايته ، ويجدون فى ذلك اللذة والشماته ، مالايشعر به إلا صاحب العصبية القوية إذ وُتِرَ أو انتصر[3] .

ويدعم رأيه هذا بما يروون أيضا عن عمر من قوله لأصحاب النبى ، قد كنت نهيتكم عن رواية هذا الشعر لأنُه يوقظ الضغائن ، وأما إذا أَبَوْا فاكتبوه ، ويعقب الدكتور طه حسين على ذلك بقوله : وسواء أقال عمر هذا أم لم يقله فقد كان الأنصار يكتبون هجاءهم لقريش على ألاَّ يضيع[4] .

والثانية : ماذكر من أن ابن سلام قال : وقد نظرتْ قريش فإذا حظها من الشعر قليل فى الجاهلية فاستكثرت فيه فى الإسلام ، وعقب عليه الدكتور بقوله

(١) الدكتور طه حسين : الأدب الجاهلى ١٧٣

(٢) المرجع السابق ١١٨

(٣) المرجع السابق ١٢٠

(٤) المرجع السابق ١٢١

« وليس من شك عندى فى أنها استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذى يُهجى فيه الأنصار »(١) .

٢ ــ وأما المثال الثانى فهو لايورده فى هذا الفصل الذى عقده عن العصبية القبلية ، وإنما ينثره فى الكتاب الذى يليه ، حين يتحدث عن امرئ القيس وشعره فيقول : « ونحن نذهب هذا المذهب نفسه فى تفسير هذه الأخبار والأشعار التى تمس تنقل امرئ القيس فى قبائل العرب ، فهى محدثة ، نُحِلَت حين تناقشت القبائل العربية فى الإسلام ، وحين أرادت كل قبيلة ، وكل حى أن تزعم لنفسها من الشرف والفضل أعظم حظ ممكن »(٢) .

ولم يكتف الدكتور بذلك ، بل قال : « نحن لانقف عند استخلاص هذه النتيجة وتسجيلها ، وإنما نستخلص منها قاعدة علمية ، وهى أن مؤرخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر الذى يسمى جاهليا ، أن يَشُكَّ فى صحته كلما رأى شيئا من شأنه تقوية الغضبية أو تأييد فريق من العرب على فريق .

ويجب أن يشتد هذا الشك كلما كانت القبيلة أو العصبية التى يؤيدها هذا الشعر قبيلة أو عصبية قد لعبت كما يقولون ــ دورا فى الحياة السياسية للمسلمين(٣) :

ثانيا : وهو يُدْخِلَ فى باب الدين مايلى من الأمثلة :

١ ــ يقول « فكأن هذا النحل فى بعض أطواره يقصد به إثبات صحة النبوة وصدق النبى ــ وكان هذا النوع موجه إلى عامة الناس ، وأنت تستطيع أن تحمل على هذا كل مايروى من هذا الشعر الذى قيل فى الجاهلية ممهدا لبعثة النبى ، وكل مايتصل بها من الأخبار والأساطير التى تروى لتقنع العامة ، بل علماء العرب ، وكُهَّانهم وأحبار اليهود ورهبان النصارى كانوا ينتظرون بعثة نبى عربى يخرج من قريش أو من مكة ، فى سيرة ابن هشام وغيرها من كتب التاريخ

(١) المرجع السابق ١٢٢

(٢) الدكتور طه حسين : فى الأدب الجاهلى ٢٠٠

(٣) المرجع السابق ١٣٢

والسير والضروب كثيرة من هذا النوع[1] .

٢ ــ ويقول « وأنت تستطيع أن تحمل على هذا لونا آخر من الشعر المنحول لم يُضَفّ إلى الجاهليين من عرب الإنس ، وإنما أضيف إلى الجاهليين من عرب الجن[2] والغرض من هذا النحل ــ فيما نرجح ــ إنما هو إرضاء حاجات العامة الذين يريدون المعجزة فى كل شيء ، ولايكرهون أن يقال لهم : إن من دلائل صدق النبى فى رسالته أنه كان مُنْتَظَراً قبل أن يجيء بدهر طويل ، تحدَّث بهذا الانتظار شياطينُ الجن وكُهَّان الإنس[3] .

٣ ــ ويقول « ونوع آخر من تأثير الدين فى نحل الشعر ، وهو الذى يلجأ إليه القصاص لتفسير مايجدونه مكتوبا فى القرآن من أخبار الأمم القديمة البائدة ، كعاد وثمود ومن إليهم ، فالرواة يضيفون إليهم شعرا كثيرا وقد كفانا ابن سلام نقده وتحليله حين جد فى «طبقات الشعراء » فى إثبات أن هذا الشعر ومايشبهه مما يضاف إلى تُبَّع وحِمْيَر موضوع منحول وضعه ابن إسحق ومَنْ إليه مِنْ أصحاب القصص[4] .

٤ ــ ويقول « ونوع آخر من تأثير الدين فى نحل الشعر وإضافته إلى الجاهليين وهو مايتصل بتعظيم شأن النبى من ناحية أسرته ونسبه فى قريش[5] .

٥ ــ ونوع آخر من تأثير الدين فى نحل الشعر ، وذلك حين ظهرت الحياة العلمية عند العرب بعد أن اتصلت الأسباب بينهم وبين الأمم المغلوبة فأرادوا هم أو الموالى أو أولئك وهؤلاء ، أن يدرسوا القرآن درسا لغويا ويثبتوا صحة ألفاظه ومعانيه ، ولأمرٍ ماشعروا بالحاجة إلى إثبات أن القرآن كتاب عربى مطابق فى ألفاظه للغة العربى فحرصوا على أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات القرآن بشيء من شعر العرب ، يثبت أن هذه الكلمة القرآنية عربية لا سبيل إلى الشك فى عربيتها[6] .

(١) المرجع السابق ١٣٣

(٢) المرجع السابق ١٣٣

(٣) الدكتور طه حسين : فى الأدب الجاهلى ١٣٥

(٤) المرجع السابق ١٣٨

(٥) المرجع السابق ١٣٥

(٦) المرجع السابق ١٣٨

٦ — وهناك نوع جديد من تأثير الدين فى نحل الشعر « فهذه الخصومات بين العلماء كان لها تأثير غير قليل فى مكانة العالِم وشهرته ... ومن هنا كان هؤلاء العلماء حِرَاصاً على أن يظهروا دائما بمظهر المنتصرين فى خصوماتهم ... وأى شىء يتيح لهم هذا ، مثلَ الاستشهاد بما قالته العرب قبل نزول القرآن ؟ ... وهم مجمعون على أن هؤلاء الجاهليين الذين قالوا فى كل شىء ، كانوا جهلة غلاظا فظاظا ، أفترى إلى هؤلاء الجهال الغلاظ يستشهد بجهلهم وغلظتهم على ماانتهت إليه الحضارة العباسية من علم ودقة فنية ؟ المعتزلة يثبتون مذاهبهم بشعر العرب الجاهليين ، وغير المعتزلة من أصحاب المقالات ينقضون أراءَ المعتزلة معتمدين على شعر الجاهليين، ولأمرٍ ماكان البدْعُ فى العصر العباسى عند فريق من الناس أن يردوا كل شىء إلى العرب حتى الأشياء التى استحدثت أو جاء بها المغلوبون من الفرس والروم وغيرهم(١) .

٧ — ويعرض لما يروون من وجود أفراد قبل الإسلام كانوا يحتفظون بالحنيفية دين إبراهيم وكان فى أحاديثهم مايشبه الإسلام فيقول : « فأحاديث هؤلاء الناس وضعت لهم ، وحُمِلَتْ عليهم بعد الإسلام .لا الشىء إلاَّ ليثبت أن للاسلام فى بلاد العرب قُدْمَةً وسابِقَة ، على هذا النحو تستطيع أن تحمل كل ماتجد من هذه الأخبار والأشعار والأحاديث التى تضاف إلى الجاهليين والتى يظهر بينها وبين مافى القرآن والحديث شبه قوى أو ضعيف(٢) .

٨ — ثم يتحدث عن المسيحية واليهودية فيقول « وليس من المعقول أن ينتشر هذان الدينان فى البلاد العربية دون أن يكون لهما أثر ظاهر فى الشعر العربى قبل الإسلام ، وقد رأيت أن العصبية العربية حملت العرب على أن ينحلوا الشعر ويضيفوه إلى عشائرهم فى الجاهلية بعد أن ضاع شعر هذه العشائر ، فالأمر كذلك فى اليهود والنصارى تعصبوا لأسلافهم من الجاهليين وأَبَوْا إلا أن يكون لهم شعر كشعر غيرهم من الوثنيين ، وَأَبَوْا إلاّ أن يكون لهم مجد وسُؤْدَدٌ كما كان لغيرهم مجد وسؤدد أيضا ، فنحلوا كما نحلوا غيرهم ، ونظموا شعراً أضافوه إلى السموءل بن عادياء وإلى عدى بن زيد ، وغيرهما من شعراء اليهود والنصارى(٣) .

(١) الدكتور طه حسين : فى الأدب الجاهلى ١٣٩ — ١٤٠

(٢) المرجع السابق ١٤١ — ١٤٢

(٣) المرجع السابق ١٤٦ — ١٤٧

ثالثا : القصص :

وقد عَرَض للقصص والقصاصين غير مرة فيما سبق من فصول ، ولكنه فى هذا الفصل يخص القصص والقصاصين بالحديث كُلِّهِ ، وبعد أن يتحدث عن نشأة القصص ، وقيام طائفة القصاصين يقول « وأنت تعلم أن القصص العربى لاقيمة له ولاخطر فى نفس سامعية ، إذا لم يُزَيِّنْه الشعر من حين إلى حين ... وإذن فقد كان القُصَّاص أيام بنى أمية وبنى العباس فى حاجة إلى مقادير لاحَدَّ لها من الشعر يزينون بها قَصَصَهُم وَيدْعُمُون بها مواقفهم المختلفة فيه . وهم قد وجدوا من هذا الشعر ماكانوا يشتهون ، وفوق ماكانوا يشتهون ، ولا أكاد أشك فى أن هؤلاء القَصَّاص لم يكونوا يستقلون بقصصهم ، ولا بما يحتاجون إليه من الشعر فى هذا القصص وإنما كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويلفقونها ، وآخرين ينظمون لهم القصائد وينسقونها . ولدينا نص يبيح لنا أن نفترض هذا الفرض . فقد حدثنا ابن سلام أن ابن اسحاق كان يعتذر عما يَرْوِى ، من غُثَاء الشعر فيقول : « لاعلم لى بالشعر إنما أُوتَى به فأَحْمِلُه » فقد كان هناك قوم إِذَنْ يأتون بالشعر وكان هو يحمله ، فمن هؤلاء القوم ؟ أليس من الحق لنا أن نتصور لنا أن هؤلاء القَصَّاص ، لم يكونوا يتحدثون إلى الناس فحسب ، وإنما كان كل واحد منهم يشرف على طائفة غير قليلة من الرواة والملفقين ومن النُّظَّام والمنسِّقين ، حتى إذا استقام لهم مقدارٌ من تلفيق أولئك وتنسيق هؤلاء طبعوه بطابعهم ونفخوا فيه من روحهم وأذاعوه بين الناس[١] . ثم يخص بالذكر ثلاثة ضروب من القَصَص : قَصَص لتفسير طائفة من الأمثال والأسماء والأمكنة[٢] وقَصَص المعمَّرين وأخبارهم[٣] وقصص أيام العرب وأخبارها[٤] .

---

(١) فى الأدب الجاهلى ١٥١ ــ ١٥٢

(٢) المرجع السابق ١٥٦

(٣) المرجع السابق ١٥٧

(٤) المرجع السابق ١٥٨

رابعا : الشعوبية :

ثم يتحدث عن الخصومة بين العرب والموالى فى الإسلام فيقول : « أما نحن فنعتقد أن هؤلاء الشعوبية قد نحلوا أخبارا وأشعارا وأضافوها إلى الجاهليين والإسلاميين ، ولم يقف أمرهم عند نحل الأخبار والأشعار ، بل هم قد اضْطَرّوا خصومهم ومناظريهم إلى النحل والإسراف فيه[1] ويقول : كانت الشعوبية تنحل من الشعر مافيه عيب للعرب وغض منهم وكان خصوم الشعوبية ينحلون من الشعر مافيه ذَوْدٌ العرب ورفع لأقدارهم[2] .

ثم يعيد ماأشار اليه عند حديثه عن الدين فيقول « ونوع آخر من النحل دعت إليه الشعوبية ، تجده بنوع خاص فى كتاب « الحيوان » للجاحظ ومايشبه من كتب العلم التى ينحو بها أصحابها نحو الأدب العربى القديم ... ذلك أن الخصومة بين العرب والعجم ، دعت العرب وأنصارهم إلى أن يزعموا أن الأدب العربى القديم لايخلو أو لايكاد يخلو من شىء تشتمل عليه العلوم المحدثة فإذا عرضوا الشىء مما فى هذه العلوم الأجنبية فلا بد من أن يثبتوا أن العرب ألموا به وكادوا يعرفونه ويلمون به[3] .

خامسا : الرواة :

والرواة فى رأيه بين اثنتين « إمّا أن يكونوا من العرب ، فهم يتأثرون بما كان يتأثر به العرب ، وإمّا أن يكونوا من الموالى ، فهم متأثرون بما كان يتأثر به الموالى ، من تلك الأسباب العامة ، وهم على تأثرهم بهذه الأشياء العامة متأثرون بأشياء أخرى ، هى التى أريدُ أن أقف عندها وقفات قصيرة ، ولعل أهم هذه المؤثرات التى عبثت بالأدب العربى وجعلت حظه من الهزل عظيما ، مجون الرواة وإسرافهم فى اللهو والعبث وانصرافهم عن أصول الدين وقواعد الأخلاق إلى مايأباه الدين وتنكره الأخلاق »[4] .

(١) فى الأدب الجاهلى ١٦٠
(٢) المرجع السابق ١٦٧
(٣) المرجع السابق ١٦٧
(٤) المرجع السابق ١٦٨

ثم يتحدث عن حماد وخلف وأبى عمرو الشيبانى ، وبعد أن يعرض مايُرْوَى من مُجونهم وَوَضْعِهم الأشعار يقول « وإذا فسدت مروءة حماد وخلف وأبى عمرو الشيبانى ، وإذا أحاطت بهم ظروف مختلفة تحملهم على الكذب والنَّحْل لكسب المال ، والتقرب إلى الأشراف والأمراء ، والظهور على الخصوم والمنافسين ، ونكاية العرب ويقول : « إذا فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف ، كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ماينقلون إلينا من شعر القدماء ... وهناك طائفة من الرواة غير هؤلاء ليس من شك فى أنهم كانوا يتخذون النحل فى الشعر واللغة وسيلة من وسائل الكسب ، وكانوا يفعلون ذلك فى شىء من السخرية والعبث ، نريد بهم هؤلاء الأعراب الذين كان يَرْتَحِلُ إليهم فى البادية رُواةَ الأمصار يسألونهم عن الشعر والغريب[1] . »

(١) الدكتور طه حسين : فى الأدب الجاهلى ١٧١ — ١٧٢

ثانيا موقف نقاد « فى الشعر الجاهلى »
من طبقات الشعراء لابن سلام

كان موقفا جديرا بالاحترام حقا ، أهلاً بكل تقدير ، فضلا عن البحث والدراسة والتقييم ، انبرى العلماء والفقهاء والكتاب ، كُلٌّ بقدر ماأوتى من ثقافة علمية أو دينية ، وفى ثورة تارة ، وتعقل تارة ... ، وبعد خطوب وأحداث ، وكلام وعتاب وخصام ، هدأت العاصفة وتغير اسم الكتاب من « فى الشعر الجاهلى » إلى « فى الأدب الجاهلى » ورُفع منه فصل ، ووضع فصول ، وانتهى الأمر بالنسبة للقضية ، وجاء دور النقد .

وليس من عزمى أن أناقش هنا الدكتور طه حسين ، فطوفان الكتب والمحاضرات والمقالات والمناقشات كفانى تِبَعَةَ النقاش .

هذا بالإضافة إلى أننى أبحث عن شيء داخل المعركة ، لا عن المعركة نفسها ، فهؤلاء النقاد نقدوا الدكتور طه حسين فى كتابه الذى يعتمد أساسا على كتاب طبقات الشعراء لابن سلام . فهل استفادوا من معالجة ابن سلام لقضية انتحال الشعر ؟ .

هل نال عرض ابن سلام لقضية الشعر المصنوع من النقاد مايجب أن يناله ، أم أن الأمر انقلب إلى ضجيج وعجيج .

لقد قمنا بجولة واسعة فى ميدان المعركة ، وتصفحنا كل ماوصل إلينا من رسائل هجومية ظهرت فى شكل كتب ، فلم يعننا مثلا كتاب الأستاذ مصطفى صادق الرافعى وهو باسم « تحت راية القرآن » ففيه شتائم وقذائف ، وسِبَاب على الرغم من المعلومات القيمة التى وردت فيه تكشف عن أصالة ، وتمكُّن ودراسة للأدب العربى .

وذلك لأن ابن سلام استُخْدِمَ وسيلة لتوكيد ادعاء الدكتور طه حسين واستغلاله أقوال ابن سلام لمصلحته فى الظهور بمظهر المفكر المبتدع .

وكذلك كتاب الأستاذ الشيخ محمد الخضرى حسين « نَقْضُ كتاب فى الشعر الجاهلى » الذى رجع إلى كتاب الطبقات ولكن ليبين مدى تحامل الدكتور طه حسين فى النصوص التى ينقلها منه ،

فالأمر كان مناقشةً مارجع فيه الدكتور طه حسين إلى كتاب ابن سلام ، لاورود ابن سلام فى القضية التى اعتمد عليها كتاب « فى الشعر الجاهلى » اعتمادا كبيرا .

وكذلك كتاب « محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية ، والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى » للأستاذ الشيخ محمد الخضرى حسين ،

لأن المؤلف بنى ثورته على الدكتور على أساس أنه لم يعترف لابن سلام بما يجب علينا له من فضل ، بالإضافة إلى نقل جُمَل محرفة عن مواضعها ، وبناء أحكام عليها مما يشوه صورة ابن سلام فى أذهان الدارسين .

أما كتاب « فى الشعر الجاهلى والرد عليه » للدكتور محمد حسين ، فهو مجرد إحساسات مؤلف مسلم حيال كتابٍ شَعَرَ أنه سيهدم الدين .

ويختلف عنه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى كتابه « مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين » فهو دائما يصرخ فى وجه الدكتور ويكرر له الاتهامات ، ويذكِّره بالأخطاء التى وقع فيها فى مختلف مايكتب .

أما ابن سلام نفسه فقد ذُكِرَ عرضا حين يقول : « أما علم القدماء فلماذا نضعه كله موضع الشك ، ولانضع منه موضع الشك مايستحقه فقط ، أليس هذا هو الإنصاف يادكتور ؟ ثم بعد ثمانية أسطر يقول « وهذا محمد بن سلام صاحب كتاب طبقات الشعراء يقول « فى الشعر المصنوع مفتعل موضوع كثير لاخير فيه .... » ثم يعود إلى ابن سلام مرة ثانية ولكن عن طريق الأغانى ، ينقل عنه عبارة موجودة بالنص فى كتاب طبقات ابن سلام .

وكذلك كتاب « نقد كتاب الشعر الجاهلى » للأستاذ محمد فريد وجدى الذى رجع إلى ابن سلام مرتين مرة فى (ص ٦) وأخرى فى (ص ١٠١) ، ولم

يناقش الأستاذ موقف ابن سلام ولاحلّل مجهوده ولا عرض للقضية من خلال كتابه(١) .

أما الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى كتابه « قَبْضُ الريح » فكان فى حديثه مجاملا سريعا ، لايعرض دراسة ممحصة ، بل يصدر فكرته عن الكتاب وصدوره .

كان هذا معظم الطريق وعلينا أن نقف ، فقد لاحت معالم النهاية .

سنقف ، ولكن بعد أن نقول إن كتاب الأستاذ محمد عطية هاشم « الأدب العربى وتاريخه » حاول أن يعطى ابن سلام حقه ، ولكنه عمم عبارته وجعلها تحلق فى سماء المعركة ولم تتدخل فى تفاصيل ، شاهدا بأن خير ماوضع فى ذلك الوقت ـــ العصر العباسى ـــ طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ، وقد أتى فى صدره على أهم النظريات الأدبية التى اتخذها المتأدبون حتى المعاصرون أمامهم فى البحث ، ويفصلون إجمالها ويطولون فيها ـــ وهم يظلمون الناس حين يزعمون أنهم يأتون بشيء جديد فى الأدب(١) .

هنا نقف أمام كتاب الأستاذ محمد أحمد الغمراوى « النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى » بمقدمته التى كتبها الأمير شكيب أرسلان .

فى هذا الكتاب إنصاف لابن سلام ، ويقوم منهجه أساسا على عقد مقارنة بين كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام وكتاب فى « الأدب الجاهلى » لطه حسين . تلك المقارنة التى بحثنا عنها ، منذ قرأنا كتاب الدكتور طه حسين ، والتى كان لزاما علينا أن نقوم بها لأننا لم نرض بنصيب ابن سلام من التقدير والدراسة فى المعركة .

قد سبقنا الأستاذ محمد أحمد الغمراوى منذ ثمان وثلاثين عاما ـــ وخيرا فعل ، حلل دور ابن سلام فى هذه المعركة ، وسلّط عليه الأضواء معطيا إياه حقه ، جاعله الهدف الأساسى الأول الذى يجب أن يدور عليه الكلام ، لا مَقَالَتَىْ مرجليوث ، أو غيره من المؤلفين فى الموضوع .

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : الطبعة الأولى ـــ القاهرة ١٩٣٨م

(٢) محمد عطية هاشم : الأدب العربى وتاريخه (١٣٢/٢ ، ١٣)

ولم يجنح الأستاذ الغمراوى للسب والطعن ، ولم ينابز بالإلقاب ، ولكن فى أسلوب علمى دقيق ، وعرض تحليلى واضح ، أخذ الأمور من أعنّتِها وأسلمها إلى تتمتها .

وسننقل منه قطعة صالحة ، لا لأنها قَيِّمة فى حد ذاتها فحسب ولكن لأنها تُغْنينا عن التعليق على الموقف فى مجموعه .

ويقول :

« ونحن لانبالغ حين نقول إن مافى الكتاب من نقدٍ حَسَنٍ إنما هو لابن سلام ، وإنّ الجمهرة العظمى من الشواهد التى استشهد بها فأساء الاستشهاد ، مأخوذة عن كتاب « طبقات الشعراء » ، وإنك إذا أخذت الكتاب فَعرَّيْتَهُ من المنقول عن ابن سلام ، عَرَّيْتَهُ عن أثمن جزء فيه ، فلا يبقى منه إلا عبارات عامة لاتغنى شيئا ولاتقنع أحدا ، استنتجها من ابن سلام عن طريق التعميم فأخطأ الاستنتاج .

ويستطرد قائلا « واذا حاولت أن تحصى المواطن التى أخذ فيها عن ابن سلام ، صعب عليك العد لكثرتها ، ووجدتها منبثة فى الكتاب خصوصا فى كتاب أسباب انتحال الشعر ، الذى تهكم فيه كثيرا بالقدماء ، وليست تلك المواطن كلها منسوبة إلى ابن سلام فكثير منها مُغْفَلٌ ، أو منسوب إلى مبهم كأن يقول لك « الرواة يحدثوننا » أو « الرواة مُجْمِعُون » ، أو ماشابه ذلك من تعبير ، فالحديث الذى أشار إليه عن الطبقات (ص ٤٤) وقول أبى عمرو بن العلاء عن لغة مُضَر ولغة حِمْيَر منقول عن الطبقات أيضا (هامش الكتاب ص ١١) وحول هذين الخبرين يدور فصله عن الأدب الجاهلى واللغة ، كما يدور فصل الشعر الجاهلى واللهجات حول رواية تَنَقُّلِ الشعر التى هى مأخوذة أيضا عن الطبقات (هامش الكتاب ص ١٣) ، ولقد أكثر الأخذ عن الطبقات فى كتاب أسباب انتحال الشعر خاصة ، فهناك حوالى تسعة مآخذ فى فصل السياسة وانتحال الشعر ، وخمسة فى فصل الدين ، وعشرة فى فصل القَصَص ، وستة فى فصل الرواة ، وعلى هذه المآخذ بنيت فى الواقع تلك الفُصُولُ .

ويقول « ولعلنا لو كان الطبقات نفسه بين أيدينا الآن كنا نعطيك فكرة أوفى عن مقدار ماالأدب الجاهلى مدين به لابن سلام » .

ويقول « أن نوع المآخذ عن القدماء أهم كثيرا من عددها فصاحب « الادب الجاهلى » مدين لابن سلام بأمهات أفكاره ، كما هو مدين له بشواهده ، فأما فكرة « الوضع والانتحال » التى توسع فيها حتى جعلها تشمل الشعر كلَّه ، أو جُلَّه ، فقد أخذها عن القدماء أجمعين سواء فى ذلك ابن سلام أو غيره ، ويكفى أن يقرأ فى الطبقات تجاوز خلاد بن يزيد الجاهلى وخلف الأحمر فى الأشعار التى كان يردها خلف ، ليعلم أن قد كانت هناك أشعار تُرَدُّ لأنها مصنوعة (ص ٣ من الطبقات) .

وأما ضياع الشعر الجاهلى حتى لم يبق بأيدى الناس منه إلا أَقَلُّه فقد أخذه مما قرأ فى الطبقات فى الصفحة العاشرة من قوله عن عمر بن الخطاب وقول أبى عمرو ابن العلاء (هامش الكتاب ص ١٠) .

وأما أثر العصبية ووضع الشعر فقد أخذ فكرته من قول ابن سلام فى الصفحة الرابعة عشرة فى طبقاته (فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكرياتها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وماذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قَلَّتْ وقائعُهم وأشعارُهم ، وأرادوا أن يَلْحَقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم) .

وأما أثر السياسة فى وضع الشعر فقد أخذ ماكتبه فى ذلك عن طريق التوليد من قولٍ قاله ابن سلام ، بعد أن روىَ بيتين يرويهما الناس لأبى سفيان بن الحارث يقولهما لحسان قال : (وأخبرنى أهل العلم من أهل المدينة أن قُدَامةَ بن موسى ابن عمر بن قدامة بن مِظعون الجمحى قالها ونحلها أبا سفيان وقريش تزيد فى أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حَسَّان) ومن يقرأ هذا ثم يقرأ لصاحب الكتاب (وليس من شك عندى فى أنها ـ أى قريش ـ استكثرت بنوع خاص من الشعر الذى يُهْجَى فيه الأنصار ـ هامش الكتاب ص ١٢٨ من الأدب الجاهلى ـ يظن أن ابن سلام هو الذى أخذ من صاحب الكتاب ، لاهو الذى أخذه من ابن سلام .

وأما ماكتب عن القصص ووضع الشعر فقد وَلَّدَهُ كُلَّه من قول ابن سلام (الهامش ص ٤) (وذكر الأستاذ الغمراوى حكاية ابن اسحاق كُلَّها) ثم يستطرد « هذا نقد ابن سلام الذى يقول عنه صاحب الكتاب إنه كان يبدأ ، ويَقصُر عن الغاية ، فاقرأ قول صاحب الكتاب (وأنت تدهش إذا رأيت هذه الكثرة الشعرية التى تنبث فيما بقى لنا من آثار القصاص ، فلديك سيرة ابن هشام وحدها ، ودواوين من الشعر نُظِمَ بعضها حول غزوة بدر ، وبعضها حول غزوة أحد ، وبعضها فى غير هاتين الغزوتين من المواقف والوقائع ، وأضيف كل هذه إلى الشعراء وغير الشعراء من الأشخاص المعروفين ، وأضيف بعضه إلى حمزة ، وبعضه إلى عَلىٍّ وبعضه إلى حسان ، وبعضه إلى كعب بن مالك وأضيف بعضه إلى نفر من شعر قريش ، وإلى نفر من قريش لم يكونوا شعراء قط ، وإلى نفر أخرين من غير قريش وليس غير سيرة ابن هشام أقل منها حظا فى هذا الشعر الذى يضاف إلى الجاهليين مرة والى المخضرمين مرة أخرى (الأدب الجاهلى ١٦٢) ،

فإذا ماقرأت هذا ، فقارن بين القولين ، وانظر : هل قول صاحب الكتاب إلاّ تمديد لقول ابن سلام ، وهل تهكمه إلاّ منعكس عن تأفُّفِ ابن سلام وتهكمه بابن اسحق ، ثم فتش قول صاحب الكتاب مرة أخرى هل ترى فيه نقدا ذا قيمة يدل على علم بالأدب وتاريخه إلا قوله (وإلى نفر من قريش لم يكونوا شعراء قط) وهو قول لايقوله إلا من درس تواريخ الأشخاص الذين ذكرهم ابن هشام ، وعرف من منهم قال الشعر ومن منهم لم يقله .

ثم ارجع بعد ذلك إلى ابن سلام ، ألا ترى أنه هو الذى درس ونقد وحكم وأفاض على صاحب الكتاب من فيض علمه وحكمه حين أُخبره أن ابن اسحاق (كتب فى السيرة من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط وأشعار النساء فضلا عن أشعار الرجال) ؟ »

ثم عاد وثمود وحِمْيَرَ وتبع والعماليق الذين سالت بالكلام عنهم فصاحة صاحب الكتاب واتخذ منهم وحيا قويا ، يوحى به إلى القارئ أن القدماء كانوا لايحسنون علما ولانقدا ، نسبوا إلى عاد وثمود ومن إليهم من الشعر مالم يكونوا قد قالوه ، أو

يكون القدماء قد عرفوه ، أتظن أنه اهتدى من نفسه إلى النقد الذى جعله يستهجن تلك الأشياء ، والذى هو أصدق وأقوى مافى الكتاب ، إذن فاقرأ قول ابن سلام (ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته وإنما قُصِّدت القصائد ، وطُوِّل الشعر على عهد عبد المطلب ، وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط عاد وثمود وحِمْيَر وتُبَّع (ص ١١ طبقات) وقوله بعد أن نعى على ابن اسحق روايته الشعر لأُناسٍ لم يقولوا شعرا قط «ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود أفلايرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن أداه من ألوف السنين » (ص ٤ طبقات) ؛

ثم احكم بعد أن تقرأ هذا من الذى أوحى إلى صاحب الكتاب ماكتب فى عاد وثمود وحمير وُتَّبع وأُضرابهم ـ وهل لصاحب الكتاب حق فى أن يستأثر بفخر ذلك النقد ، يذكره أولا فى كتابه على أنه له ، حتى إذا فاز بأثر ذلك فى نفس القارىء ، توقى التهمة بنسبته متأخرا إلى القدماء فى شىء كثير من الانتقاص والتحفظ ، وعلى أنه تأييد منهم له وتقصير منهم عنه ؛

ثم الرواية والرواة وماكتب صاحب الكتاب فيهم من الحق أن يعد خلط بكثير من الباطل ، أكثره مأخوذ عن ابن سلام ، وكله مأخوذ عن القدماء فما كتبه عن حماد الراوية كله تقريبا عن كتاب الطبقات ، ومانسبه إلى ابن سلام منه ، ومالم ينسبه سواء فى ذلك الحوادث المعينة كحادثته مع بلال بن أبى بُرْدَه ، أو العبارات المطلقة كقول يونس بن حبيب فيه ، كذلك ماكتبه عن الأعراب وأكاذيبهم ، أُخِذ خاصة من ابن سلام كخبر داود بن متمم بن نويرة مع أبى عبيدة ، وخبر أبى ضمضم مع الأصمعى ، وَوَلّد مآخذ عامة من هذا الخاص أو مما كتب صاحب الكامل فى باب تكاذيب الأعراب ؛

وهناك مآخذ أخرى غير قليلة ، أخذ أكثرها من ابن سلام ، وأقلها من غيره ، سواء فى ذلك ماأبقاه على حاله ، وماخالفهم فيه وماحُرِّف منها لأمر فى نفسه ، كقول أبى عمرو بن العلاء فى لغة حِمْيَر وأقاصى اليمن ، وكقول ابن سلام فى أبى اسحق الذى قَصَصْنا عليك نصه ، وَحَرفَّه فى وضع آخر فى كتابه (ص ١٤١) إلى أن ابن سلام يتهم ابن اسحق بوضع الشعر على الأمم البائدة مع أنه لم يقع عليه سوى عدم التبصر فى الرواية وقلة التدقيق فى النقد ؛

ولكننا لم نرد أن نحصى ماأخذه صاحب الكتاب من القدماء ، وإنما أردنا أن نذكر من ذلك مايدل على مقدار تلك المآخذ وأهميتها ، وعلى أن إدلال صاحب الكتاب على القدماء بأنه هو بلغ الغاية حين قَصَّرُوا ، وقَوَّى النقد حين ضعفوا ، إنما هو البَطَر والإدعاء أقرب منه إلى التحدى والإنصاف(١) .

وأخيراً ، هذه هى المعركة التى دارت حول كتاب فى « الشعر الجاهلى » ، وهذا هو نصيب ابن سلام فيها ، تقدير وإعجاب وإشادة من باحثين ، وتناس وإغفال وسهو من باحثين آخرين ، ولكن الأبحاث التى وضعته فى عين الاعتبار رفع ذلك من شأن بحثها ، وجعله أقرب إلى الموضوعية منه إلى المهاترات والسير بلا هدف .

ولانبعد حين نقول إنّ أزمة الثقة بالشعر الجاهلى « التى أثارها الدكتور طه حسين كانت خيرا عميماً على ابن سلام وكتابه ، إذ جعلت أنظار الباحثين المؤرخين للنقد العربى تتجه إليه وتُخْلى له مكاناً فى أبحاثها وتحاول أن تعطيه ماسلبه منه الزمان .

(١) محمد الغمراوى : النقد التحليلى لكتاب فى الشعر الجاهلى : ٢٦٧ — ٢٧٣ .

مُؤَرِّخُو النقد الأدبى وكتاب « ابن سَلاّم »

أمامنا بعض الكتب التى تناولت النقد العربى الأدبى بالتاريخ والمناقشة وكان طبيعيا لهذه البحوث أن تتعرض لابن سلام بصفته صاحب أول أثر نقدى منهجى يصل إلينا مما دونه العرب فى النقد والأدب .

وأولهما كتاب الناقد الأستاذ « طه أحمد إبراهيم » الذى افتقدناه فجأة فى رحاب الجامعة ، وقد ترك أثرا لايُمْحَى، دفع زميله الوفى الأستاذ أحمد الشايب إلى أن يجمع محاضراته فى النقد وينشرها فى كتاب جامع .

والناقد الكبير يبرهن لنا على أن العرب عرفت النقد الأدبى ، فيقول : « خذ ماقاله ابن سلام الجمحى فى كتابه « طبقات الشعراء » وماجاء به القاضى الجرجانى فى كتاب « الوساطة » وخذ تلك البحوث التى كتبها أمثال ...و ...و ... فستجد أن العرب عرفوا النقد الأدبى معرفة دقيقة ، وإن لم يدونوه علماً أو فناً[1] .

وفى الجزء الخاص بالحديث عن طبقات الشعراء لابن سلام ، يقول : إن ابن سلام أحد الإخباريين والرواة ـــ ومن أهل الأدب ، نحوى ، لغوى عَدَّه الزبيدى الأندلسى صاحب طبقات النحويين واللغويين فى الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين[2] .

وَيعُدُّه أحد كبار نَقَدَة الشعر ، وهو أول من نظم البحث فى هذه الأفكار (أى الأفكار النقدية التى سبقت ابن سلام) ، وعرف كيف يعرضها ويبرهن عليها ويستنبط منها حقائق أدبية فى كتابه « طبقات الشعراء »[3] ثم يقول : لاندرى فى أى تاريخ ألف ابن سلام كتاب « طبقات الشعراء » ولكننا نعرف أن تدوين الشعر أخذ ينشط فى أوائل القرن الثالث[4] .

(١) طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٦ .

(٢) تاريخ النقد الأدبى ٧٥ .

(٣) المرجع السابق ٧٦

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة

والأستاذ طه إبراهيم مِنَ الذى يقررون أن « طبقات الشعراء » كتابان : يقول : والظاهر أن الكتاب فى الأصل كتابان ، أحدهما فى « طبقات فحول الشعراء الجاهليين » والآخر فى « طبقات فحول الشعراء الإسلاميين » فاضطراب المقدمة ومافيها من خَلْط ، تُشْعر بأنها كانت مقدمتين أدمجت إحداهما فى الأخرى ، ثم أن روح ابن سلام فى طبقات الجاهلية ، قوية عميقة منصرفة أو تكاد إلى ماهو من صميم النقد ، فأما طبقاته فى الإسلاميين فيكثر فيها التاريخ عن جماعة — كجرير والفرزدق والأخطل ، وتقل فيها روح العلم ، وفى المقدمة نفسها مايدل على أن ابن سلام ألّفَ أوّلاً « طبقات الجاهليين » ، وهو الراجح — فقد أودع تلك الطبقات كل أفكاره التى تهمه ، وأودعها جَدَلَه ، وحُجَجَه ، وُروحَه العلمى المتفوق .

ودليل آخر هو أن أكثر ماكان يُكَتّبُ إلى عهد ابن سلام بُجوثٌ صغيرة ، ورسائل لاكُتُبٌ ، وليس بعيدا أن يكتب ابن سلام بحثا فى طبقات الجاهليين ثم يثنيه بآخر فى طبقات الإسلاميين(١) .

وهذا مانذهب إليه .

أما عن اختيار ابن سلام الطبقات لجعلها الهيكل العام لعرض شعرائه فيقول عنه الأستاذ طه إبراهيم « إن المصادفة جعلته يجعل كُلَّ طبقة أربعة ، ولاندرى لماذا جعلهم عشرة ، ويقرر أن الأبيات التى أتى بها ابن سلام نموذجا لتقييم الشعر الصحيح ، وأضافها إلى المستوغر بن ربيعة أو إلى أعْصُر بن سعد بن قيس بن غيلان ، وغيرهما ، لابد أن تؤخذ بحذر ، وقد يقدر الباحث أُنها وجدت قبل أن يصل الشعر الجاهلى إلى الإتقان والإحكام ، ولكن لينها واسفافها وموضوعها ومعانيها لاتدع لها السبيل ممهدة إلى التصديق بها والركون إليها(٢) .

ثم يعرض لاضطراب وضع بعض الشعراء فى الطبقات التى هيأها لهم ابن سلام ، ويعترض على وضع كعب فى الطبقة الثانية ، وأصحاب المعلقات فى الطبقات الرابعة ، وتقديم شعراء فى الطبقة الخامسة على شعراء أكثر منهم نباهة

---

(١) تاريخ النقد الأدبى ٨٣ ، ٨٤

(٢) المرجع السابق ٨٧

وشهرة وهم عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلِّزة ، وعنترة ، وسويد بن أبى كاهل اليشكرى .

ويعلل لهذا الاضطراب بقوله « ليس من الرأى فى شىء أن يكون الشعراء عشر طبقات وليس من الممكن بحال أن تعرف من الفروق بين الشعراء مايمهد لنا أن نوزعهم على طبقات عشر والخصائص الفنية رقيقة متموجة لاتطيع الباحث إلى مثل هذا المدى[1] .

ثم اعترض عليه إخْلالَه بشىء من رسم الكتاب ، فلم يتعرض لمكانة شعراء القرى ، ولم يذكر لنا منزلة شاعر كبير كحسان ، هذا إلى أنه أهمل بعض فحول الشعراء كعمر بن أبى ربيعة والطِّرمَّاح بن حكيم ، والكميت الأسدى ، ومكانتهم لاتُنْكر فى الشعراء الإسلاميين[2] .

ويستطرد الأستاذ طه إبراهيم حديثه مشيرا إلى ملكة ابن سلام الأدبية ، يقول : إنَّ ملكته الأدبية فى تحليل الشعر وتذوقه لاتكاد تظهر فيما كتب ـــ ملكته الأدبية أضعف بكثير من ملكته العلمية ـــ وكان لنا أن ننتظر من ابن سلام ، وقد تأخر به العهد عن كل من ذكرنا ، تحليلا للشعر فسيحا عميقا يلائم انفساح النقد فى الميادين الأخرى ، ولكننا لانجده يتقدم فى تذوق الأدب خطوة عن الذين عاصروه أو سبقوه ، بل لقد نرى له أحيانا كلاما عاما لايحدد ذوقا خاصا ، ولايشعر بتفهم النصوص على النحو المقنع ، وقلما نظفر بشىء دقيق حين نتتبع آراء ابن سلام فيما يتصل بالشعر ،

على أن ابن سلام من اللغويين ، ولنا أذن أن نقول إنه من أذوقهم بوجه عام[3] ولعل الأستاذ يعنى بملكة ابن سلام العلمية ـــ طريقة وضعه الشعراء فى طبقات عشر وجعل كل طبقة أربعة شعراء ـــ وطريقة عباراته الدقيقة ، وعرضه للشعراء ، وتقصِّيه للمعنى الذى يريده ، حتى يصل واضحا إلى القارىء مع سلامةٍ وجزالةٍ قمينةٍ برجل عالم له مكانته بين أضرابه فى القرن الثالث الهجرى .

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ٨٩

(٢) المرجع السابق ٩٠

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ٨٨

أما عن ضعف ملكته الأدبية فلعل الأستاذ طه ابراهيم قصد بها إلى أن ابن سلام لم يتدخل بذوقه الخاص فى اختيار الأشعار ، ولكنا قد رأيناه قد تحلل من المبدأ الذى فرضه على نفسه فى ترتيب الشعراء طبقات ، فجعل طبقة لشعراء القرى وأخرى لأصحاب المراثى وثالثة للشعراء اليهود ورابعة للرّجّاز وخامسة للمشببين، وعلى أساس التشابه الفنى لا الشكلى .

وحينما جعل الزبيدى ابن سلام فى الطبقات الخامسة من اللغويين البصريين(١) لم يعن هذا ان يخرج ابن سلام من كونه رائدا من رواد النقد فى القرن الثالث ، ونحن نعلم أن الفروق لم تكن واضحة فى هذا العصر بين العلوم والفنون المختلفة ، وابن سلام له كتاب فى « الخيل » وكتاب فى « الملح والنوادر » وكتاب فى « غريب القرآن » ثم كتاب فى النقد « طبقات الشعراء » .

وقد رأينا ابن سلام يوازن بين شاعر وشاعر ويفضل أحدهما على الآخر ورأيناه يوازن بين الآبيات المفردة ، والقصائد المطولة ، ويلاحظ الفروق الدقيقة بين النسيب والتغزل ويفرق بين جميل وكثير ، فالأول أكثر فُنُون شعر من الثانى ، وأمدح منه ، وأقل صدقا . فى تشبيه من جميل ، وذاك لأن جميل كان عاشقا ولم يكنه كُثيّر(٢) ، وأن عبد الله بن قيس الرقيات أشد قريش أسر شعر فى الإسلام بعد ابن الزبعرى وكان غَزِلاً وأغزل من شعره شعر عمر بن أبى ربيعة وكان يصرح بالغزل ولايهجو ولايمدح وكان عبد الله يشبب ولايصرح ولم يكن له معقود عشق وغزل كعمر بن أبى ربيعة(٣) وأن الجعدى كان مختلف الشعر مُغَلَّباً(٤) ، والشماخ كان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لبيد ، وفيه كزازة ، ولبيد أسهل منه منطقا(٥) .

والكتاب الثانى :

فى التأريخ للنقد حسب الظهور ، هو كتاب الأستاذ أحمد أمين « **النقد الأدبى** » وجزؤه الثانى خاص بالنقد الأدبى العربى ، فبعد أن يتحدث فى جزئه

(١) الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين ١٩٧

(٢) ابن سلام : الطبقات ٥٤٥

(٣) المصدر السابق ٦٤٨

(٤) المصدر السابق ١٣٢

الأول عن النقد فى أوربا وتطوره ومدارسه يقول فى هذا الجزء عن ابن سلام :

« ولعل أقدم ماوصل إلينا من كتب النقد كتاب « طبقات الشعراء » لمحمد ابن سلام الجمحى المتوفى ٢٣١ هـ ، وهو أيضا بصرى ، كانت له معارف واسعة فى اللغة والأدب ، والنحو والأخبار حصَّلها من عصره ، ثم يقول وكان دقيقا فى تعليله أن الشعر ليس كثيرا فى مكة ، لأنه على حد تعبير اليوم "أنه لم يكن له بها بواعث تُهيج العاطفة ، وهو تعليل ، كما ترى ، دقيق وكان من مميزاته محاولة ترتيب الشعراء وجعلهم طبقات(١) ".

كان هذا نصيب ابن سلام فى كتاب الأستاذ أحمد أمين وهو نصيب على ضآلته يشهد لابن سلام بفهمه الثاقب الذى حاول أن يعلل قلة وجود شعر فى بيئة كمكة ، وكثرته فى بيئة أخرى كالمدينة .

أما **الكتاب الثالث** فهو كتاب « **فى تاريخ النقد والمذاهب الأدبية** » للدكتور طه الحاجرى .

ولم نجد فيه دراسة لابن سلام واقتصر على الاستشهاد من الكتاب فقط بعيدا عن دراسته والتعريف بصاحبه .

وإذا انشغل هذا الكتاب عن ابن سلام بأشياء أخرى وقدم لنا الاستاذ أحمد أمين لمحة خاطفه عن ابن سلام وميزته ، فإن الدكتور **بدوى أحمد طَبَانة فى كتابه « دراسات فى نقد الأدب العربى من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث »** قد عرض فى الفصل الرابع منه ، عرض لنا ابْن سَلَّام وسيرته وكتابه ، فى أسلوب بسيط ، وفى تقديم رقيق ونقد رفيق .

فبعد أن يتحدث الدكتور عن ابن سلام وثقافته وتاريخ وفاته ومنزلته كما أوردها ابن الأنبارى فى كتابه ، ينتقل إلى كتاب الطبقات ، ويلحظ عليه النقص والتلفيق الصادريْن من الناشر ، ويذهب إلى أنه كتابان ، أحدهما فى طبقات الشعراء الجاهليين ، والثانى فى طبقات الشعراء الاسلاميين .

يقول « وهناك أدلة أخرى على هذا التلفيق ، نراها فى تلك الفجوات والثغرات الملحوظة فى هذا التأليف . ومن تلك الأدلة :

(١) أحمد أمين : النقد الأدبى ٤٣٨/٢ — ٤٤٢

(١) قول ابن سلام « فنقلنا ذلك الكلام فى الشعر وقول العلماء فيه إلى خلف ابن حيان أبى محرز الأحمر ، أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقهم لسانا ، كنّا لانُبالى إذا أخذنا عنه خيرا ، أو أنشدنا شعرا ، ألّا نسمعه من صاحبه ، ولم يذكر ابن سلام بعد ذلك شيئا عن جواب خلف الأحمر أو تعليقه على تلك الأقوال ، التى نُقِلَتْ إليه ، وسياق الحديث يشعر بأنه كان له رأى وأنه كان له تعقيب ، وإلا كان كلام ابن سلام عبثا ولغوا ولاطائل وراءه ، فليس نقل أقوال العلماء إلى عالم شيئا ذا بال جديرا بالتسجيل إلا إذا كان المنقول إليه رأى يخالف تلك الآراء(١) .

والدكتور طبانة قد اعتمد على طبعة السعادة التى نشرها حامد عَجَّان الحديد الكتبى ، والخطأ حدث من أن ابن سلام بعد أن قال : قال قائل لخلف : إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه ، فما أبالى ماقلتَ فيه أنت وأصحابك ، قال له : إذا أخذت درهما ، فاستحسنته ، فقال لك الصراف : إنه ردىء هل ينفعك استحسانك له ؟ ثم يستطرد ابن سلام استطرادا طويلا ويتحدث عمن أفسد الشعر من القصاصين وأصحاب السير والمغازى كمحمد بن اسحق فأدى به هذا إلى الحديث عن النحاة البصريين ، ولما انتهى منهم بعد حديث استغرق خمس عشرة صفحة قال : رَجْعٌ إلى قول الشعر وإلى قول العلماء فيه ولكل من ذكرنا قول فيه، ثم تأتى بعد ذلك جملة راوى الكتاب .

« قال فَنَقَلْنَا ذلك إلى خلف » أى رجُوعُنا إلى الحديث عن الشعر وقول العلماء فيه نَقَلْنَا إلى خلف ، الذى قد أجمع اصحابنا على أنه كان أفرس الناس ببيت شعر .. ، فليس هناك أقوال نقلت إلى خلف، ولكن ابن سلام نفسه يستطرد فيعود إلى سابق حديثه ويكمله مرة ثانية ، وهذه الجملة الفعلية مشكولة فى طبعة المعارف (نَقَلْنَا) وليست مشكولة فى طبعة السعادة وليدن وغيرهما ، ومن هنا وقع اللبس .

وبعد أن يتحدث الدكتور عن الخرم الموجود فى الطبقة الثانية يتحدث عن ضياع شعراء الطبقة الأولى الإسلامية ، وهم جرير والفرزدق والأخطل والراعى ،

(١) الدكتور بدوى طبانة : دراسات فى نقد الأدب ١٢٩

وتنشر طبعة المعارف فيعود لها المؤلف ويقول على الهامش « أثبت ناشر الطبعة الثانية هذا المفقود من مصادر أخرى وجعله بين قوسين هكذا (....) إشارة إلى أنه ليس فى أصل الكتاب (ص ٢٤٩ ــ ٢٥١)[١] .

ثم يعلق على تدخل المحقق فى اسم الكتاب ، وفى وضع فقرات ليست من أصل الكتاب لأن التحقيق العلمي لا يقبل ذلك بغاية الرضى « ونحن نقول إنه غير مقبول بأية درجة من درجات الرضى » .

ويستعرض جهود ابن سلام فى ميدان النقد وتقريره أن الشعر ونقده صناعة ، وأن له ثقافة يعرفها أهل العلم به كسائر أصناف العلوم والصناعات ، وكلمة (الصناعة) هنا ترجمة لكلمة (الفن) للتميز بينها وبين العلم ، هو المهارة أو هو المعرفة ، بلغت بها المهارة حد الكمال ، وسمّى الأدب صناعة لما فيه من المهارة فى إصابة المعنى أو ابتكار الخيال أو جمال الفكرة وحسن الصياغة والتأنق فى الأسلوب .

ويقول الدكتور ومع أن ابن سلام معدود فى رجال اللغة والنحويين والرواة ، إلاّ أنه مع تلك الثقافة المحدودة بحدود السماع والتى لاتقبل كثيرا من التصرف لايغفل أثر الذوق فى تقدير القيم الفنية والاحساس بالجمال .

وكذا بحث فى الشعر المنحول ، وعدد المؤلف جهود ابن سلام فيه بأسهاب ، ثم أشار إلى أن نشاط ابن سلام بعيداً عن ميدان النقد أدخل فى علوم العربية والأدب .

من ذلك :

١ ــ تقريره أن أول الشعر البيت والبيتان ، وأن القصائد طوّلت على عهد عبد المطلب وهشام بن عبد مناف .

٢ ــ تنبهه إلى بعض العوامل الفعالة ، التى تدفع الشعراء إلى النظم وفى مقدمتها الحروب .

---

(١) الدكتور بدوى طبانة : دراسات فى نقد الأدب العربى ١٣٠

حديثه عن تنقل الشعر فى القبائل ـــ فكان شعر الجاهلية فى ربيعة ثم فى قيس ثم آل بعد ذلك إلى تميم وذكر علة بدء الشعر فى ربيعة وأولهم المهلهل الذى كان أول من قَصَّد القصيد وذكر المواقع فى قتل أخيه كليب .

٤ ـــ وهو أول من أرخ نشأة علوم العربية فى مقدمة « طبقات الشعراء » .

وبعد هذا العرض الواسع ، ينتقد ابن سلام ويلحظ عليه عدم ذكره للشعراء الذين عاصروه ، كمروان بن أبى حفصة وأبى نواس وبشار ومسلم بن الوليد ، وأبى تمام ويقترح عذرا له فى أن الشعراء الذين عاصرهم ابن سلام لم تكن الأقوال فيهم قد تبلورت بعد ، بحيث يعتمد عليها ، ولعل أولئك العلماء كانوا يخشون مما قد ينالهم من أولئك الشعراء من الهجاء المقذع إذا عرضوا لشعرهم بالنقد والتحليل والإشارة إلى مواطن الضعف فيه فضنوا بأعْراضِهم أن يمتهنها الشعراء .

وهذان السببان وجيهان بالاضافة إلى أن طبقة العلماء ومعاصرى ابن سلام والسابقين له يعتبرون أن العصر الذهبى للغة والشعر هو الجاهلية وصدر الإسلام مع العصر الأموى وشعراؤهم هم قادة الشعر وقولهم هو المنبع والمصدر ، والشعراء بعدهم عيال عليهم .

ويقول الدكتور بدوى طبانة أخيرا « إن الكتاب أقدم وثائق النقد المدونة فيه كثير من آراء الأدباء واللغويين التى انتفع فيها فيما بعد ، مَنْ كتبوا فى نقد الأدب أو فى سير الشعراء ، كالآمدى صاحب « الموازنة بين الطائيين » ، وأبى الفرج الأصفهانى صاحب كتاب « الأغانى » ، وحَسْبُ كتاب ابن سلام أن يكون جُمَّاع القول فى الشعر العربى فى الجاهلية والإسلام[1] .

والكتاب الخامس : للدكتور محمد مندور « **النقد المنهجى عند العرب** » وهو يحدثنا عن الأُطُر الكبيرة التى اتخذها ابن سلام هيكلا له فى تقسيمه الشعر كنظرته إليهم من حيث الزمان والمكان والفن الادبى ، ثم يتحدث عن فطنة ابن سلام إلى كثير من الشروط التى يجب أن تتوافر فى الناقد وفى النقد مثل الدُّرْبَةِ والممارسة والذوق الأدبى ، وكذا انتباه ابن سلام إلى ضرورة تحقيق صحة النصوص

---

(١) الدكتور بدوى طبانة : دراسات فى نقد الأدب ١٢٦ ـــ ١٤٣

وصحتها وصحة نسبتها ويقول (ولاتقف الروح العلمية عن ابن سلام عند ملاحظة تلك الظواهر بل تمتد ، إلى تفسيرها حتى لنراه يفصل الأدلة العقلية والنقلية على انتحال الشعر[1] كما اتضح عند تفسيره الظواهر الأدبية كقلة الشعر فى أماكن دون أماكن ثم قياس اساس المفاضلة على الكثرة والجودة .

ويقول الدكتور محمد مندور « والواقع أنه إذا كان ابن سلام مصيبا فى نظرته إلى انتحال الشعر فإنه أقل إصابة فيما عدا ذلك فتفسيره لندرة شعر بعض القرى مردود ، لأن الشعر ليس كله فى الحرب ولا هو قاصر عليها بل إن فيه مصادرة على المطلوب فليس بصحيح أن الشعر كان نادرا فى مكة مثلا خصوصا بعد الإسلام ، وإنما أسقط ابن سلام من حسابه لسبب لانعرفه ـــ الكثير من الغزلين وعلى رأسهم عمر بن أبى ربيعة الذى لم يذكره أصلا .

والدكتور : أولا : يرفض مبدأ تفسير القلة على أساس الارتباط بالحرب ورأينا أننا يجب أن نربط الحرب بالعرب الجاهليين ، لنفهم طبيعتها والمقصود بها .

فالحروب فى الجاهلية كانت شبه مستمرة على مستوى الجزيرة العربية كلها ، مابين حى وحى ، وقبيلة وقبيلة ، وقبائل أخرى ، وفى الحرب يظهر لون الشعر الحماسى لدفع المحاربين إلى الجهاد ، ويظهر الفخر بالنصر والمدح للقواد والهجاء للأعداء ، والرثاء للمقتولين ، وتظهر النقائض الشعرية ، وفى الحرب يخرج المحارب العربى عن دائرة قبيلته ، وتطول به مدة الاغتراب عن بيته ودَرْبه وعشيرته ويحلو له أن يثبت لحبيبته أنه ثابت القدم ، مغوار لاينى عن الدفاع عن قبيلته وعنها ، وأنه عانق الكَمَاة ، وهزم الأسود ، وفَلَّ حمى الأعداء .

وفى الحرب تهيج كوامن النفس ، فتجيش الشاعرية مندفعة بحب الشاعر لوطنه وبتقديره لدوره فى مجتمعه .

وابن سلام قد قرن مكة بالمدينة وقال إن المدينة كانت بها حرب الأوس والخزرج وأن مكة فى ذلك الوقت ـــ لم يكن بين عربها نائرة ولم يحاربوا ، وقلة الشعر شىء وعدم وجوده شىء آخر لأن قلته هذه كَثُرَت فى مكة حين الإسلام ،

---

(١) الدكتور محمد مندور : النقد المنهجى ١٩

فانبرى شعراء مكة الكافرين يصدون شعراء المدينة المسلمين ، وعَدَّدَ منهم ابن سلام : ابن الزِّبَعْرى ، وأبا طالب بن عبد المطلب ، والزبير بن عبد المطلب ، وأبا سفيان ، ومسافر بن أبى عمر ، وضرار بن الخطاب وأبا عزة الجمحى ، بينما كان فى المدينة قبل الإسلام شعراؤها بالإضافة إلى شعر اليهود الذين كان من دواعى كثرة شعرهم ، المناورات التى قامت بينهم وبين عرب المدينة .

ويكون أقحام عمر بن أبى ربيعة فى الأمر فى غير موضعه لأنه توفى على رواية أبى الفرج سنة ٩٣هـ فى عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ ــ ٩٦هـ)(١) فعمر ابن أبى ربيعة يدخل فى حكم آخر وقاعدة أخرى .

وننظر إلى اسقاط ابن سلام الكثير من الغزلين ونجد أنه حكم جائر ، فقد ذكر لنا ابن سلام كُثَيِّراً(٢) وابن قيس الرقيات(٣) والأحوص(٤) وجميلا(٥) ونصيبا(٦) وغيرهم ويكون عدم معرفتنا لإسقاط عمر بن أبى ربيعة سببا لايرجع إلى ابن سلام فى الغالب ولكنه قد يرجع إلى الهيئة التى وصل إلينا بها الكتاب .

ويقول الدكتور مندور « ولكن شعر عدى بن زيد لايكفى لتعليله قولَه إنه سكن الحيرة ومراكز الريف ، وإلاّ لحرنا فى تعليل « نحت الفرزدق من صخر » واغتراف جرير من بحر » (ص ٢٠) .

---

(١) يقول الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « التطور والتجديد فى الشعر الأموى » ص ٢٢٢ عن وفاة عمر ابن أبى ربيعة « والروايات تضطرب فى تحديد وفاته ويقول أبو الفرج أنه عاش سبعين سنة ، وأنه ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب (الهامش : انظر الأغانى ط دار الكتب ٧١/١ ــ أى سنة ٢٣ للهجرة . ومعنى ذلك أنه توفى سنة ٩٣ هـ فى عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ ــ ٩٦ هـ) وهناك رواية تزعم أن سليمان بن عبد الملك (٩٦ ــ ٩٩ هـ) نفاه إلى الطائف (الهامش : الأغانى (١٧/٩) وأخرى تزعم أن عمر بن عبد العزيز (٩٩ ــ ١٠١ هـ) نفاه إلى دَهْلَك (الهامش : الأغانى : ٦٤/٩ ، والشعر والشعراء (٣٤٩) والروايتان مدخولتان ، لأنه لم يلحق عَصْرَ سُلَيْمَانَ ولا عصر عمر ــ ويزعم بعض الرواة أنه غزا فى البحر ، فأحرقت سفينته فاحترق (الهامش : الشعر والشعراء ٣٤٩) ، وليس معقول أن يذهب إلى الغزو فى سن السبعين ويزعم آخرون أنه تغزل بسيدة وهى تحج فدعت عليه فمات ، (الأغانى ٣٤٧/١) ، وهذه الرواية أقرب إلى القَصَص منها إلى الحقيقة .

(٢) ابن سلام : الطبقات ٥٤٠

(٣) المصدر السابق ٦٤٨

(٤) المصدر السابق ٦٥٥

(٥) المصدر السابق ٦٦٩

(٦) المصدر السابق ٦٧٥

ونقول وتعليل ابن سلام للين شعر عدى سنرد عليه بفقرة اختارها الدكتور لكتابه من كتاب "الوساطة بين المتنبى وخصومة" وردت (ص ١٧ و ١٨) تحت عنوان تطور الشعر ولغته ، يقول الجرجانى « كانت العرب ومن تبعها من السلف تجرى على عادة فى تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تألف غيره ولاأنِسَهــا سواه ، وكان الشعر أحد أقسام منطقها ، ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب ، ويفرد بزيادة عناية ، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة وانضاف إليها التعمل والصنعة ، خرج كما تراه فخما جزلا قويا متينا ، ومن شأن البداوة أن تحدث بعض التوعر ، ... ولأجله قال النبى ﷺ « من بَدَا جَفَا » ولذلك تجد شعر عدىّ وهو جاهلى ، أسلس من شعر الفرزدق ، ورجز رؤبة ، وهما آهلان ، لملازمة عدى الحاضرة وإيطانه الريف وبُعْده عن جلافة البدو ، وجفاء الأعراب ، وترى رقة الشعر أكثر ماتأتيك من قبل العاشق المتيم المتهالك ، فإن اتفقت لك الدماثة والصبابة وانضاف الطبع إلى الغزل فقد جُمِعَت لك الرقةُ من أطرافها » .

وأما نحت الفرزدق من الصخر ، وغرف جرير من البحر ، فهو رأى الأخطل فيهما[1] ويقصد به جزالة شعر الفرزدق ومتانته ، مع سلاسة شعر جرير وسيرورته ، وابن سلام يقول لنا « الفرزدق أشعر عامة (أى عند عامة العلماء) وجرير أشعر خاصة[2]، وأن الفرزدق أكثرهم بيتا مقلدا ، والبيت المقلد هو المستغنى بنفسه المشهور الذى يضرب به المثل[3] وكان يداخل الكلام وكان ذلك يُعْجب أصحاب النحو[4] بينما كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لايحسنها الفرزدق[5] وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب[6] ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير[7] وقال عنه الفرزدق ، ماأحوجه مع عفته إلى صلابة شعرى وماأحوجنى إلى رقة شعره لما ترون[8] .

(١) ابن سلام : الطبقات ٤٥١
(٢) المصدر السابق ٤٩٩
(٣) المصدر السابق ٣٦٠
(٤) المصدر السابق ٣٦٤
(٥) المصدر السابق ٣٧٤
(٦) المصدر السابق ٣٧٥
(٧) المصدر السابق ٤٥٦
(٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٧٣/١

فالفرزدق كان يعجب العلماء لألفاظه وفخامتها ، وجرير يعجب الشعراء والجمهور لحلاوة شعره وسلاسته — فما سبب الحيرة ؟ وماصلة هذا بلين شعر عدى ؟ .

ويقول الدكتور مندور وأما عن تفضيله الكثرة على الجودة وتعدد الأغراض الشعرية على التوفر على الفن الذى تحزبنا إليه ملابسات حياتنا ففى ظننا أنه من الواضح أن الكم ليس مقياسا صحيحا لقيم الشعراء والى هذا فطن ابن قتيبة(١) .

واعتقد أن ابن سلام كان يقصد الكثرة الجيدة من الشعر أو الجيد الكثير منه ، لايفرق بين كمية الشعر وكيفيته ، لأن الشاعر الحق هو : كثير الشعر جيِّده لا كثيره وغثه ، ولا جيِّده وقليله . .

وابن سلام مع تصويره لهذا المبدأ لايظلم الشاعر قليل الشعر وجيده فهو يعترف بأن طرفة وعَبِيداً وعلقمة وعديا من الفحول الشعراء وموضعهم مع الأوائل وإنما أخل بهم شعرهم بأيدى الرُّواةِ(٢) ويقول طرفة وعَبيد فحول على الرغم من أن الذى يصح لهما من قصائد يُقَدَّر بعشرة ، وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيث وُضِعَا من الشهرة والتقدمة وإن كان مايُرْوى من الغُثَاء لهما ، فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة(٣). وإن سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب أربعة رهط مُحْكِمُون مُقِلُون وفى أشعارهم قلة فذاك الذى أخَّرهم(٤) فالجيد القليل يبعد الشاعر عن الصدارة والجيد الكثير يجعله فحلا ، أما التافة كثيره أو قليله فيجعله عالة على الشعر والشعراء .

وُكثِّير لم يضعه ابن سلام مع جميل ، لأن جميلا يمتاز عنه فى فن التشبيب بصدق الصبابة ، بينما كان كُثَيِّر يتقول ولم يكن عاشقا ، وقد رأى ابن سلام أنه بطائفة المديح ألصق منه بطائفة النسيب ، وذكر أن ابن أبى حفصة كان يعجبه مذهب كثير فى المديح جدا ويقول : كان يستقصى المديح(٥) فحينا يتفق شاعران

(١) الدكتور مندور : النقد المنهجى ٢٠

(٢) ابن سلام : الطبقات ١٣٧

(٣) المصدر السابق ٢٦

(٤) المصدر السابق ١٥٥

(٥) المصدر السابق ٥٤٠

كثرة وجود.فعلى ابن سلام أن يبحث عن معيار آخر يُقَيِّمُهُمَا به ، وهو الصدق فى القول وبه تفوق جميل على كثير .

ويقول الدكتور مندور « إننا نلاحظ أنه يورد مايختاره للشعراء المختلفين ، أو يورد مطالعه ، ولكنه لايحلله ولاينقده ولايظهر مافيه من جمال أو قبح ، وإن حكم على بعض القصائد أو بعض الشعراء فأحكامه فى الغائب هى الأحكام التقليدية التى كانت على الألسن تتداولها عن السابقين ...(وضرب عدة أمثلة) ثم يقول : « وهو أن أورد حُكْما لنفسه كقوله عن أصحاب المراثى » « والمقدم عندنا متمم بن نويرة » أو « من الناس من يفضل قيس بن الخطيم على حَسَّان ولاأقول ذلك » لم يُسَبِّبْ أحكامه ، بتحليل النص أو ذكر لصفات مميزة ، وإن أورد خصائص جاءت عامة غامضة غير دقيقة كقوله عن أبى ذؤيب الهذلى إنه « شاعر فحل لاعجيزة فيه ولا وهن » وعن عبد بن الحسحساس أنه « حلو الشعر رقيق حواشى الكلام » وعن البعيث « أنه فَاخِرُ الكلام حى اللفظ » وأمثال ذلك مما لا تحديد فيه ولا تفضيل(١) .

وإذا علمنا أن ابن سلام وازن بين أقوال الشعراء وفاضل وقَيَّم معتمدا على رأى العلماء ورأيه فى الشعراء وشعرهم ــ مالاداعى معه لتكرار الأمثلة فقد سبق لنا ذكرها وهى موجودة فى الكتاب وماقام به ليس التحليل ــ بديهيا ــ ولكنه الخطوة الأولى للتحليل ومَنْ حَلَّلَ من النقاد بعد ابن سلام اعتمد على أقوال ابن سلام وأقوال غيره من العلماء والنقاد .

وفى سنة ١٩٥٦ ظهرت دراسة للدكتور ناصر الدين الأسد وموضوعها « مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية(٢) » وهى دراسة توفر عليها صاحبها ، وأعطاها من الجُهْد الصادق، والاطلاع الواعى، والصبر الجميل ماجعلها أحد المصادر الأساسية فى البحث عن بعض جوانب العصر الجاهلى .

وكان بحث الدكتور متعدد المناحى ، متشعب الأفكار ، وقد أفدنا به أُيَّما إفادة فى بحثنا ، ووفر علينا كثيرا من المشقة والجَهد فى معالجة بعض المسائل

---

(١) الدكتور مندور : النقد المنهجى ٢٠ ، ٢١

(٢) الطبعة الثانية لهذه الدراسة ظهرت سنة ١٩٦٣م وتوالت بعدها الطبعات حتى سنة ١٩٧٨م

الشائكة التى يموج بها العصر الجاهلى ، ولكننا دائما نبحث عن ابن سلام فيما نقرأ وكان نصيبه فى هذا المرجع كبيرا .

يقول الدكتور ناصر الدين[1] :

«أورد ابن سلام فى طبقاته قول عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، ثم عقب عليه بقوله : فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الشعر وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا روايه الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مُدَوَّن ، ولاكتاب مكتوب وألْفَوْا ذلك وقد هلك من العرب من هلك ، بالموت والقتال فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير» .

وكلام ابن سلام هذا ثلاثة أشطر : آخرها حق ، وموسطها باطل ، وأولها يحتاج إلى فصل بيان يوضحه ، أما الحق الذى لامريَّةَ فيه فقوله « فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير » .

وسنعود إلى هذا القول ونفصل وجه الحق فيه .

وأما الباطل الذى لم نعد نشك فى بطلانه وفساده ، فهو هذا التعميم الواسع فى قوله (فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب) وقد كان فى البابين الأول والثانى من هذا البحث من البيان والتفصيل مانحسب أنه يغنينا عن تكرار القول .

وحسبنا أن نورد ثلاثة أمثلة من كتاب ابن سلام نفسه تنقض هذا القول : أو على الأقل تضيق مافيه من تعميم واسع . فقد عاب ابن سلام بعض علماء قبله — أى علماء القرن الأول — الهجرى — باكتفائهم بالأخذ عن الدواوين المدونة والكتب المكتوبة فنبزهم بأنهم صحفيون وذلك قوله عن الشعر القديم .

« وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء وليس لأحد — إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شىء منه أن يقبل من صحيفة ولايروى عن صُحُفى » .

(1) مصادر الشعر الجاهلى — ص ١٩٤ ومابعدها الطبعة الخامسة ١٩٧٨م

وقد قال عقب قوله السابق الذى أنكر فيه هذه المدوَّنات « وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، ومامُدِحَ هو وأهل بيته به صار ذلك إلى بنى مروان أو صار منه » ثم ذكر ابن سلام نفسه أنه رأى شعرا جاهليا فى كتابٍ كتبه يُوسُفُ بن سعد صاحبنا ، منذ أكثر من مائة سنة ، « فإذا أضفنا إلى كلام ابن سلام مافصلنا فيه القول فى البابين الأول والثانى وضح لنا مافى قوله (فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولاكتاب مكتوب) من خلل وفساد ،

اما الشطر الثالث الذى يحتاج إلى فضل بيان يوضحه فهو قوله « فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو الفرس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر وألْفَوْا ذلك وقد هلك من العرب مَنْ هلك بالموت والقتل) ،

ولايستبين لنا خطر هذا القول إلا حين نتطرق إلى الحديث عن الشك فى الشعر الجاهلى ونحله — فى الباب الرابع من هذا الكتاب — ولابد لنا من قبل ذلك من أن نتساءل هنا : أحَقٌ أن العرب قد لَهَوْا عن رواية الشعر فى هذه الفترة من حياتهم فغفلوا عنه ونسوا ذكره وأضربوا عن روايته ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فكم من السنين أو من القرون بلغت هذه الفترة ؟ ثم أَمِنَ الحق أنهم حينما راجعوا روايته — إذا سلمنا بانقطاعهم عنها ألْفَوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ؟ ،

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد لنا من استقراءٍ تاريخى نتتبع فيه حياة الرواية عند القدامى مبتدئين بالمعالم الواضحة فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، ومتدرجين منها إلى الوراء حتى نصل إلى أقصى مانستطيع أن نصل إليه من معالم حياة الرواية الأدبية ،

فاذا مابدأنا بعهد بنى أمية ، وجدنا أن بعض القوم آنذاك كان يرى العلماء العارفين بالشعر الجاهلى قد ماتوا ، ونحن نحسب أن هذا الضرب من الكلام موجود فى كل عصر وأنه لايصح أن يُحْمل محملا لفظيا قاطعا ، وإنما هو ضرب من التحسر على الماضى ، وتمجيد القدماء ، والإقرار بضعف الحاضر وعجزه ، إذا ماقيس بالقديم السابق عليه ،

فأبو عمرو بن العلاء حينما سُئل عن قول امرئ القيس :

نَطعَنُهُمْ سُلكىَ ومَخْلوجَـــةً كَرَّكَ لأمْيَـــن على نَابِـــلِ[1]

قال : قد ذهب من يحسنه .

وحين سئل عن قول الشاعر :

زعموا أن كل من العير موالٍ لنـا وأنّـا الــولاء

قال : مات الذين يعرفون هذا .

بل أن الحجاج بن يوسف الثقفى قال على المنبر « ذهب قوم يعرفون شعر أمية وكذلك اندراس الكلام ... وبين الحجاج وأمية بن أبى الصلت نحو من ثمانين سنة » .

وسنسوق فى إيجاز بعض مايكشف لنا عن عناية القوم حتى منتصف القرن الأول برواية الشعر الجاهلى وأخبار الجاهليين ، وسنصرف أكثر كلامنا إلى زمن عبد الملك بن مروان ومعاوية بن أبى سفيان ليكون ذلك أبعد زمنا وأدل على مانقصد اليه .؟ .

وإلى أن انتهى الدكتور ناصر الدين الأسد من ذكر أمثلته هذه التى ابتدأ من أجلها الحديث عن ابن سلام فى (ص١٩٤) كانت صفحة (٢٢١) قد أقبلت . وأقبل معها الفصل الثانى من الباب الثالث من الكتاب .

ونرد بأن ابن سلام دقيق فى ألفاظه ، ويحاول تحديد المعنى باستخدام الألفاظ المؤدية له بوضوح . وقد استعمل فعل (تشاغل) ولم يقل (امتنع) العرب عن رواية الشعر ، وقال (لهت) عن الشعر وروايته ولم يقل « حَرَّمُوه » على أنفسهم ، ولما استقرت الحال بهم لم يرجعوا إلى ديوان ولا إلى كتاب مدون لماذا ؟ لأن الدواوين كانت موجودة والكتب كانت موجودة ، ولكنها غير موثوق بها ، دواوين وكتب مُحَرَّفة مُصَحَّفة ، فالأفضل الرجوع إلى الرواة والأعراب والقراء ، وأَيْنَ هُمْ هل فَنوُا كلهم ؟ لا ، هلك منهم بالموت والقتل من هلك ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه كثير » .

---

(١) سلكى : طعنا مستويا ، الخلوجة : المعوجة عن يمين وعن شمال ، الكَرّ : الرد ، اللأمان السهمان .

وهذه القضية بهذا الشكل تخدم قضية الدكتور ناصر ، لأنه يحاول إثبات أن التدوين موجود ، وابن سلام يقول له : نعم كان موجودا ، والرواية أيضا كانت موجودة ، ولكن العرب لم تكن تثق بالمدوّنات ، ذلك للتصحيف الذى هيمن عليها ولشدة ثقتهم بالذاكرة القوية .

والمسألة لها مثيل ، وهو تدوين المصحف ، يقول ابن الأثير « نزل القرآن مُنَجَّماً فى بضع وعشرين سنة ... فلما انتقل الرسول إلى جوار ربه ، وقامت حروب الردّة وقُتل فيها أكثر القراء من الصحابة ، وخاصة فى يوم اليمامة ، حيث قُتل منهم زُهاء سبعين ، هال هذا الأمرُ عمَرَ بن الخطاب ، وكان مستشار أبى بكر وساعدَهُ الأيمن وذهب إلى أبى بكر وقال له : إن القتل قد كثر واسْتَحَرَّ بقراء القرآن يوم اليمامة ، وإنى أخشى أن يَسْتَحِرَّ القتل بالقراء ، فيذهب من القرآن الكثير ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ـــ فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرِّقاع والعُسُب(١) وصدور الرجال(٢) .»

والقضية واحدة لاتختلف سوى فى قدسية القرآن وأهمية جمعه ، وجوهريته ، مع ثانوية جمع الشعر وعدم التزمت فى التنقيب عنه والجرى وراء مظانه ، ومهما دوناه وسجلناه فلن نأتى على نهايته .

والفتوح الإسلامية بعد وفاة الرسول كما هى معروفة حرب الردة ، وجيش أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام التى أعدها الرسول ، ولم يتمكن من إرسالها لقضائه ، ثم إنفاذ أبى بكر خالدا إلى الحيرة حين اراد هرقل الانتقام من جيش أسامة ، وجمع جيشا جرارا ، ودعا أبو بكر المقاتلين من جميع أرجاء الجزيرة العربية فلبوا الدعوة بحمية وحماس شديدين ، وسرعان ماأنفذ الجيوش نحو الشمال عقب تجمعهم بالمدينة ، بعد أن عقد اللواء لأربعة من الأمراء هم أبو عبيدة ابن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، على أن يكونوا جميعا تحت إمرة أبى عبيدة ، وأن يستقل عمرو بفتح فلسطين ، وفى عهد عمر تم فتح فارس وفلسطين والشام ومصر ، وفى عهد عثمان فتحت برقة صُلْحًا سنة ٢١ هـ

(١) جمع « عسيب » وهو السعفة أو جريدة النخل إذا يبست وكشط خوصها .
(٢) ابن الأثير ـــ الكامل ٤١/٢ ، وابن عساكر ـــ تهذيب التاريخ الكبير ١٣٢/٥

وفتح طرابلس عَنْوَةً سنة ٢٢ هـ ، وفى سنة ٢٧ هـ فكر عبد الله بن أبى السرح فى غزو افريقية ، ولما غابت أخباره عن المدينة أرسل إليه عثمان جيشا كبيرا وعلى رأسه عبد الله بن الزبير الذى عَدَّل من منهج جيش ابن أبى السرح إذ كان يحارب فى الصباح ويستريح فى المساء وانتصر ابن الزبير على جرير مَلِكهم وعاد بالغنائم إلى المدينة(١) .

وهانحن نرى أن كل الكفاءات العربية ، من بَشَرٍ وعتاد هبت للكفاح فى سبيل نشر الإسلام ولم يبق فى الجزيرة سوى الشيوخ والصبيان والنساء والعجزة فأين مكانُ الشعر هنا ؟ وأين جلساتُهُ وندواتُهُ ومناقشاتُهُ وتحزبه ؟ أين والجزيرة تُخْرِجُ آخر أسهمها من جَعْبَتِهاَ لتقوم برسالتها المكلفة بها .

إذن تشاغلت ولهت ، وهلك منها الكثير ، وحين استقرت بحثت عن نفسها فلم تثق بالدواوين الموجودة واكتفت بالمروى الموثوق به من قصائد شعرائها وبطولات فحولها وهذا أدى إلى انتحال الشعر والوضع فيه .

وإذا أردنا أن ننقض هذا القول على ابن سلام فعلينا أن نبحث فى حدود عهد الرسول ﷺ ، ثم عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، حيث كانت الجزيرة فى شغل شاغل عن الشعر وروايته، والأحداث التى نشبت بين كل من على ومعاوية كان ميدانها العراق والشام لا الجزيرة العربية .

فإلى سنة ٣٠ هـ نبحث عن نقض قضية ابن سلام ورد قوله عليه ، أما الدكتور ناصر الدين الأسد فجعل رده يبدأ بمعاوية وعصره ، وعبد الملك والحجاج وغيرهم ، والاستقرار بدأ يضرب أطنابه منذ عهد عثمان الذى بدأ بقتل عمر سنة ٢٣ هـ ، فكيف نبحث عن أرجاء الدولة الأموية عن شواهد لتؤكد لنا أن المسلمين لم يشغلوا عن الشعر فى عهد صدر الإسلام ، وإذا روى أبوبكر وعمر ، وعثمان والصحابة الشعر فهل معنى ذلك أن الناس تركت الحروب والفتوح والغنائم والسبايا وانهمكت فى الشعر ؟ لقد كان هناك شعر ونستطيع أن نشير إليه فى هذه الفترة بالذات ، ولكن لم يكن هَمَّ العرب آنذاك .

(١) الطبرى : تاريخ الأمم /٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ١٩٥/٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان ٢٣٤/٢٣١

الخاتمة

عاش ابن سلام فى العصر العباسى الأول ، الذى احتوى مباهج العلم والفكر والأدب ، والبيئة التى عاش فيها ابن سلام هى البصرة ، ربيبة الفكر اليونانى وقد فرضت عليها ظروف حياتها التجارية أن تكون واقعية منطقية متكيفة مع الأحداث .

والبيت الذى عاش فيه ابن سلام حوى أباه مُحِبَّ العلم وأخاه الفقيهَ وهو الناقد الراوية ، فكان ابنه عَوْنٌ محبا للأدب أيضا وابن اخته الفضل بن الحباب القاضى الأديب الفقيه الورع .

وبنو جمح ــ القوم الذى ينتسب إليهم ابن سلام ولاءً ــ قوم عرب عدنانيون مُضَريون قرشيون مكيون ــ أبناء عمومة لفرع النبى ﷺ قد توارثوا المجد والسؤدد منذ بزوغ رفعة شأن قريش الأباطح .

وقُدامة بن مظعون مولى سالم ــ الذى من ولد عبيد الله وعبدالرحمن ، وفيما نعتقد أن عبد الله أيضا ، كان بدريا مهاجرا ، وذهب إلى البحرين ووليها لعمر بن الخطاب وشرب الخمر فحده عمر وانتهز فرصة فك الحصار المضروب على الصحابة فى المدينة فهاجر قدامة بن مظعون إلى البصرة وفيها عاش معه سالم وأبناؤه .

ومحمد بن سلام الجمحى ولد عام ١٤٩ هـ وتوفى عام ٢٣١ هـ وله من الأبناء ولد يسمى « عون » .

وكُتُبُ ابن سَلاَّم كثيرة ، ومنها « الفاضل فى ملح الأخبار والأشعار » « وبيوتات العرب » و « طبقات الشعراء الجاهليين » « وطبقات الشعراء الإسلاميين » وكتاب « الحِلاَب وإجراء الخيل » ثم « غريب القرآن » ..

والكتابان « طبقات الشعراء الجاهليين » و« طبقات الشعراء الإسلاميين » أُلِّفَا فى زمنين متعاقبين بمقدمتين مختلفتين ، ولإيماء ابن سلام فى مقدمة طبقات الشعراء الإسلاميين إلى مقدمة « طبقات الشعراء الجاهليين » ولضياع جزء ــ

لاندريه من مقدمة طبقات الشعراء الإسلاميين ضم الناسخون الكتابين، وأدمجوا مقدمتيهما وجعلوهما كتابا واحدا .

وهو فى وضعه الأول — كتابين — فَقَدَ طبقة للشعراء الفرسان ، أغلب الظن أنها كانت ملحقة بكتاب طبقات الشعراء الجاهليين .

وقد كانت لابن سلام مصادر لروايته وتركزت فى الأعراب والعلماء والشعراء والكتب والمكتبات العامة منها والخاصة .

وأما عن شيوخه فيبرز لنا فى المقدمة يُونُس بن حبيب مع أستاذية والده عبيد الله له ، وهما مع أبى الغراف السُّلَمى ، وشعيب بن صخر جَدٌّ أبى خليفة الجمحى ومعهم غيرهم .

وتلاميذه كثيرون فى مقدمتهم أبو خليفة الفضل بن الحباب وإسحق بن إبراهيم الموصلى وعمر بن شَبَّة والرياشي وغيرهم .

وكان لابن سلام اتجاهان كبيران وهما النقد الأدبى والرواية الشعرية . وكتابه العظيم « طبقات الشعراء » اقتبس له عنوانا جامعا للرواية بطرفيها دينية وهى فى لفظ « طبقات » وأدبية وهى فى لفظ « الشعراء » .

ووجدنا مخطوطات للكتاب سبقت مطبوعاته ، وهى تلك التى توجد فى دار الكتب بالقاهرة تحت رقم (٣٦ أدب ش) وهذه المخطوطة كُتبت سنة ١٣٠٣ هـ ونسخ منها نسخة ثانية سنة ١٣١٠ هـ وهى تحت رقم (٣٧ أدب ش) ونسخ منها أيضا نسخة لمكتبة الاسكندرية العامة « البلدية » سابقا وهى تحت رقم

١٧٧ تاريخ
٨١٦٧ جـ

ومطبوعات الكتاب كثيرة أولها طبعة يوسف هِل وكانت سنة ١٩١٦ م ثم طبعة السعادة نشر حامد محمد عجان وكانت سنة ١٩٢٠ م ثم طبعة المحمودية ووصلت إلى دار الكتب سنة ١٩٣٤ م وهى بدون تاريخ ثم طبعة دار المعارف تحقيق الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر وكانت سنة ١٩٥٢ م .

ولاحظنا على تحقيق الأستاذ شاكر بعض الملاحظات وهى :

أنه أضاف لفظ « فحول » على عنوان الكتاب بلا مبرر ، وأنه لم يرجع إلى المخطوطة (٣٦ أدب ش) أو غيرها من المخطوطتين ، كما أنه أضاف فقرات إلى صلب الكتاب بدعوى وجود شبه بين سياق الكلام فى كتاب الطبقات وبين بعض الأخبار لابن سلام فى الأغانى والموشح وأمالى المرتضى . ولم يكلف نفسه أن يضع ثبتاً بالمراجع وطبعاتها كى يَسْهُل الرجوع إليها عند الحاجة، كما أنه لم يصور بعض الصفحات من مخطوطته دليلا ماديا على وجود المخطوطة التى قام بتحقيقها .

وعاد الأستاذ شاكر ونشر الكتاب بعد عثوره على المخطوطه الأم العتيقة التى افتقدها . وبمراجعتها على مخطوطة المدينة صدر الكتاب فى سفرين كبيرين سنة ١٩٧٤ ط المدنى، فيهما الجَهْد المتوقع من الأستاذ المحقق الكبير ولكن الطبعة الجديدة أبقت على لفظ (فحول) فى العنوان واحتوت على إضافات فى النصوص وليس بها ثبت لمصادر التحقيق .

وقد تضمنت مقدمة الكتاب ثلاث قضايا ، هى قضية انتحال الشعر، وقضية الكوفة والبصرة ومابينهما من تنافس واختلاف، وقضية اللحن .

وقد قسم ابن سلام الطبقات إلى عشر طبقات للجاهليين وطبقات لأصحاب المراثى وطبقة شعراء القرى العربية وطبقة شعراء اليهود وأخيرا عشر طبقات للشعراء الإسلاميين .

وقد رفضنا فكرة الطبقات هيكلًا عام يوضع فيه الشعراء لأنه لايبين الفروق الدقيقة بينهم ولأنه لم يُوضَعْ لهم من البداية .

واقترحنا نظاما آخر من الطبقات أسميناه « الطبقات المفتوحة » وتلك التى تقوم أساسا على المبادىء الكبرى أو الأغراض العامة فى الشعر مثل المديح والفخر

أو الهجاء أو الزمان أو المكان أو الأساليب البلاغية .... الخ مما يتيح للشاعر الواحد أن يدخل فى عدة طبقات على حسب قدراته الشاعرة .

وعن ابن سلام فى عصرنا الحديث قَسَّمْتُ الحديث إلى فصلين :

الفصل الأول : كان بعنوان « أزمة الثقة بالشعر الجاهلى وموقفها من كتاب ابن سلام » حيث سلطت الأضواء على الكتاب حين أثار الدكتور طه حسين الشكوك حول مانتداوله فيما بيننا من شعر جاهلى .

الفصل الثانى : كان بعنوان « مؤرخو النقد الأدبى وموقفهم من كتاب ابن سلام » تلك المرحلة التى بدأت بكتاب تاريخ النقد الأدبى للأستاذ طه إبراهيم، وفيه ناقشنا أراء النقاد والمحدثين فى ابن سلام وكتابه، وامتدت هذه المرحلة إلى مابعد هدوء الثورة التى سَبَّبَها كتاب فى « الشعر الجاهلى »، وبعد أن أثمرت جهود مؤرخى النقد الأوائل ظهرت بحوث قد أفادت كثيرا من التجارب التى خاضها الرعيل الأول من الأدباء والنقاد .

الفهارس الفنية

١ ـــ فهرس المخطوطات والمصادر والمراجع

(أ) المخطوطات

١ ـــ الحاكم النيسابورى : محمد بن عبد الله بن حمدوية .

* معرفة علوم الحديث وأنواعه . مخطوط بالمكتبة العامة بالإسكندرية برقم ١٢٢٣ ب .

٨٥ و ١٩٥ .

٢ ـــ الذهبى ، شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقى .

* الكاشف فى أسماء رجال الكتب الستة والسنن الأربعة ، وهو مختصر كتاب تهذيب الكمال . مخطوط بالمكتبة العامة بالإسكندرية ـــ برقم ٥٨١٦ حـ

٧٩ و ٩٢

٣ ـــ العسقلانى : شهاب الدين أحمد بن على المعروف بابن حجر .

(أ) تقريب التهذيب فى أسماء الرجال ، ومعها كتاب « لب البيان فى تحرير الانسان » لجلال الدين السيوطى ، مخطوط بالمكتبة العامة بالاسكندرية برقم ١٤٠٦ ب .

٨٠ و ٩٢ .

(ب) لسان الميزان ، وهو مختصر كتاب « ميزان الاعتدال فى نقد الرجال » مخطوط بالمكتبة العامة بالاسكندرية « مكتبة البلدية » برقم ١٠٢٢ ب .

٨٥ و ٨٩ و ٩٣ و ١٢٧ و ١٥٣ .

٤ ـــ ابن قاضى شهبة : تقى الدين أبو بكر بن محمد الأسدى الدمشقى .

* طبقات النحاة واللغويين ، مصور بدار الكتب ، القاهرة برقم ٤٣٨ تاريخ ص ٨٦ ، ٨٩ .

٥ ـــ ابن منجويه ، أبو بكر أحمد بن على بن منجويه .

* رجال صحيح مسلم ، مخطوط بالمكتبة العامة بالإسكندرية (البلدية) برقم ١٢٤٥ ب ص ٩١ .

(ب) المصـــادر

١ ـــ القرآن الكريم .

٢ ـــ ابن الأبرص : عَبِيدُ بن الأبرص .

* « ديوان عبيد » ط ليدن ١٩١٣ م ومعه ديوان عامر بن الطفيل .

٢٣٣ .

٣ ـــ ابن الأثير ـــ أبو الحسن على بن محمد الشيبانى .

* « الكامل » ـــ ط الحلبى ، القاهرة ١٣٠٣ هـ وعلى هامشه مروج الذهب و ط الأزهرية ، القاهرة ١٣٠١ هـ .

٦٣ و ٧٧ و ٨١ و ٨٥ و ٨٩ و ٩٣ و ١٢٦ و ١٢٧ و ٢٩٧

٤ ـــ ابن الأثير ـــ عز الدين أبو الحسن على بن محمد الجزرى .

* « أُسْدُ الغابة » ط المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٨٠ هـ .

٨٤ .

٥ ـــ الأخطل ـــ غياث بن غوث .

* شعر الأخطل ، رواية أبى عبد الله محمد اليزيدى ، تعليق الأب صالحانى ، ط بيروت ١٨٩١ م .

٤٠ .

٦ ـــ الأصبهانى : أحمد بن عبد الله « أبو نعيم » .

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . ط السعادة ، القاهرة ١٩٣٢ م .

٦٠ و ٨١ و ٨٤ .

٧ ــ الأصبهانى : على بن الحسين أبو الفرج .

* « الأغانى » ط المؤسسة المصرية العامة من (١ــ١٦) و ط محمد ساسى المغربى من (١٧ــ٢٠) و ط دار الكتب ، القاهرة ١٩٣١ م ، بعضها ، و ط الأميرية ــ القاهرة ١٢٨٥ هـ ، بعضها .

١٧ و من ٢٠ــ٢٢ ومن ٢٦ــ٣٠ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٨ و و٣٩ و٤٠ ومن ٤٢ــ٤٤ ومن ٤٦ــ٥٠ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٧ و ٨٢ و ٨٤ و ٩١ و ٩٩ و ١٠٦ و ١١٢ و ١١٦ و ١٢٠ و ١٢٥ و١٢٥ و١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٤٢ و ١٥٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و١٩٦ و٢٠٤ و ٢٥٥ و ٢٩٨ .

٨ ــ الأصمعى : عبد الملك بن قريب .

* فحولة الشعراء . تحقيق الزينى وخفاجى ط المطبعة المنيرية ، القاهرة ١٩٥٣ م .

٣٩ و ١٨٨ .

٩ ــ ابن أبى أُصيبعة : أبو العباس أحمد بن القاسم .

* « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » المطبعة الوهبية ، الأولى ، الجزء الأول ١٢٩٩ هـ والثانى ١٣٠٠ هـ .

٦٤ و ٨٧ و ٨٨ .

١٠ ــ امرؤ القيس : ابن حجر بن الحارث الكندى .

* « الديوان » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف ١٩٦٤م ، الطبعة الثانية .

٢٣٣ .

١١ ــ الأنبارى : أبو البركات ، عبد الرحمن محمد ط القاهرة ١٢٩٤ هـ .

* نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، أى النحاة .

٨٥ و ١٢٨ و ١٥٣ .

١٢ ــ البخارى ــ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة .
التاريخ الصغير ، ط حيدر أباد ــ ١٣٢٥ هـ ، الأولى .
* التاريخ الكبير ، ط حيدر أباد ــ ١٣٦٠ هـ ، الأولى .
٨٠ و ٨٤ .
* الصحيح ، بحاشية السندى ، ط مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .
١٣٧ .
١٣ ــ البغدادى ، الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت .
* تاريخ بغداد ، ط السعادة ، القاهرة ١٩٣١ هـ ، الأولى .
٦٦ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٢ و ١١١ و ١٢٧ و ١٥٣ .
١٤ ــ البغدادى ــ عبد القادر بن عمر .
* خزانة الأدب ولب لباب العرب ، ط السلفية . القاهرة ١٣٤٧ هـ .
١٨٧ و ١٩٦ .
١٥ ــ البكرى ، أبو عبيد الله : عبد الله بن عبد العزيز .
* معجم ما استعجم ، ط مصر ١٣٦٤ــ١٣٧١ هـ .
٧٧ و ٧٨ و ٨٤ .
١٦ ــ البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر .
* أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ط القاهرة ١٩٥٨ م .
٧٧ و ٨٠ و ٨١ .
* فتوح البلدان ط ليدن ١٨٦٦ م و ط الموسوعات القاهرة ١٩٠١ م ــ الأولى .
٣٧ و ٦٩ و ٢٩٧ .
١٧ ــ الترمذى ــ محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) .

صحيح الترمذى ، بشرح ابن العربى ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، الأولى من ١٩٣١ م .
٧٩ و ٨١ و ٨٤ و ٨٥ .
١٨ ـــ ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف .
* النجوم الزاهرة ـــ ط دار الكتب ، القاهرة من ١٩١٢ـــ١٩٢٩ م .
٨٥ و ٩٣ و ١٢٨ .
١٩ ـــ التنوخى ، المحسن بن على .
* نشوار المحاضرة ، تحقيق غبور الشالجى ، ط بيروت ١٩٧١ م .
٩٣ و ٩٤ .
٢٠ ـــ ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) .
* مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٤٨ م .
١٠١ و ١٢٠ .
٢١ ـــ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) .
* البخلاء ، تحقيق الدكتور طه الحاجرى ط دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٨ م .
٦٦ .
* البيان والتبيين . تحقيق السندوبى ، ط الاستقامة القاهرة ، الطبعة الرابعة ، وتحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٦١ م .
٢٨ و ٢٩ و ٤٦ و ٦١ و ٦٥ و ١٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٥
* التاج فى أخلاق الملوك ، تحقيق دار الفكر ودار البحار ، بيروت ١٩٥٥م .
١٤٠ .

* ثلاث رسائل ، ط المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

٥٩ .

* الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط الحلبى ، القاهرة ١٩٢٨م ، الأولى .

٣٨ و ١٠٠ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٨٩ و ١٩٦ و ١٩٨ .

* القول فى البغال ، تحقيق الدكتور شارل بلاّ ، ط الحلبى ، القاهرة ١٩٥٥ م .

١٠١ و ١١٩ .

٢٢ ــ ابن الجراح ، أبو عبد الله محمد بن داود .

* الورقة ، ط دار المعارف . القاهرة ١٩٥٣ م .

١٠١ .

٢٣ ــ الجرجانى ــ عبد القاهر .

* الدلائل .

١٩ .

٢٤ ــ ابن الجزرى : الدين أبو الخير محمد بن محمد .

* غاية النهاية فى طبقات القراء . ط السعادة ١٩٣٣ م ، نشر برجستراسر .

٩٣ .

٢٥ ــ ابن جلجل ، أبو داود ، سليمان بن حسان الأندلسى .

* طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، ط المعهد العلمى الفرنسى للآثار ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٦٤ .

ــ ابن جماعة : بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله .

* تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم ، ط أم القرى ١٣٥٨هـ .

١٢٦ و ١٩١ .

٢٧ ـــ ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد .

* صِفَةُ الصَّفْوَةِ ، ط حيدر أباد ، ١٣٥٥ هـ ، الأولى .

٦٠ .

٢٨ ـــ الجهشيارى ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس .

* الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، ط الحلبى ، القاهرة ١٩٣٨ م .

٣١ .

٢٩ ـــ أبو حاتم : أبو محمد عبد الرحمن بن الإمام .

* الجرح والتعديل ، ط حيدر أباد ، ١٩٦١ م ، الأولى .

٨٦ .

٣٠ ـــ ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد الظاهرى .

* الفِصَلُ فى الملل والأهواء والنِّحَلِ ، ط المطبعة الأدبية ، القاهرة ١٣١١٧هـ .

٦٣ .

* جمهرة أنساب العرب ، ط دار المعارف ١٩٦٢ م ، تحقيق عبد السلام هارون

٨٠ و ٨٣ .

٣١ ـــ الحموى ـــ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت .

* معجم الأدباء ، ط دار المأمون ، الحلبى ، القاهرة ١٩٣٦ م

٨٥ و ٨٨ و ٩٣ و ٩٥ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٩٦ و ٢٠٣ و ٢٠٤

* معجم البلدان ط صادر ودار بيروت ١٩٥٥ م .

٤٤ و ٦٩ و ٩٤ .

٣٢ — ابن حنبل ، أحمد .

* المسند ، ط الحلبى ، القاهرة ١٣١٣ هـ و ط دار المعارف ، القاهرة ١٣٤٦ هـ بتحقيق أحمد شاكر .

٧٩ .

٣٣ — الحنبلى ، أبو الفلاح عبد الحى ، ابن العماد .

* شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط القدسى ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

٨٩ و ٩٣ و ١٢٨ و ١٥٥ .

٣٤ — الخزرجى : صفى الدين الخزرجى .

* خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ، ط المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٢٢ هـ ، الأولى .

٩٢ .

٣٥ — ابن خُرْداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله .

* المسالك والممالك ، ط دى غويه ، ١٨٨٩ ، وبذيله نبذة عن كتاب « الخراج ، وصنعة الكتابة » لأبى الفرج قدامة بن جعفر .

٦٩ .

٣٦ — ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد .

* المقدمة ، تحقيق ، لجنة البيان العربى ١٩٥٧ م .

٦١ و ١٥٥ .

٣٧ — أبو داود : سليمان ، أبو داود بن جارود الطيالى .

* المسند ، ط حيدر أباد ، ١٢٣١ هـ الطبعة الأولى .

٨٠ .

٣٨ ــ ابن دريد ، أبو بكر بن دريد .
* الاشتقاق ، ط السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٨ م ، تحقيق عبد السلام هارون .
. ٨٠

٣٩ ــ الذهبى ، شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقى .
* تذكرة الحفاظ ، ط حيدر أباد ، بدون تاريخ ٩٣ و ١١٣ .
* دول الإسلام ، ط حيدر أباد ١٣٦٤ هـ الطبعة الثانية .
. ٩٣
* سِيَرُ أعلام النبلاء ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٧ م ، تحقيق .
. ٧٩
* ميزان الاعتدال ، ط السعادة ، القاهرة ١٣٢٥ هـ ، الأولى .
. ٩٣

٤٠ ــ الراغب الأصبهانى ، حسين بن محمد .
* محاضرات الأدباء ، ط ابراهيم المويلحى ، ٥٩ القاهرة ١٢٨٧ هـ .

٤١ ــ ابن رُسْتَة ، أبو على أحمد بن عمر .
* الأعلاق النفيسة ، ط ليدن ١٨٩١ م المجلد السابع .
. ٦٢

٤٢ ــ ابن رشيق ، أبو على الحسن القيروانى .
* العمدة ، ط السعادة ، القاهرة ١٩٠٧ م .
٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ١١٨ و ١٥٣ .

٤٣ ــ الزبيدى ــ أبو بكر محمد بن الحسن .
* طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الخانجى ، القاهرة ١٩٥٤ م ، الأولى .

٨٦ و ٨٩ و ٩٣ و ٩٤ و ١٠١ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١٩ و ١٢٤
و ٢٨٣ .

٤٤ ـــ السخاوى : شمس الدين محمد عبد الرحمن .

* الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ط الترقى ـــ دمشق ١٣٤٩ هـ .

١٥٤ .

٤٥ ـــ ابن سعد ،

* طبقات ابن سعد محمد بن سعد ، كاتب الواقدى

٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨٣ و ١٣٨ و ١٩٥

٤٦ ـــ ابن سلام . محمد بن عبد الله ـــ أبو عبد الله .

* طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين :

(أ) تحقيق يوسف هِلْ ، ط ليدن ١٩١٦ م .

(ب) نشر حامد عَجّان الحديد ، ط السعادة ١٩٢٠ م .

(جـ) طبعة المحمودية وصلت إلى دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣٤م.

(د) نشر محمود على صبيح ، ط السعادة ، بدون تاريخ .

(هـ) تحقيق محمود شاكر ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٢ ، وبها لفظ « فحول » .

(و) تحقيق محمود شاكر ، ط المدنى سنة ١٩٧٤ م ، وبها لفظ « فحول » .

فى مواطن عديدة ...

٤٧ ـــ السمعانى ، أبو سعيد عبد الكريم بن أبى بكر محمد .

* الأنساب ، ط ليدن ١٩١٢ م .

٨٨ .

٤٨ ـــ السيرافى ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله .

* أخبار النحويين والبصريين ، تحقيق الزينى وخفاجى ، ط الحلبى ،

القاهرة ١٩٥٥ م ، الأولى .
٨٥ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١٦ و ١٩٩ و ٢٠٣ .
٤٩ ــ السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن .
* الأشباه والنظائر ، ط حيدر أباد ، ١٣١٦ هـ .
٦٦ و ١٣٧ .
* الأقتراح ، ط حيدر أباد ، الركن ، ١٣١٠ هـ .
١٩٨ .
* بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، ط السعادة ، القاهرة ١٣١٦ هـ ، الأولى .
٨٦ و ٨٩ و ٩٣ و ١١٣ .
* تاريخ الخلفاء ، ط المدنى ، القاهرة ١٩٦٤ م ، الطبعة الثانية .
٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٧ .
* المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، ط الحلبى ، القاهرة ، بدون تاريخ . تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وزملائه .
٩٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١١٣ و ١٢٢ و ١٢٤ و ١٢٧ و ١٥٤ و١٨٨و ٢٠٤ .
٥٠ ــ سيبويه : أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر .
* الكتاب ، ط بولاق ١٣١٦ هـ .
١٩٩ .
٥١ ــ الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، ط الحلبى ، القاهرة ١٩٦١ م .
٤٢ و ١٢٠ .
٥٢ ــ أبو طالب : الفضل بن سلمة بن عاصم .

* الفاخر ، تحقيق عبد العليم الصاوى ، ط وزارة الثقافة ١٩٦٠ م .

١٠٥ .

٥٣ ـــ الصَّفَدِى : صلاح الدين خليل بن أيبك .

* نَكْتُ الهِمْيَان فى نُكَتِ العميان ، ط الجمالية ، القاهرة ١٩١١ م .

٩٤ .

٥٤ ـــ الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير .

* تاريخ الأمم والملوك .

(أ) ط الحسينية ، القاهرة ، الأولى ، بدون تاريخ .

(ب) ط دار المعارف ، الجزء الأول والثانى ، تحقيق عبد السلام هارون ـــ القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٥٦ و ٥٩ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٧٩ و ٢٩٧ .

٥٥ ـــ ابن الطقطقى : محمد بن على بن طباطبا .

* الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تحقيق محمد عوض وعلى الجارم ، ط دار المعارف ١٩٣٨ م .

٥٥ و ٦١ و ٦٤ .

٥٦ ـــ أبو الطيب اللغوى ـــ عبد الواحد اللغوى الحلبى .

* مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط نهضة مصر ١٩٥٥ م .

٨٥ و ٩٣ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١٥ و ١٢٤ و ١٢٧ و ١٥٣ .

٥٧ ـــ ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله القرطبى المالكى .

(أ) الاستيعاب .

٨٠ و ٨١ و ٨٥ .

(ب) مختصر جامع بيان العلم وفضله .

١٩٧ .

٥٨ ــ ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد .
* العقد الفريد ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٦ م .
٤٩ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٨٠ و ١٠٠ و ١٤٠ .
٥٩ ــ أبو عبيدة : معمر بن المثنى .
(أ) نقائض جرير والفرزدق ، ط ليدن ، ١٩٠٥ م .
١٨٩ .
(ب) كتاب « الخيل » ، ط حيدر أباد ١٣٥٨ هـ ، الأولى .
١٨٩ .
٦٠ ــ أبو العتاهية .
* الديوان ، تحقيق الأب شيخو ، ط بيروت ١٩١٤ م .
٦١ .
٦١ ــ ابن عساكر ، أبو القاسم على بن الحسن هبة الله .
* تهذيب التاريخ الكبير ، ط روضة الشام ١٣٢٩ هـ .
٧٩ و ٨٣ و ٢٩٦ .
٦٢ ــ العسقلانى : شهاب الدين أحمد بن على المعروف بابن حجر العسقلانى .
(أ) تهذيب التهذيب ، ط حيدر أباد ١٩٢٧ م ، الأولى .
٩٢ و ١١٣ و ١١٥ .
(ب) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى .
١٣٧ .
٦٣ ــ العسكرى ــ أبو أحمد ، الحسان بن عبد الله .
* شرح ما يقع فيه التصحيف .
٨٧
٦٤ ــ أبو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن على .

المختصر فى أخبار البشر ، ط الحسينية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ ، الطبعة الأولى .

٧٧ و ١٢٦ .

٦٥ ــ ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى .

* مختصر كتاب البلدان ، ط ليدن ١٣٠٢ هـ .

١٩٩ .

٦٦ ــ القالى ، أبو على بن اسماعيل بن القاسم .

ط بولاق ، القاهرة ، ١٣٢٤ هـ ، الطبعة الأولى .

(أ) الأمالى : ٧٢ و ١٠١

(ب) ذيل الأمالى : ١٠٤ و ٢٠٣ .

٦٧ ــ ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى .

(أ) تأويل مختلف الحديث ، ط كردستان العلمية ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

١٩٧ و ١٩٨ .

(ب) الشعر والشعراء . تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط الحلبى ، الجزء الأول ١٣٦٤ هـ والثانى ١٣٦٩ هـ .

٢٢ و ٢٦ و ٢٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٨ و ٩٠ و ١٠١ و ٢٩٠

(جـ) عيون الأخبار ، ط دار الكتاب ، القاهرة ١٩٢٥ م .

١٠٠ و ١٠١ و ٢٠١ .

(د) المعارف .

٦٩ و ٨٥ .

٦٨ ــ قدامة بن جعفر ــ أبو الفرج .

* نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ط الخانجى والمثنى ١٩٦٣ م .
١٩ .

٦٩ ــ القفطى : جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف .
* إخبار العلماء بأخبار الحكماء .
٨٧ .
* إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
٨٥ و ٨٨ و ٩٢ و ٩٣ و ١١١ و ١١٢ و ١١٥ و ١١٦ و ١٢٨ و ١٥٣ .

٧٠ ــ القلقشندى : أبو العباس سليمان بن إسماعيل .
* نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب . ط الرياض ، بغداد ، ١٣٣٢ هـ .
٧٧ و ٨٠ .

٧١ ــ ابن القيسرانى : أبو الفضل محمد بن طاهر بن على القدسى .
* الجمع بين رجال الصحيحين ، ط حيدر أباد ١٣٢٣ هـ ، الطبعة الأولى .
٧٩ و ٨٣ و ٨٤ و ٩٢ .

٧٢ ــ الكتبى : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى .
* فوات الوفيات ، ط بولاق ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .
٦٥ .

٧٣ ــ ابن كثير : عماد الدين بن إسماعيل القرشى .
* البداية والنهاية ، ط السعادة ، الطبعة الأولى بدون تاريخ .
٧٧ و ٨١ و ٨٥ و ٩٣ .

٧٤ ــ ابن ماجة ــ أبو عبد الله محمد بن يوسف .
* السنن ، الطبعة الأولى ، المطبعة العلمية ١٣١٣ هـ .
٨٠ و ٨٥ .

٧٥ ــ المبرد ــ أبو العباس محمد بن يزيد .
* الكامل ، ط التجارية القاهرة .
٢٨ و ٣٤ و ٤٥ و ٥٠ و ٥٥ و ٢٠١ .

٧٦ ــ المرزبانى ، أبو عبيد الله ، محمد بن عمران بن موسى .
* معجم الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج الطبعة الأولى ، الحلبى .
١٠١ و ١٠٦ و ١٢٤ و ١٣٠ و ١٩٦ و ١٩٧ .
* الموشح ، تحقيق على محمد البجاوى ، ط دار نهضة مصر ١٩٦٥م .
١٩ و ٢٠ و ٢٤ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٧ ٤٨ و ٤٩ و ٦٦ و ٩١ و ١٠١ و ١٠٧ و ١١٥ و ١٢٧ و ١٣٠ و ١٨٨ و ٢٠٣ و ٢٠٤ .
* نور القبس من المقتبس ، تحقيق رودلف زلهايم ، ط بيروت ١٩٦٤م .
٩٢ .

٧٧ ــ المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين بن على .
* مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط بولاق القاهرة ١٢٨٣ هـ .
٣٦ و ٣٧ و ٥٦ و ٥٩ و ٦٤ و ٩٠ و ٩٥ .

٧٨ ــ المصعب الزبيرى : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله .
* نسب قريش ، تحقيق ا. ليفى ، بروفنسال ط دار المعارف ، سنة ١٩٥٣م .
٨٣ .

٧٩ ـــ ابن المعتز : أبو العباس عبد الله .

* طبقات الشعراء . تحقيق عبد الستار فراج ، ط دار المعارف ١٩٥٦م .

٥٥ و ٥٩ .

٨٠ ـــ ابن النديم ، محمد بن إسحق ، أبو الفرج .

* الفهرست ط التجارية .

٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٨٥ و ٩٣ و ٩٤ و ١٠٦ و ١١١ و ١١٣ و١١٦و ١١٧ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٨ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٥٤ و١٦٤و .

٨١ ـــ ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام .

* السيرة النبوية ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط حجازى ، القاهرة ١٩٣٧ م ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، ط الحلبى ، القاهرة ١٩٣٦ م .

١٧ و ٢٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٤ ومن ٢٣٤ إلى ٢٣٩ .

٨٢ ـــ اليافعى : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على اليمنى .

* مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط حيدر أباد ، الدكن ، ١٣٣٨ هـ ، الطبعة الأولى .

٦٥ و ٨١ و ٩٣ و ١٠٣ .

٨٣ ـــ ابن أبى يعلى ، أبو الحسن محمد .

* طبقات الحنابلة ، ط السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٢ م .

٩٣ و ٩٤ .

(جـ) المراجـــع

١ ــ إبراهيم أنيس (دكتور) .

* فى اللهجات العربية .

١٨ .

٢ ــ إحسان عباس (دكتور) .

« شعر الخوارج » ط دار الثقافة بيروت .

٤٢ .

٣ ــ أحمد أمين .

(أ) ضحى الإسلام ، ط الاعتماد ، القاهرة ١٩٣٨ م ، ثلاثة أجزاء ، و ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦١ م ، السادسة .

٣٨ و ٤٣ و ٦٦ و ٦٨ و ٦٩ و ١٣٨ .

(ب) فجر الإسلام ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٥ م ، السابعة .

٣٢ .

(جـ) النقد الأدبى ، ط لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٥٢ م .

٤٣ و ٢٣٠ و ٢٨٤ .

٤ ــ أحمد الرفاعى (دكتور) .

* عصر المأمون ، ط دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٧ م ، الطبعة الأولى .

٥٥ و ٥٦ .

٥ ــ أحمد الشايب .

(أ) تاريخ الشعر السياسى ، ط نهضة مصر ، القاهرة ١٩٤٥ م .

٢٣٧ .

(ب) تاريخ النقائض ، ط النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٤ م الطبعة الثانية .

٢٣٣ .

٦ ــ أحمد شلبى (دكتور) .

* تاريخ التربية الاسلامية .

٢٠٥ .

٧ ــ أحمد ضيف .

* مقدمة لدراسة البلاغة العربية ، الطبعة الأولى ١٩٢١ م مطبعة السفور بالقاهرة .

٢٦١ .

٨ ــ أحمد كمال زكى (دكتور) .

* الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى . ط دار الفكر ، دمشق ١٩٦١ م ، الأولى .

٧٠ .

٩ ــ أمين الخولى .

* مالك « تجارب حياة » سلسلة أعلام العرب رقم ١١ ، ط وزارة الثقافة والارشاد القومى .

٣٥ .

١٠ ــ بدوى طبانة (دكتور) .

(أ) دراسات فى نقد الأدب العربى ، ط الرسالة ، القاهرة ١٩٦٠م ، الثالثة .

١٩ و ١٦٥ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ .

(ب) قدامة بن جعفر ، ط مخيمر ، القاهرة ١٩٥٦ م ، الأولى .

١٥ .

١١ ــ البستانى .

دائرة المعارف .

٨٦ و ٨٩

١٢ ــ جورجى زيدان .

* تاريخ آداب اللغة العربية ، ط دار الهلال ، القاهرة ، بتعليق الدكتور شوقى ضيف .

٦٣ و ٦٥ و ٦٧ و ١٦٥ .

* تاريخ التمدن الإسلامى ، ط دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٨ م . بتعليق الدكتور حسين مؤنس .

٦٦ و ١٣٩ و ١٤٠ .

١٣ ــ جوستاف لوبون .

* حضارة العرب ترجمة عادل زعتر ــ الطبعة الثانية ــ الحلبى .

٢١ .

١٤ ــ حاجى خليفة .

* كشف الظنون ، ط وكالة المعارف ١٩٤٣ م .

٨٩ .

١٥ ــ حسن إبراهيم (دكتور) .

* « تاريخ الإسلام ، ثلاثة أجزاء » ط النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ م ، الطبعة السابعة .

٥٦ و ٥٧ و ١٥٥ .

١٦ ــ الخربوطلى ، على حسنى .
* المهدى العباسى ، ط المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، سلسلة أعلام العرب .
٥٦ .

١٧ ــ الرافعى ، مصطفى صادق .
* تاريخ آداب اللغة العربية ، ط الاستقامة ، القاهرة ١٩٤٠ م .
١٣٧ و ١٣٨ و ١٩٩ و ٢٥٩ و ٢٦٠ .

١٨ ــ الزركلى : خير الدين .
* الأعلام ، ط بيروت الخامسة ١٩٨٠ م .
٣٦ و ١٢٧

١٩ ــ سيد قطب .
* النقد الأدبى ، أصوله ومناهجه . ط دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٠ ، الطبعة الثالثة .
١٥ .

٢٠ ــ سيدة إسماعيل الكاشف (دكتورة) .
الوليد بن عبد الملك ، ط المؤسسة المصرية العامة ــ القاهرة ١٩٦٣م .
٣٧ .

٢١ ــ السندوبى ، حسن .
* أدب الجاحظ .
ط الرحمانى ، القاهرة ١٩٣١ م ، الطبعة الأولى
٨٧ .

٢٢ ــ سهير القلماوى (دكتورة).

أدب الخوارج فى العصر الأموى ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٥ م .

٤٣ .

٢٣ ــ شارل جيمس لَيَال :

* ديوان المفضليات ، شرح الأنبارى .

٢٦٢ .

٢٤ ــ شوقى ضيف (دكتور) .

(أ) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، ط دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ م الثالثة .

٣٨ و ٤٥ و ٤٦ و ٢٨٩ .

(ب) العصر الإسلامى ، ط دار المعارف .

١٧ .

(جـ) العصر العباسى الأول . ط دار المعارف ، بدون تاريخ

٢٠٤

(د) النقد . ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٤ م .

١٥ .

٢٥ ــ صالح أحمد العلى (دكتور) .

* التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى . ط دار المعارف بغداد ١٩٥٣ م .

٧٠

٢٧ ــ طه أحمد إبراهيم :

تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ م .

١٨ و ١٦٥ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢

٢٧ ــ طه الحاجرى (دكتور) .

(أ) فى تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ط رويال ، الاسكندرية ١٩٥٣م .

١٩ و ٤٢ .

(ب) الجاحظ ، ط دار المعارف الثالثة .

٧٠ .

٢٨ ــ طه حسين .

(أ) حديث الأربعاء ، الجزء الأول ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٢٥م .

٣٢ و ٦٣ .

(ب) الفتنة الكبرى ، ط دار المعارق ، القاهرة ١٩٤٥ م .

٣٢ .

(جـ) فى الأدب الجاهلى ، ط دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

من ٢٦٣ــ٢٧٠ .

(د) فى الشعر الجاهلى ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٢٦ م .

٢٦٣ .

٢٩ ــ عبد الحليم عباس .

أبو نواس ، سلسلة اقرأ (٢١) الطبعة الثانية .

٧٠ .

٣٠ ــ عمر رضا كحالة .

* معجم المؤلفين ، ط الترقى ، دمشق ١٩٦٠ م .

٨٦ .

٣١ ـــ فان فلهوزن

* سيادة العرب والشيعة والاسرائيليات ، ترجمة ونقد وتعليق د. حسن إبراهيم ومحمد زكى إبراهيم ، ط السعادة ، القاهرة ١٩٣٤ م ، الأولى .

٦٨ .

٣٢ ـــ محمد أحمد الغمراوى .

* النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩٢٩ م .

٢٧٩ .

٣٣ ـــ محمد عجاج الخطيب .

* السنة قبل التدوين . ط وهبة ، القاهرة ١٩٦٣ م .

١٣٧ .

٣٤ ـــ محمد عطية هاشم .

* الأدب العربى وتاريخه ، ط العلوم ، القاهرة ١٩٦١ م .

٢٧٤ .

٣٥ ـــ محمد فريد وجدى .

* نقد كتاب الشعر الجاهلى .

ط ، القاهرة ١٩٢٦ م ، الأولى

٢٧٣ .

٣٦ ـــ محمد كرد على .

* الإدارة الاسلامية فى عز العرب .

ط مصر ، ١٩٣٤ م .

٣١ .

٣٧ ـــ محمد مصطفى هدارة (دكتور) .
المأمون ، سلسلة أعلام العرب رقم (٥٩) ط الدار المصرية للتأليف والنشر .
٦٤
٣٨ ـــ محمد مندور (دكتور) .
النقد المنهجى عند العرب ، ط دار نهضة مصر ، الطبعة الحديثة بدون تاريخ .
١٥ و ٢٨٨ و ٢٩١ و ٢٩٢ .
٣٩ ـــ محمود شاكر (شيخ المحققين)
مقدمة « طبقات فحول الشعراء » ط المدنى ١٩٧٤ م .
١١٧ و ١٤٧ و ١٦٠ .
٤٠ ـــ ناصر الدين الأسد (دكتور)
* مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية .
ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢ م .
١٣٩ و ٢٩٣ و ٢٩٤ .
٤١ ـــ يحيى الخشاب (دكتور)
* تراث فارس ، تأليف نخبة من المستشرقين بإشراف ا.ج. اربرى ، وترجمة أساتذة كلية الآداب بجامعة القاهرة بإشراف الدكتور يحيى الخشاب ، ط الحلبى ١٩٥٩ م .
٦١ .
٤٢ ـــ يوسف خليف (دكتور)
(أ) حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة . ط دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨ م .
١٩٥ .

(ب) الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى
ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ م .
٢٣٧

٤٣ ــ يوهان فك
* « العربية » دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب ط دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٥١ م . ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .
٢٠٢ .

٢ ـ فهرست الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

(أ) الآيات القرآنية[1] :

٢ ـ البقرة

* وسع كرسيه السموات والأرض ...، آية ٢٥٥ ص ٢٦٠ .

٣ ـ آل عمران

* ليس لك من الأمر شيء ... آية ١٢٨ ص ٧٩

١٠ ـ يونس

* فاليوم نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ... آية ٩٢ ص ١٠٤

٢٦ ـ الشعراء

* قالوا إنما أنت من المُسَحَّرِين . آية ١٥٣ ص ١٠٤

٢٧ ـ النمل

* ... وجئتك من سبأٍ بنبأٍ يقين آية ٢٢ ص ٢١٤

(ب) الأحاديث النبوية :

١ ـ ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات ... ص ١٤٥

٢ ـ إنما الشعر كلام ، ومن الكلام خبيث وطيب ، ص ٢٥

٣ ـ إن الله لم يبعثنى بالرهبانية . ص ٨١

٤ ـ الشعر كلام من كلام العرب ...، ص ٢٥

٥ ـ لو سمعت شعرها هذا قبل قتله لمننت عليه ، ص ٢٦

٦ ـ نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك ... ص ٧٨

٧ ـ الولاء لمن أعطى الثمن ...، ص ٨٤

(١) الرقم الذى بجوار اسم السورة ، رقمها فى المصحف الشريف .

٣ ــ فهرست الأبيات الشعرية

(ى)

٤ ــ فهرست الكتب التى وردت فى البحث

٥ ـ فهرست الأعلام

(ب)

(ت)

(خ)

(هـ)

(و)

٦ ـ الفهرست التفصيلى

والحمد لله رب العالمين .

رقم الايداع ٨٦/٥٥٢٩
الترقيم الدولى ٤ ـــ ٢٩٨ ـــ ١٠٣ ـــ ٩٧٧

مركـز الدلتـــا للطباعـــة
٢٤ شارع الدلتا ـــ اسبورتنج
تليفون ٥٩٧٠١٤١